

جامعة اليرموك

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الدلالات الزمنية في كتاب سيبويه المعطيات أنموذجاً

إعداد

صفاء شريف كليب الشريدة

إشراف

الأستاذ الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة
العربية/ اللغة والنحو.

٢٠٠٢م

جامعة اليرموك

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الدلالات الزمنية في كتاب سيبويه المعلقات أنموذجاً

إعداد

صفاء شريف كليب الشريدة

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة
العربية / اللغة والنحو.

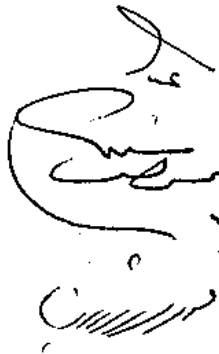
لجنة المناقشة:

مُشرفاً ورئيساً

عضواً

عضواً

عضواً



الأستاذ الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن

الأستاذ الدكتور سمير شريف ستيتية

الأستاذ الدكتور علي توفيق الحمد

الأستاذ الدكتور محمود حسني المغالسة

المقدمة:

تقوم هذه الدراسة على بحث في الدلالة الزمنية نظرياً وتطبيقياً، أما التنظير فيدرس الدلالات الزمنية في كتاب سيبويه ، وهو أول كتاب وصل إلينا من كتب التعيد النحوي للغة العربية متمتعاً بصفات الشمولية في الطرح والدقة في التناول ، وأما التطبيق فإنه يدرس المعلقة كنموذجاً ، ولا تقل أهمية المعلقة بين نصوص العربية عن كتاب سيبويه بين كتب النحو؛ إذ إنها من أكثر النصوص التي نالت عناية النحويين واللغويين والبلاغيين لما لهذه القصائد من شهرة بين الناس، وجماليات تحيط باللغة والمعنى.

وقد تمّ الجمع بين التنظير والتطبيق في دراسة الدلالة الزمنية لتبين وظيفتها المهمة في إكساب الحدث حيزاً وجودياً في سياقه اللغوي، في الوقت الذي جرى فيه حديث عن عجز اللغة العربية عن الإفصاح عن الزمن ولذلك فقد اهتمت هذه الدراسة، بتقديم كل دلالة زمنية تناولها سيبويه بالدرس أو الإشارة ، ثم متابعة هذه الأفكار النحوية من خلال دراسة نص المعلقة ، وهي من نصوص الاستشهاد اللغوي، وقد كان في هذا تعزيز للنص باعتباره الأساس الذي تنطلق منه القاعدة ، وإنصاف للعربية التي، وإن قصّر النحويون المبرزون عن إدراك كل دلالاتها، امتازت بطواعيتها على السنة متكلميها، واتساع آفاق التحويل والتوليد فيها . وقد جاءت الرسالة في ثلاثة فصول أساسية؛ أما الفصل الأول فيدرس "دلالة الأفعال على الزمن" واشتمل على ثلاثة موضوعات رئيسية ؛ هي " الفعل الماضي والفعل المضارع وفعل الأمر . وأما الفصل الثاني فيدرس " دلالة الظرف على الزمن" واشتمل على دراسات في بنيته الصرفية وحملها لدلالات الزمن ضمن تطبيق على ظروف مخصوصة . وأما الفصل الثالث ففيه تناول " صيغ وأساليب دالة على الزمن" فدرس اسم الفاعل وأسلوب الشرط وأسلوب النفي وأسلوب الاستفهام.

والدراسة إذ اعتنت بما سبق فقد استمدت بنيتها من كتاب سيبويه أولاً والمعلقة ثانياً، ثم جملة من كتب النحو القديم والحديث، العربي الغزلي، النظري والتطبيقي لتخرج بحلتها التي ظهرت عليها.

لقد ركزت أكثر الكتب التي درست دلالة الزمن على التنظير ، كان بعضها تطبيقاً على نص القرآن الكريم. فضلاً عن كون هذه الدراسات التطبيقية جاءت وصفية إحصائية ، أو توثيقية تقليدية بدرسها للنصوص من خلال الشارحين واللغويين وحسب، دون الخروج إلى آفاق التحليل الأدبي للنص المدروس، ومن هنا فقد جمعت هذه الدراسة بين التنظير وشرح النص وتحليله، مما يقدم دراسة تجمع بين منهجية العلم وجماليات الأدب.

وتقدم الدراسة بعد ذلك كله خلاصة تشمل فهرسة لتناولات سيبويه المباشرة للدلالات الزمنية لإبراز دور النحو الكبير في التنظير لقوالب هذه اللغة غير المحدودة في قدراتها الناطقة عن ذات الإنسان والإبداعات المحققة لأدبية النصوص. وأخيراً أعدت الدراسة مجموعة من الفهارس للآيات القرآنية ، وأبيات الشعر. وبعد هذا الجهد فإن الباحثة تقدم هذا العمل لوجه الله تعالى ؛ إذ إنه بحث يخدم، إن شاء الله ، لغة القرآن، راجية أن يصيب أهدافه ويحقق المنهجية العلمية. والله الموفق.

الفصل الأول

دلالة الأفعال على الزمن

أولاً: الفعل الماضي

ثانياً: الفعل المضارع

ثالثاً: فعل الأمر

عدّ النحويون العرب الفعل كلمة تجمع بين دلالاتي الحدث والزمن؛ ولذلك فقد جاءت تعريفاتهم جامعة لهذين الشقين اللذين باقترانهما تظهر صيغة الفعل. وهي صيغة تتغير تبعاً لتغير شق الزمن^(١)، ومن هنا جاء تقسيم النحويين لصيغ الفعل في العربية، فاختلقت في ذلك المدرستان البصرية والكوفية؛ أما البصريون فرأوا أن للفعل ثلاث صيغ هي: "فعل" الممثلة للفعل الماضي، و"يفعل" الممثلة للفعل المضارع، و"افعل" الممثلة لفعل الأمر. بينما رأى الكوفيون أن الصيغ الثلاث هي: "فعل" للماضي و"يفعل" للمضارع، وتشمل فعل الأمر الذي هو في الأصل فعل مضارع دخلت عليه لام الأمر فجزمته، والفعل الدائم في صيغة "فاعل" وهي الصيغة الثالثة للفعل.

ويرى الأنباري أن صيغة الفعل وضعت لتعبر عن الزمن بدلا من المصدر لعدم اختصاصه فاشتقوا له من لفظه أمثلة تدل على تعيين الأزمنة. (١)
أما سيبويه فقد حدّد الفعل بأنه: "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، ولما يكون ولم يقع. وما هو كائن لم ينقطع" (٢)
ويفسر القرطبي تعريف سيبويه بقوله: معناه أن كل كلمة مأخوذة من حدث مستعمل أو غير مستعمل لعلّة ثم بنيت للزمان فهو فعل" (٣).
 ويفهم من هذا أن وجود الفعل مشروط بوجود حدث مبني للزمان، وفي هذا حصر للصفة الفارقة بين الفعل المشتقات في الدلالة على الزمن وهذه هي العلة التي أراد النحويون على أساسها أن يحصرُوا الصيغ الفعلية في أزمان بعينها، وهي أنهم اعتقدوا بأن الزمان هو الذي خلق بنيّة الفعل المميز عن بنيّة

* راجع رأي ريمون طحان في علاقة الزمن بالصيغة، الأكاديمية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٩٧/ ج ١ ص ١٤٨ - ١٤٩.

(١) الأنباري، الإنصاف، ج ١ ص ٢٣٧.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٢.

(٣) القرطبي، شرح عيون كتاب سيبويه، ص ٩.

الحدث، مما جعلهم ومن بعدهم يعتقدون أن دلالة الزمن أصلية في الفعل الذي كلما ازداد الخلاف في صيغته نفسها كان في ذلك قوة الدلالة على الزمان.

ويعزز السيرافي هذا الفهم بشرحه لكلام سيبويه، فيرى أنه اعتنى بالأمثلة (الأبنية)، وأنه جعل الزمن فيها ثلاثة أقسام ماضٍ ومستقبل وكائن في وقت النطق وهو الزمان الذي يقال عليه الآن الفاصل بين ما مضى ويمضي.^(١)

وسيبويه بتعريفه هذا يحدد جملة أمور؛ هي: جهة وقوع الفعل، وزمنه، وصيغته. أما من حيث جهة وقوعه فهو: الفعل الواقع المنقطع، والفعل الذي لم يقع، والفعل الذي وقع ولم ينقطع. وقد قال بهذا الدكتور محمد البكاء،^(٢) إلا أنه أبدل بالفعل الذي لم يقع الفعل الذي لم ينقطع. وهذا بعيد عما قاله سيبويه: قال: "ولما يكون ولم يقع" فعندما لا يحدث الوقوع فكيف يحدث عدم الانقطاع الذي لا يكون إلا من فعل واقع، وأما من حيث زمنه؛ فالفعل إما ماضٍ أو مستقبل أو حاضر مستمر، وأما من حيث صيغته فهو إما ماضٍ أو مضارع أو أمر. ويحدد سيبويه ذلك بقوله: "أما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب، ومخبراً يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت.^(٣) ويتضح من هذا الكلام أنه يحدد الماضي بالذي وقع والمستقبل بالأمر والمضارع والحاضر المستمر بالمضارع أيضاً.

ويشير سيبويه إلى الفكرة نفسها في موضع آخر من الكتاب، يقول: "فإذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان، ففيه بيان ما مضى، وما لم يمض منه، كما أن فيه استدلالاً على وقوع الحدث"^(٤). وفي هذا الحديث إشارة إلى أن السنين تصرف الحاضر إلى الاستقبال، ويدل على ذلك أنه يستحضر فيما بعد

(١) السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، ج ١، ص ٥٧.

(٢) محمد البكاء، ملهج سيبويه في التقويم النحوي، ص ١٧١-١٧٢.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٢.

(٤) المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥.

أمثلة مثل ذهبت أمس، وسأذهب غداً. ولا شك أن الفعل "ذهب" يتعين للدلالة على الزمن الماضي المطلق حتى إذا دخل السياق وتفاعل مع الظرف "أمس" تعين للماضي القريب المحدد. كذلك فإن الفعل المقترن بالسين "سأذهب" تعين للاستقبال على إطلاقه، ثم إنها عندما اقترنت بالظرف "غداً" تحددت بزمن مستقبل بعينه؛ مما يدفعنا إلى القول إن الظروف - وهي شكل من القرائن الزمنية - تعمل على التحديد الدقيق لزمن الفعل انطلاقاً من كونها أقوى القرائن الزمنية؛ وعليه فإن كل الكلام السابق يؤكد أن سيبويه كان على معرفة حقيقية بالبنية الصرفية للفعل ووظيفته التركيبية، ولا سيما عندما يقبل مثل هذه التراكيب على أنها من الكلام المستقيم الحسن، حيث يعضد كل واحد الآخر في بنية تركيبية تدعم البنية الصرفية لتخرج دالة على زمن بعينه.

ولعل الإشارات السابقة تدعم فكرة تحول الصيغة عن مؤداها الزمني الأصلي عند سيبويه؛ يقول الدكتور بكري عبد الكريم: "وهو يريد سيبويه، لا يحصر كل واحدة، يريد الصيغ الفعلية، لتدل على زمن بعينه"^(١). وقد أشار إلى واحد من الأمثلة الكثيرة المتناثرة عند سيبويه وهو تحدد الزمن في "يفعل" بواسطة القرائن التي تسبقه أو تلحقه؛ مثل: "إذن أظنك"^(٢). ومثل هذا الكلام يشير إليه سيبويه بشكل أوضح عندما يتحدث عن وقوع الماضي في معنى المضارع في جملة الشرط بعد "إن"؛ يقول: "إن فعل فعلت" فيكون في معنى "إن يفعل أفعل" فهي فعل كما أن المضارع فعل (يريد فعل) وقد وقعت موقعها في "إن"^(٣).

من الكلام السابق يمكن القول إن فكرة الزمن في الفعل استطاعت أن تظهر في كتاب سيبويه من خلال تواسج الدالتين الصرفية والتركيبية، حيث يوجد بنية صرفية تملك دلالة تشير إلى زمن محدد لا تقتصر عليه؛ فالفعل الماضي يعبر في العموم عن الزمن الماضي غير المحدد، ثم إنه إذا تحدد بفعل قرائن تاريخية أو لفظية أو أي شكل من القرائن فإنه يملك دلالات زمنية ذات طابع مختلف إما كلياً

(١) بكري عبد الكريم، الزمن في القرآن الكريم، ٤٧-٤٩.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٢ ص ١٦.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ١٦.

أو جزئياً. وكذلك الفعل المضارع الذي يحمل الزمن الحاضر والمستقبل بنفسه فإنه إذا تعاورت عليه بعض القرائن حددته بزمان إما الحاضر وحده أو المستقبل وحده، أو صرفته إلى دلالات زمنية جديدة غير ذلك كله، ويبقى فعل الأمر الذي قد تؤدي القرائن فيه دلالات زمنية أقل تأثيراً منه في الأفعال السابقة.

وسيبويه يترتب الأفكار التي يطرحها بشكل جيد وإن كان يشوبه التعميم والفصل في الطرح في بعض المواضع ، فقد وفق في بداية حديثه عن الأفعال بالربط بين الصيغة والزمن وإن كان بعض الدارسين يرفض ذلك الربط الذي يجعل كل صيغة محددة بزمان بعينه. ومثل هذا الكلام قد تعوزه الدقة ولا سيما عندما تدعم النصوص العربية فكرة الصيغة؛ حيث ترد الأفعال العربية ولا سيما المجردة لمرجعياتها الزمنية في كثير من الأحيان لتعبر عنها دون غيرها ، ثم إنها إذا احتاجت بفعل دوافع سياقية أو مجازية إلى عناصر تعبيرية جديدة فإن عناصر التركيب نفسه تتفاعل بحيث تحول بنى موجودة أو تستعمل بنى خارجية أو تحذف بنى موجودة لتحقيق الغاية السياقية التي تقرر خارج اللغة وتحقق بواسطتها. ولتقرب الصورة فلنتعامل مع نصوص المعلقات؛ يقول امرؤ القيس في معلقته:

خَرَجْتُ بِهَا أَمْشِي تَجْرُ وَرَاءَنَا عَلَى أَثَرِنَا ذَيْلَ مَرْطٍ مَرَحَلٍ^(١)

يعبر البيت عن تجربة سابقة لامرؤ القيس عندما أخرج الفتاة من خدرها وهي تجر مرطها، الذي يعفي آثار أقدامها. يلاحظ أن هذا البيت يتعامل مع فكرة ماضية غير محددة لم يقصد امرؤ القيس تحديدها بزمان بعينه، وهو ما تكرر في مواضع عدة توزعت في المعلقة، عندما كان يروي الأحداث غير محددة المعنى مستخدماً فيها صيغة الماضي دون قرائن مساعدة ؛ يقول:

هَصُرْتُ بِفُودِي رَأْسَهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمُ الْكُشْحِ رِيًّا الْمُخْلَخِلِ^(٢)

(١) رواية هذا البيت عند الأبناري ص ٥: فقامت بها أمشي تجر وراءنا على إثرنا أذيال مرط مرحل.

ورواية البحث للزوزني في شرحه للمعلقات ص ٢٤.

(٢) رواية البيت عند الأبناري ؛ مددت بخصني دومة فتمايملت عليّ هضم الكشح ريا المخلخل/ص ٦ ورواية البحث عند

الزوزني ص ٢٦

ويقول:

فَقُلْتُ لَهُ لِمَا تَمْطِي بِصُلْبِهِ وَأُرْدِفُ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّهِ^(١)

ويقول:

وَوَادٍ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَّرَ قَطْعَتُهُ بِهِ الذَّنْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ^(٢)

نستنتج من هذه الأمثلة أن الأفعال الماضية بصيغها الأساسية استطاعت أن تحقق دلالاتها الزمنية بقرينة عُدَمِ القرينة التاريخية أو اللفظية ، مما فرض نوعاً جديداً من التعامل مع تراكيب الصيغة المتضمنة فيها الصيغة الواحدة، وهذا وارد في نصوص التعليقات مما سندرسه مفصلاً في بابه. وقد علق الدكتور فاضل الساقى على هذا الأمر قائلاً: " .. كان على النحاة أن يدركوا أن الأفعال مجرد صيغ والفاظ تدل على زمن ما هو جزء من معنى الصيغة لا على زمن معين وأن السياق أو الظروف القولية بقرائن اللفظية والحالية هي وحدها التي تعين الدلالة الزمنية وترشحها لزمن بعينه"^(٣). وهذا الكلام صحيح تماماً إذا افترضنا أن كل فعل في العربية يحمل زمن صيغة يعبر عن زمن بعينه، وهو ما راعيناه في الأمثلة التي ضربناها من معلقة امرئ القيس حيث ظهرت الأحداث وكأن امرأ القيس يتكلم عن أحداث ماضية غير محدد قريبا أو بعدها وهي في النهاية حدثت وانقطعت.

إذن فمساحة الزمن ممتدة في كتاب سيبويه على المستويين الصرفي والنحوي؛ ولذلك فإن مساحة الدرس ستكون شاملة وواسعة لتفهرس لجميع الأشكال الزمنية التي درسها ولا سيما في الأفعال التي سيناقش كل واحد منها في مبحث منفصل.

(١) الألباري ص ٧٥، وعبد الزوزلي ص ٢٥

(٢) الألباري ص ٨٠، وعبد الزوزلي ص ٣٨

(٣) فاضل الساقى ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ص ٢٢٢.

أولاً:

الفعل الماضي:

يتحدث سيبويه في " الكتاب " عن زمن الفعل الماضي في مواضع مختلفة في مستوييه الصرفي والتركيبى تحت الأبواب التالية:
أولاً: باب علم ما الكلم من العربية (ج ١، ص ١٢).

ثانياً: باب مجاري أواخر الكلم من العربية (ج ١، ص ١٣).

ثالثاً: باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول، واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد. (ج ١، ص ٤٥).

رابعاً: باب ما ينصب في الألف . (ج ١، ص ١٠١).

خامساً: باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعاً لأنك تبتدئه لتنبه المخاطب ثم تستفهم بعد ذلك (ج ١، ص ١٢٧).

سادساً: باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منوناً. (ج ١، ص ١٦٤).

سابعاً: باب جرى الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى (ج ١، ص ١٧٥).

ثامناً: باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى وما يعمل فيه (ج ١، ص ١٨١).

تاسعاً: باب وقوع الأسماء ظروفاً وتصحيح اللفظ على لمعنى (ج ١، ص ٢١٦).

عاشراً: باب ما يكون فيه المصدر حيناً لسعة الكلام والاختصار (ج ١، ص ٢٢٢).

حادي عشر: باب ما ينتصب فيه المصدر المشبه به على إضمار الفعل المتروك إظهاره (ج ١، ص ٣٥٥).

ثاني عشر: باب ما يكون المصدر فيه توكيداً لنفسه نصباً (ج ١، ص ٣٨٠).

ثالث عشر: باب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور (ج ١، ص ٤٠٠).

رابع عشر: باب يحذف المستثنى فيه استخفافاً (ج ٢، ص ٣٤٤).

خامس عشر: باب إضمار المفعولين اللذين تعدى إليهما فعل الفاعل (ج ٢، ص ٣٦٣).

سادس عشر: باب وجه دخول الرفع في هذه الأفعال المضارعة الأسماء (ج ٣، ص) سابع عشر: باب الرفع فيما اتصل بالأول كاتصاله بالفاء وما انتصب لأنه غاية (ج، ص ٢٠)

ثامن عشر: باب الحروف التي لا يليها بعدها إلا الفعل ولا تغير الفعل عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون قبله شيء منها (ج ٣، ١١٤).

تاسع عشر: باب من أبواب "أن" التي تكون والفعل بمنزلة المصدر (ج ٣، ص ١٥) وإذا نظرنا في عناوين هذه الأبواب التي تضمنت الحديث عن زمن الفعل الماضي فإننا نلاحظ أن سيبويه لا يتحدث عن زمن الفعل الماضي مباشرة ، بل إن إشارات مضمنة في تقاليب الموضوعات تحت تلك العناوين ، فإذا تجاوزناها إلى المضامين فسنرى أن المعالجة الواحدة قد يتطرق لها تحت أكثر من باب؛ ومثال ذلك عندما يبحث في اسم الفاعل الذي حمل معنى الماضي؛ فهو يشير له تحت "باب الاستفهام الذي يكون الاسم فيه رفعاً لأنك تبدئه لتنبه المخاطب ثم تستفهم بعد ذلك" (١) وتحت " ما ينتصب فيه المصدر المشبه به على إضمار الفعل" (٢)، فضلاً عن تناولات أخرى مكررة تكشف عن شمولية الطرح الموضوعي تحت العنوان الواحد، والستكرار عنده ينتج عن استحضر للأفكار، بمعنى أن تداخل القضايا يجعله يعيد فكرة سابقة يطرحها الموضوع الجديد.

ونلاحظ أن تناولات سيبويه تتجاوز بشكل واسع الجانب الصرفي إلى الجانب التركيبي، فمثلاً عندما يتحدث عن الفعل الماضي فإنه يطرح فكرة ارتباط الفعل الماضي بالبناء (فعل) "يقول": "فأما بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد" (٣) و يكتفي بهذه الإشارة الصرفية للدلالة على الزمن ، حتى إذا أراد أن يقدم الدلالات الزمنية الأخرى فهو يقول إن الماضي يقع موضع المضارع في حالتين. (٤):

الأولى: أن يوصف به نكرة نحو: هذا رجل ضربنا

(١) سيبويه ، الكتاب، ج ١ ص ١٣٠.

(٢) المصدر السابق، ج ١ ص ٣٥٦.

(٣) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢.

(٤) المصدر السابق، ج ١ ص ١٦.

الثانية: أن يقع في سياق الشرط؛ نحو: "إن فعل فعلت" على معنى "إن يفعل أفعل"، وهو يعزز هذا الأمر في أكثر من موضع سترد في أبوابها، مما يعني أنه اعتمد على النص، واهتم بتفسيره واستخراج القاعدة من خلاله، الأمر الذي يؤكد تعزيزه الفكرة الصرفية التي تتعلق بالتنظير . من خلال الفكرة التركيبية التي تتعلق بالتطبيق.

من هنا لا يمكن الإدعاء باهتمام سيبويه بكل تركيب زمني، الأمر الذي سنلاحظه أكثر مع بعض الأمثلة القادمة ضمن مناقشتنا لجوانب عنايته بزمن الفعل الماضي.

• زمن الفعل الماضي صرفياً:

يجعل سيبويه البنية (فعل) جذراً ثلاثياً يعبر عن اقتران حدث ما بزمن ماضٍ^(١)، يقول السيرافي في سياق تعليقه على معنى الفعل (قام) كتطبيق على دلالة الفعل الماضي زمنياً عند سيبويه: "... وقوع قيام في زمان ماضٍ فعقل مغناه في نفسه قبل أن يتجاوز به إلى غيره"^(٢) وهو في حديثه هذا يشير إلى البنية الصرفية للفعل الذي يعبر عن الماضي على إطلاقه من خلال البنية السطحية، كما وبدل على ربط سيبويه للصيغة بالزمن ، يقول: "فإذا قال ذهب فهو دليل على أن الحدث فيما مضى من الزمان"^(٣) وهذه إشارة واضحة إلى البنية الأولية التي تعبر عن الماضي، فربط سيبويه للماضي على هذا الشكل يدل على تحديده للصيغة كدال على الزمن، لتشكل مثلاً مطرداً سرعان ما يدخل السياق بدلالته المطلقة على الزمن الماضي، فإما أن يحافظ على هذه الدلالة وإما أن يتركها إلى دلالة أخرى يتحكم فيها السياق أكثر مما يتحكم هي فيه؛ وعليه تتشكل صيغة ذات بنيتين: صرفية تتمثل في الفعل الماضي مجرداً من الزيادات السياقية التحويلية، وهي صيغة دالة على الحدث مقترنة بالزمن الماضي، وصيغة تركيبية تعبر إلى السياقات تؤدي وظيفة فيها بفعل دواخلها إذا لم تواجه بعوامل زمنية ربما يمكن اعتباره داخلاً للسياق، أخرى تؤثر فيها أو تلغيها.

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ١٢.

(٢) السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، ج ١، ص ٥٢.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٥.

وهنا يجب أن يوضح نوعان من الدواخل للخروج إلى دلالات الزمن التركيبية؛
هي الدواخل السياقية (دواخل السياق)، والدواخل الفعلية (دواخل الفعل)؛ أما
دواخل السياق فيمكن أن تعد من قبيل العناصر التي لا تتركب مع الفعل مباشرة
وتملك قوة زمنية تستطيع أن تعبر إليه وتغير فيه مثل الظروف ، وأما دواخل
الفعل فتشير إلى العناصر التي تتركب مع الفعل مباشرة ولا تدخل مباشرة على
غيره فتحدث دلالة زمنية جديدة أو إضافية إلى دلالاته الأصلية، مما نميل إلى عدم
فصله عن الفعل واعتباره خارجاً عنه تماماً؛ بحيث ندعي أن هذا النوع من الدواخل
لا يدخل إلا في إطار توفر شروط معينة مثل تحدد صيغة الفعل، ورتبة الاتصال
به، والتعبير عن زمن بعينه من خلال التركيب كاملاً، في حين يكون النوع الأول
من الدواخل قوياً بنفسه يملك خصيصة المجاوزة لا خصيصة المسابرة كما في
الدواخل الثانية.

* دلالة (فعل) على الزمن الماضي المطلق:

يشير سيبويه في كتابه (الكتاب) إلى دلالة (فعل) على الزمن الماضي
المطلق بشكل غير مباشر بتقديمه لفكرة تحويل الجمل الاسمية من إطلاق الزمن
الماضي إلى إطلاق الزمن المضارع وذلك باستخدام (كان) لتدل على الزمن
الماضي المطلق؛ يقول: "نقول كان عبد الله أخاك" فإنما أردت أن تخبر عن
الأخوة ، وأدخلت "كان" لتجعل ذلك فيما مضى".^(١)
يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

وَكُنَّا الْأَيْمَنِينَ إِذَا التَّقِينَا وَكَانَ الْأَيْسَرِينَ بَنُو أَبِيْنَا^(٢)

فأصل هذا البيت أن يكون "نحن الأيمنون وبنو أبينا الأيسرون" ولكنه لما أراد أن
يشير إلى موقعة معينة دون سواها كانت فيما مضى؛ حين كان الشاعر ومن معه
في الميمنة للجيش ، وكان بنو أبيه في الميسرة ، فصالوا على الأعداء، استخدم

(١) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥.

(٢) الأنباري، الشرح ص ٤١١، وعلاء الزوزلي ص ١٨٢.

(كان) لتصرف الجملة الاسمية إلى الماضي، ولما أراد الشاعر ذلك المعنى أتبعه بقوله: فصالوا صولة فيمن يليهم وصلنا صولة فيمن يلينا^(١)

أما ذهب إليه الأنباري في شرحه^(٢) عندما ركز على التقريب بين الأيمنين والأيسرين على اعتبار وصفه تعالى لأصحاب الميمنة وأصحاب الميسرة^(٣). يقول تعالى: "فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة" فإنه لا يتناسب مع البيت الذي بعده لأنه يظهر رهط الشاعر كأنهم أهل خير بينما يظهر بنو أبيه على أنهم أهل شر، ولا شك أنه لم يبع ذلك كما بينا.

ويعبر سيبويه عن الفكرة ذاتها عندما يناقش (كان) التامة^(٤) فيضرب المثال التالي: "قد كان عبد الله" ويفسره بـ: "قد خلق عبد الله" فيجعل (كان) مرتبطة بالوجود في حين ارتبطت "خلق" بالخلق، والوجود دال عليه، كما أن (كان) تعبر عن وجود ماض في حين تعبر خلق عن خلق ماض؛ وعليه فإن الخلق والوجود قد ارتبطا بدلالة لغوية غير كاملة حيث لم يتوحد معنى الخلق والوجود تماماً. وزمنية كاملة فالاثنان وقعا في سياق الماضي المطلق، وعليه فإن دلالة الزمن مقصودة لذاتها من خلال اعتبارين؛ أما الاعتبار في جملة: "قد خلق عبد الله" فهو ماض مطلق بفعل السياق المعنوي؛ حيث إن الفعل (خلق) يشير إلى عملية سابقة للتكلم لا يمكن تحديد وقتها بدقة لأن الخلق قد حصل من أزل غير محدد في المفهوم الجمعي له لدى البشر، وأما الاعتبار في جملة "قد كان عبد الله" فهو ماض مطلق بفعل "كان" وحدها حيث إنها لا تحمل معنى معجمياً في ذاتها ولكنه النقطة من خلال المعنى الكلي للجملة، وعليه فإن (كان) جاءت تعبر عن الماضي أساساً ثم إنها حملت منظومة معجمية بفعل تداخلها مع النص وبفعل ذلك استطاعت أن تلغي "قد" التي تفيد التقريب، كما ألغيت في جملة، "قد خلق عبد الله" بواسطة الفعل ومعناه الذي وضحناه.

(١) المصدر السابق ص ٤١٢. وعند الزوزلي ص ١٨٣

(٢) الأنباري، الشرح، ص ٤١١.

(٣) إشارة إلى الآيتين ٨ - ٩ من سورة الواقعة.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج ١ ص ٤٦.

إذن فالفرق بين (كان) التامة و(كان) الناقصة لا يكون من حيث الاختلاف في الزمن، وإنما يتعلق بأن الناقصة تنصرف للتعبير الدلالي عن الزمن بشكل كلي ووحيد في حين تحمل التامة في ثناياها فكرتي الزمن والحدث.

يعلق أحد الباحثين على ذلك قائلاً: "إذا كانت التامة تدل على اتصاف الفاعل بالكينونة، فإن الناقصة لا تدل على ذلك دلالة قاطعة، على الأقل، ولا يفهم منها سوى اقتران إسناد الخبر إلى المبتدأ بالزمن"^(١)

وهذا الكلام في الحقيقة يشير إلى وجه واحد للحقيقة ولا سيما عند سيبويه الذي يطرح حالة ثانية لـ "كان" الناقصة تنصرف فيها الجملة المدخولة إلى الماضي المطلق وذلك في سياق جملة التعجب؛ يقول: "ما كان أحسن زيداً فتذكر (كان) لتدل أنه فيما مضى"^(٢) فهو يقرر حقيقتين بهذه الجملة؛ الأولى: أن جملة التعجب بدون "كان" تدل على سياق الحال ملمحاً إلى أن "أفعل" في سياق التعجب هو فعل ماض من حيث البنية الصرفية، ومع ذلك فهو لا يملك أن يصرف الجملة إلى الماضي لأنه جمد في استخدامه في ذلك السياق مبتعداً أيضاً عن التصرف البنيوي؛ يقول ابن عقيل في شرحه: "لا يتصرف فعلاً التعجب، بل يلزم كل منهما طريقة واحدة، فلا يستعمل "أفعل" غير الماضي... وهذا لا خلاف فيه"^(٣). أما الحقيقة الثنائية فهي أنه يشير إلى عدم ارتباط الصيغة بالزمن دائماً، حيث عبرت صيغة الماضي عن الحال في حين جاء عنصر آخر إلى السياق صرفها إلى الماضي مما يعزز فكرة التركيب عند سيبويه.

* دلالة "فعل" على الماضي القريب: (قد فعل)

ورد ذكر (قد) عند سيبويه في أكثر من موضع في (الكتاب)، وقد أشار إلى أنها من الحروف التي لا يفصل بينها وبين الفعل؛ يقول: "لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره"^(٤)، وهي لذلك تعد من دواخل الفعل التي حددنا شروطها سابقاً بأن

(١) أبو أوس إبراهيم الشَّمسَان، الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه، ص ١٨.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ١ ص ٧٣.

(٣) ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٢، ص ١٥٣.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج ٣ ص ١١٤.

تدخل على فعل بصيغة معينة، وأن تتصل معه ضمن رتبة محددة، وأن يشير التركيب كاملاً بعد ذلك إلى الدلالة بحيث لا يملك أي عنصر وحده القدرة على التعبير عن الدلالة الزمنية المبتغاة بنفسه، وقد توفرت جميع هذه الشروط في "قد فعل" فهي مكونة من "قد" التي تدخل على صيغة الماضي الأساسية متقدمة عليه في الرتبة غير منفصلة ؛ ولذلك فالسيرافي في سياق حديثه عن المستقيم القبيح يذكر تعبير "قد زيدا رأيت" ^(١) مما يعني اختصاص "قد" بالفعل دون الاسم كما أن التركيب كاملاً يعبر عن دلالة زمنية واحدة لا تملكها "قد" دون فعل أو العكس.

وسيبيويه يشير إلى دلالة زمنية في "قد" إذا اقترنت بالفعل الماضي؛ فقد ذكر أنها لقوم ينتظرون شيئاً ^(٢)، وفسر السيرافي هذا بقوله إن دخول "قد" على "فعل" متوقع أو مسؤول عنه، إذا قال "قد قام زيد" فإنما يقول لمن يتوقع قيامه أو لمن سأل عنه فقال: "هل قام زيد؟" ^(٣). وعليه يفهم من كلام سيبويه أنه لا يستطيع الفصل بين المعنى في "قد" من حيث هي لفظة تعبر عن الزمن بدخولها على الفعل الماضي "فعل" وبين أن تكون لفظة مؤكدة لقوم ينتظرون جواباً لسؤالهم، الأمر الذي جعل كثيراً من النحويين بعده يفهمون قصده على إرادة التحقيق فقط.

ويشرح الزوبعي ما أراده سيبويه فيقول: "... أن معنى التوقع الذي تفيد "قد" مع فعل هو أنه كان متوقعاً منتظراً ثم صار ماضياً" ^(٤) وإذا أخذنا بهذا الرأي للزوبعي فإن معناه أن إشارة سيبويه تقول إن "قد" لتقريب الزمان، إذ إنه لا يمكن أن يكون في سياق رد على سؤال بين التوقع والوقوع زمن كبير. يقول امرؤ القيس :

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَامِعاً عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزَلُ ^(٥)

^(١) السيرافي، أبو سعيد، شرح كتاب سيبويه، ج ٢، ص ٩١.

^(٢) سيبويه، الكتاب ج ٣ ص ١١٥.

^(٣) السيرافي، الشرح، ج ١ ص ١٧١.

^(٤) مطالب الزوبعي، معجم الجملة القرآنية، ص ٤٠.

^(٥) الأنباري ص ٣٧، وعند الزوزلي ص ١٥.

ففي هذا البيت يتحدث امرؤ القيس عن نفسه عندما ركب بعير محبوبته فأوشك أن يوقعه، فأمرته بالنزول. وامرؤ القيس يستخدم المضارع ليدل على أن الحدث كان قريباً ثم يأتي بعده بواو الحال ثم "قد مال" ؛ يقول الأنباري: "وإنما جاز لـ "مال" أن تكون حالاً لأن "قد" صحبته، فصار بمعنى مائل كما نقول "قد قام عبد الله وقاعد" ويشير إلى أنك: "إذا قلت قد اضطرب فلان فهو مثل قولك مضطرب (١). وأشعار سيبويه إلى أن اسم الفاعل على معنى الفعل " إذا حدثت عن فعل في حال وقوعه غير منقطع كان كذلك" (٢) وهذه إشارة إلى ما تحمله "قد" من معنى الحالية، ولما ارتبطت بالفعل الماضي فإنها قربته من الحاضر كما يقول أكثر المحدثين من العلماء؛ يقول المخزومي: "تستعمل صيغة "قد فعل" للتعبير عن وقوع في زمان ماض قريب من الحال" (٣) ويقول علي المنصوري: "فحينما أقول "قد تفتحت الوردة" فإن ذلك يعني أنها تفتحت في الماضي القريب" (٤). ويذكر عصام نور الدين أن رايت تنبه إلى أن صيغة "قد فعل" تشير دلالتها على وقوع الحدث قبل قليل من زمن التكلم، كما أن بلاشير وديموميين تنبها إلى أن "قد فعل" تدل على الماضي القريب" (٥).

تستخدم نصوص المعلقات التركيب الصيغي "قد فعل" للتعبير عن زمن دخل في زمن آخر حتى أصبح كأن أحدهما قد سبق الآخر بقليل.

يقول امرؤ القيس:

فَجِئْتُ وَقَدْ نَضْتُ لِنَوْمِ ثِيَابَهَا لَدَى السَّيْرِ إِلَّا لِبَسَةِ الْمُتَفَضِّلِ (٦)

حيث يستخدم الفعل الماضي "جاء" الذي انقطع في اللحظة التي أصبح فيها أمامها، وقد ظهرت له في ثوب رقيق لم ترتد إلا قبل وصوله بقليل. وهذا شبيه بالاستعمال الإنجليزي:

(١) الأنباري ، أبو بكر ، الشرح ، ص ٣٧.

(٢) سيبويه، الكتاب ، ج ١ ص ١٦٤.

(٣) محمد مهدي المخزومي ، في النحو العربي ، ص ١٥٦.

(٤) علي جابر المنصوري ، الدلالة الزمنية في الجملة العربية ، ص ٤٩.

(٥) عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ص ٤٨.

(٦) الأنباري ص ٥١. وعند الزوزلي ص ٢٣.

She had worn her clothes, when he arrived

وكقول الحارث بن حلزة :

آنست نبأة وأفزعها الفُناصُ عَصراً وقد دنا الإمساء^(١)

يقول الزوزني شارحاً هذا البيت: "أحست هذه النعامة بصوت الصيادين فأخافها ذلك عشياً وقد دنا دخولها في المساء"^(٢)، فيما يشير إلى وقوع حدثين أحدهما سبق الآخر بقليل، مما يدفعنا إلى القول إنه عندما يأتي فعل ماضٍ من حيث الصيغة متبوعاً بـ "واو الحال" ثم "قد" متبوعة بفعل ماضٍ آخر، فالسياق دال على وجود زمنين ماضيين ؛ الأول غير محدد والثاني قريب الحدث من الأول سبقه بقليل، وهو على عكس التركيب:

فعل مضارع (الصيغة الصرفية) + واو الحال + قد + فعل

فإنه يعني أن الفعل الأول حدث قريباً واستمر، والفعل الثاني المرتبط بـ "قد" حدث خلاله كالتعبير الإنجليزي:

She was talking, when the man arrived.

يقول عمرو بن كلثوم:

تريك إذا دخلت على خلأ وقد أمّنت عيون الكاشحينا^(٣)

ففي هذا البيت يستمر الأمان خلال الفعل الأول وهو الرؤية الذي يسبق في الوقوع، في حين إن التركيب الأول يحدث لأفعاله الانقطاع التام. أما التركيب الثالث فإنه يخلو من الواو إذ يظهر الحدثان وقد سبق المقترن بـ "قد" الآخر بقليل ثم إنه استمر ليتزامن معه في مدة حدوثه التي تستمر في زمنية لا يمكن حدها تماماً فهي تقترب من الإطلاق بفعل حديثها عن عادة، ولكن وجود الزمن الآخر يحددها قليلاً. يقول الأنباري في "قد روينا" ومعناه الحال أي حمراً رواء.^(٤)

وقد ورد في معلقة ابن كلثوم استخدام (قد + فعل) لغرض التحقيق أكثر من

إظهار المدة الزمنية ؛ يقول:

^(١) الأنباري ص ٤٤٢، وعند الزوزني ص ٢١٩

^(٢) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ٢١٩.

^(٣) الأنباري ، ص ٣٧٧، وعند الزوزني ص ١٦٨

^(٤) الأنباري ، الشرح، ص ٣٨٨.

وماكمة يضيق الباب عنها وكشأ قد جنت به جنونا^(١)

فهو يستخدم (قد) والمفعول المطلق المؤكد بقصد التوكيد لا غير.

وهكذا فإن "قد" عند سيبويه هي حرف لمن ينتظر تضطلع بداليتين هما التحقيق و القرب الزمني، وهي في المعلقة نموذج لذلك، وإن توسع استخدامها لتحقيق تداخلات زمنية بأبعاد مختلفة، على الرغم من أن بعض الدارسين لنظام الجملة في المعلقة لم يخرجها عما قاله سيبويه؛ يقول محمود نحله: "قد حرف توكيد تدخل على الماضي فتقربه من الحال وأن الغالب عليها مع الماضي أن تكون حرف تحقيق"^(٢) وجملته الأولى تخلص من الدقة فهي لا تقرب الماضي من الحال، ولكنها تقربه من حدث آخر قد يكون أقرب إلى الحال، في حين يعبر السامرائي عن ذلك بأنها تفيد: "أن الحدث ماض بالنسبة لفترة ماضية"^(٣) فهو يشير إلى قرب أحد الأفعال من الآخر حتى وإن وقعا ماضيين.

وهنا نؤكد أن "قد" من دواخل الفعل في حين إن واو الحال، أو الفعل الماضي والمضارع السابقين لتركيب، قد فعل" هما من دواخل السياق التي استطاعت أن تشكل مع (قد فعل) دلالات زمنية جديدة ضمن طاقتها التفاعلية على التعبير الزمني.

* أفعال المقاربة:

ذكر سيبويه مجموعة من الأفعال وهي: أوشك ، وعسى، وكاد، وكرب، واخْلُوْلِقْ، وقارب، ودنا، وعدّها للتقريب؛ يقول: "هي لتقريب الأمور"^(٤)؛ يقول السيرافي في (كاد): "إنما ألزموا فيه الفعل لأنه أريد به الدلالة بصيغة الفعل على زمانه أو مداناته وقرب الالتباس به ومواقعتَه، فإذا قلت: "كـدت أفعـل كذا" فلست بمخبر أنك فعلته، ولا أنك عريت منه عري من لم يرمه، ولكنك رمته وتعاطيت أسبابه حتى لم يبق بينك وبينه شيء إلا مواقعتَه، فإذا قلت "كدت

(١) هذا البيت غير مروي عند الأنباري ووارد في شرح الزوزني ص ١٧٠

(٢) محمود أحمد نحله، نظام الجملة في شعر المعلقة، ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) إبراهيم السامرائي، الفعل زمانه وابنيته، ص ٢٩-٣٠.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ١٥٧-١٦١.

أفعله" فكان "أفعله" حداً انتهيت إليه ولم تدخل فيه فكانك قلت: كنت مقارباً لأفعله وعلى حد فعله" (١).

يعلق الزويبي على كلام سيبويه: " أنها لتقريب زمن وقوع الحدث من الحاضر ، أي أن "كا" مع صيغة تفاعل، كغيرها من الأفعال إثباتها إثبات ونفيها نفي، إلا أنها للمقاربة لا لوقوع الفعل" (٢).

ويسرى ثعلب أن " كدت أقوم" أي " لم أقم" بمعنى أن إثباتها نفي ونفيها إثبات، فإذا قال "كاد يفعل" فمعناه أنه لم يفعل. (٣)

وفي المعلقات لم يرد استخدام (كاد) إلا مرة واحدة على صيغة المضارع؛ يقول امرؤ القيس:

وَرَحْنَا يَكَادُ الطَّرْفَ يَقْصُرُ دُونَهُ متى ما تَرَقَّى الْعَيْنُ مِنْهُ تَسْفُلُ (٤)
يأتي هذا البيت في معلقة امرئ القيس بعد عدة أبيات يتحدث فيها عن قسوة فرسه، الذي استطاع أن يوقع صيداً كبيراً نتيجة لسرعته، حتى إن الطرف ليقتصر دونه ، بل إنه يبالغ فيجعل القصور يقع مرة بعد مرة ليصل إلى درجة عالية منه، وقد استطاعت (يكاد) أن تحقق هذا المعنى ، فلو أراد الشاعر أن يقول: " الطرف يقتصر دونه" لأشار إلى حقيقة مقررة تجعل السعي وراءه بالطرف لا داعي لها، لكنه عندما أدخل " يكاد" فإنه أدخل الناظرين في عملية تسابق مع أطرافهم فهي تقتصر دونه وهم يستمرون بالسعي لإلغاء التقصير الذي لا يزيدهم إلا تقصيراً. ولكن ماذا لو استخدم (كاد+يفعل) بدلاً من (يكاد + يفعل):

^(١) إن الاقتران هنا هو من السلب إلى الإيجاب مع أن السلب هو الواقع. راجع أحمد باقوت في اللوايح الفعلية والحرفية ص ١٠٢

^(٢) هامش كتاب سيبويه ج ٣ ص ١١ عن مخطوطة شرح الكتاب للسيرافي.

^(٣) طالب الزويبي، معجم الجملة القرآنية، ص ٥٦.

^(٤) ثعلب، مجالس ثعلب ج ١ ص ١٤٢.

^(٥) رواية هذا البيت عند الأنباري ص (٩٨) ورَحْنَا يَكَادُ الطَّرْفَ يَقْصُرُ دُونَهُ متى ما تَرَقَّى الْعَيْنُ مِنْهُ تَسْفُلُ

أما رواية البحث فهي للزوزلي ص ٥٠.

كاد الطرف يقصر دونه

فإنه يكون على ما ذهب إليه السيرافي في تفسيره لكلام سيبويه، وهو ما نذهب إليه من أنه اقترب من التقصير ولكنه لم يواقع، فيكون عليه معنى الشطر أن الطرف لم يقصر دونه ، إذ إنه أوشك على ذلك ولكنه لم يتم . وهذا يتوافق مع ما قاله ثعلب من أن إثبات (كاد+يفعل) هو نفي ، لكنه ليس كذلك في (يكاد+ يفعل).

ويظهر إزاء هذه الآراء في هذه التراكيب ما قاله إبراهيم السامرائي، الذي رأى أن بناءها وإن كان على مثال الماضي إلا أنه ليس فيها ما يشير إليه: "ذلك أن المراد منها إثبات هذه المعاني المشار إليها بصرف النظر عن وقوع القرب والرجاء والشروع لا تؤدي الشروع إلا على صيغة (فعل) ولم يسمع أنهم استعملوها على صيغة (يفعل) ومعنى ذلك أن هذه الأبنية الفعلية مواد أريد منها إثبات هذه الدلالات المعنوية"^(١).

وسبق أن سيبويه أقر أن هذه الأفعال بدخولها على مداخيلها تستطيع تأدية وظائف تؤثر في أزمان التراكيب، فتقربها من العموم مع إضفاء دلالات معنوية موازية، أما احتجاج السامرائي على كونها لا تحتوي ما يشير للزمن بعدم تصرفها، فلا ينطبق عليها كلها لذلك لا يجوز التعميم حيث إن "كاد" تتصرف إلى المضارع، وأوشك تتصرف إلى المضارع والمصدر فتكون فعالة في تحديد أزمان مداخيلها، وهو لم يشر إلى أي من ذلك.

وقد رأى بعض المحدثين في كاد وأوشك وكرب أنها وضعت للدلالة على قرب وقوع الخبر وليس لتدل على الماضي القريب من الحاضر بل تدل على قرب وقوع الخبر دون حدوده سواء أكان في الماضي البعيد أم القريب و هي عنده أفعال مساعدة تدل على أن الحدث لم يحصل، وهذه تسميه مناسبة فهي دواخل أفعال لا تستطيع أن تقف بنفسها في جملة فضلاً أن تفرض الزمن منفردة وهي تدل من خلال السياق على الاستعمال الماضي الوظيفي مجرداً من القرائن التاريخية أو المعنوية.^(٢)

(١) إبراهيم السامرائي، الفعل زامنه وأبليته، ص ٣٢.

(٢) علي جابر المصوري، الدلالة الزمنية في الجملة العربية، ص ٧٢.

ثانياً: الفعل المضارع:

يرد الفعل المضارع بدلالاته الزمنية تحت الأبواب التالية من كتاب سيبويه:

أولاً : هذا باب علم ما الكلم من العربية (ج ١ ص ١٢)

ثانياً: هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية (ج ١ ص ١٣)

ثالثاً: هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول (ج ١ ص ٣٤)

رابعاً: باب من الفعل سمي الفعل فيه بأسماء لم تؤخذ من أمثلة الفعل الحادث (ج ١ ص ٢٤١)

خامساً: باب ما يختار فيه الرفع ويكون الوجه في جميع اللغات (ج ١ ص ٣٨٧)

سادساً: باب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور (ج ١ ص ٤٠٠)

سابعاً: باب الاستقامة من الكلام والإحالة (ج ١ ص ٢٥)

ثامناً: باب "إذن" (ج ٣ ص ١٢)

تاسعاً: باب "متى" (ج ٣ ص ١٦)

عاشراً: باب الحروف التي لا يليها بعدها إلا الفعل ولا تغير الفعل عن حاله التي

كان عليها قبل أن يكون قبله شيء منها (ج ٣ ص ١١٤)

حادي عشر: باب آخر "أن" فيه مخففة (ج ٣، ص ١٦٥)

إذا قرأنا في هذه العناوين وما تضمنته من موضوعات فإننا سنرصد النتائج

نفسها التي رصدناها حول العلاقة بين عناوين أبواب سيبويه التي تناولت دلالة الفعل

الماضي على الزمن ومضامين تلك العناوين ، بما يغني عن ذكره. غير أن تناول

سيبويه للدلالة الزمنية للفعل المضارع يبرز البعد التنظيري واقترابه من النص

بتناوله لمساحة أكبر من تداعيات الزمن في الفعل المضارع الذي لا يمكن أن يناقش

إلا من خلال القرائن الكثيرة التي تتفاعل معه ، والتي يغلب عليها أن تكون لفظية

ومن قبيل الدواخل الفعلية.

• زمن الفعل المضارع صرفياً:

أ- دلالاته على الحال ب- دلالاته على الاستقبال

يعبر سيبويه عن الفعل المضارع زمنياً بشكلين من الأبنية الزمنية؛ أولاً: بناء ما لم يقع ، وثانياً: بناء ما لم ينقطع ؛ يقول: "وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك.. مخبراً يقتل ويذهب ويضرب، ويقتل ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت"^(١).

وقد جعل كلام سيبويه هذا من بعده من النحاة يقولون إن المضارع عنده حمل دلالاتي الحال والاستقبال، وهو الرأي الذي أخذ به جمهور النحاة إلا أن آخرين كانت لهم آراء أخرى ظهرت في أربعة اتجاهات ذكرها السيوطي في الهمع^(٢) وهي:

أولاً: صيغة المضارع لا تدل إلا على الحال، أما المستقبل فهو غير محقق الوجود.

ثانياً: صيغة المضارع لا تدل على الحال ؛ لأن كل حرف ينطق يصرف للماضي. ثالثاً: صيغة المضارع تدل على الحال على سبيل الحقيقة ، وعلى الاستقبال على سبيل المجاز لدخول القرائن.

رابعاً: صيغة المضارع حقيقة في المستقبل مجاز في الحال.

ويعلق طالب الزوبعي على جميع الأوجه المطروحة في دلالة المضارع على الزمن ، فيرى أن وجهة نظر سيبويه هي الأقرب إلى الواقع اللغوي؛ يقول: "لأن صيغة "يفعل" لا تدل على زمن معين وأن تعيين الزمن يتوقف على قرينة معنوية، سياق الكلام وهو الأهم في تحديد الدلالة الزمنية، أو على قرينة لفظية .. أو على قرينة ظرفية (زمانية) ، وهو يرى أن حجج الآراء الأخرى جدلية غير مهمة."^(٣)

(١) سيبويه، الكتاب ج ١ ص ١٢.

(٢) جلال الدين السيوطي، معجم الهوامع في شرح جمع الجوامع، ج ١، ص ١٧-١٨.

(٣) طالب الزوبعي، معجم الجملة القرآنية ، ص ١٠٠.

والزوبعي، إذ يرى ذلك ، فإنه يفهم من كلام سيبويه "أن صيغة "يفعل" تفيد الزمن الحاضر، أو الزمن الحاضر المتصل بالمستقبل، بدلالة السياق أو المقام أو حال المخبر عنه.^(١) وإذا قال هو يفعل : أي هو في حال فعل"^(٢) يقتبسه من كلام سيبويه، ويستدل على ذلك أيضاً من قول سيبويه: "متى يسار عليه وهو يجعله ظرفاً. فيقول : اليوم أو غداً"^(٣).

واضح أن فهم الزوبعي يبتعد قليلاً عما قاله سيبويه في نصه فسيبويه جعل المضارع لزمنين هما الحاضر والمستقبل، وهذا جلي في الأمثلة التي طرحها الزوبعي نفسه حول الظروف التي تتفاعل مع المضارع وهما اليوم أو غداً، اللذان ورد استخدامان لهما في المعلقات وقد اقترنا بالفعل المضارع، أما " اليوم" ففي قول الحارث بن حلزة اليشكري:

لا أرى من عهدتُ فيها فأبكي اليومَ دلها وما يحير البكاء^(٤)

يقول : لا أرى من عهدت من أحبائي في هذه المنازل ، فأنا اليوم أبكي شوقاً إليهم، أي حين رأيت آثارهم تذكرت ما كنت فيه منهم ، فهاج ذلك إلى البكاء.^(٥) ويبيّن أن الظرف " اليوم" استطاع أن يحدد الفعل (فأبكي) بزمان معين دون سواء وهو الحال ، كما وأنه سحب الزمن نفسه على الفعل (يحير) الذي يكون في تركيبه خارج المعطى (اليوم) دالاً على الحكمة المتجذرة في الفكر الجمعي فيما يشبه القول السائر "ما يحير البكاء".

وأما غداً فقد ورد في سياق أكثر تعقيداً وهو قول طرفة بن العبد:

كريمُ يرؤي نفسه في حياته ستعلمُ إن مبتا غداً أينما الصدي^(٦)

(١) المصدر السابق ص ١٠٠.

(٢) سيبويه : الكتاب، ج ٣، ص ١١٧.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٢١٦.

(٤) رواية البيت عند الأنباري: لا أرى من عهدت فيها فأبكي اليوم دلها وما يرد البكاء. ص ٤٣٦. عند الزوزلي ص ٢١٧.

(٥) الأنباري، الشرح ص ٤٣٦.

(٦) الأنباري ص ١٩٨. وعند الزوزلي ص ٨٤.

يقول : أنا كريم يروي نفسه أيام حياته بالخمير ، ستعلم إن متنا غداً أينما العطشان ، يريد أنه يموت ريان وعاذله يموت عطشان. (١)

وقد حملت "غداً" في دلالتها على الاستقبال فعلين إلى جانبها ؛ وهما (ستعلم) و (إن متنا) ، وقد اقترن كل واحد منهما بدواخل فعلية تصرفه إلى المستقبل ؛ حيث ارتبط الفعل "تعلم" بالسين التي هي عند سيبويه لصرف الحاضر إلى الاستقبال ؛ يقول : "إذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان" (٢) . وهو كذلك يربطه بالظرف ؛ يقول : "... وتقول . سأذهب غداً" (٣) وكذلك : "سأتيك غداً" (٤) . كما أنه يعد "سأتيك أمس" من المحال من الكلام. (٥) ومعنى ذلك كله أنه يقيم بشكل مستقل لكل بناء منهما حكماً عاماً ينطلق منه .

ولذلك فإن استدلال الزوبعي بأن سيبويه يعبر بالمضارع عن الحاضر المتصل بالمستقبل غير وارد لا سيما وأنه في سياق حديثه عن الزمن الحاضر المتصل بالمستقبل لا يشير البتة إلى سيبويه ، بل الأغرب من ذلك أنه لا يأتي برأي نحوي يقول بهذه الدلالة الزمنية ، فضلاً عن كون مناقشاته عنها مسئلة من الشروح لبعض آيات القرآن الكريم ، والتي تجعله يستنتج : "أن صيغة يفعل" الدالة على التشريع - أي سن قانون - يكون زمن عبارتها الحاضر المتصل بالمستقبل" (٦) .

* قرائن تحمل الفعل المضارع إلى الاستقبال :

أ- السين وسوف :

يذكر سيبويه السين وسوف على أنهما حرفان لا يفصل بينهما وبين الفعل ، بمعنى أنهم دواخل فعلية ، وقد تقرر عنده أنها تصرفان المضارع إلى الاستقبال ؛ قال : "... وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل من الزمان" (٧) .

(١) الزوزني ، شرح المعلفات السبع ص ٨٤ .

(٢) الكتاب ، ج ١ ص ٣٥ .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥ .

(٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥ .

(٥) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥ .

(٦) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥ .

(٧) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٥ .

وهو يقرنها بعد ذلك بالظرف غداً الدال على الاستقبال "سأذهب غداً" ومعنى ذلك أن سيبويه يقرر أن "يذهب" هنا ليست للدلالة على الزمن المستقبل في ذاتها، وإنما استخدمت كقرينة ثانوية تتحمل قرينة لفظية مؤثرة هي السين وسوف لتصرف إلى الاستقبال، وعليه فتركيب الصيغ الفعلية تتواجد ضمن بعدين رئيسيين هما العمادة والداخل الفعلي؛ أما العمادة فهو الصيغة الفعلية التي تؤثر مباشرة في التركيب الصيغي ومن خلاله بالزمن، وأما الداخل فهو عنصر اعتمادي لا يدخل عشوائياً على العمادة ولكنه يعتمد على شروطها.

وفي سوف يذكر سيبويه أنها للتنفيس أي التوسيع^(١)، ولكنه لا يذكر مقدار التوسيع في ذلك، كما وأنه لا يميز بين السين وسوف في استخدامها ودلالاتها على المستقبل، يقول السيرافي: "و.. والسين وسوف إذا دخلا على الفعل صارا من صيغة الفعل بمنزلة الألف واللام إذا دخلا على الاسم، وذلك أنهما إذا دخلا على الفعل خلصاه للمستقبل بعينه كتخليص الألف واللام الاسم لواحد بعينه"^(٢)، وهو يرفض تعبيراً من قبيل: "إن زيدا سوف يقوم الآن" لأنه يجمع بين معنيين متضادين^(٣).

أما النحويون بعد ذلك فقد أخذوا يناقشون الاستقبال ومدته في السين وسوف؛ فذهب الكوفيون إلى أن السين مقتطعة من سوف، حصل ذلك بدافع كثرة الاستعمال، بينما ذهب النحويون في التفريق الزمني بين الكلمتين في عدة اتجاهات لعل أبرزها القول: إن سوف أشد تراخياً في الاستقبال؛ يقول الزمخشري: "وفي سوف دلالة على زيادة التنفيس"^(٤). وقد ذهب ابن يعيش إلى الرأي نفسه؛ يقول: "سوف أشد تراخياً في الاستقبال من السين وأبلغ تنفيساً"^(٥).

(١) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٣.

(٢) أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج ١، ص ٧٨.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ١٠٢.

(٤) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص ٤٣٥.

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٨، ص ١٤٨.

في حين أن ابن هشام لم يقطع في هذه القضية ؛ فقال في سوف إنها: "مرادفة للسين أو أوسع منها على الخلاف" (١)؛ فهو يستخدم "أو" التي تفيد التخيير. أما النحويون المحدثون فقد اختلفوا في ذلك؛ يقول عصام نور الدين: "وليست مدة الاستقبال مع السين أضيق منها مع سوف خلافاً للبصريين، وكأن القائل بأنها أوسع من السين نظراً إلى كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى وليس بمطرد" (٢).

أما تمام حسان فيرى أن "سيفعل" للمستقبل القريب "وسوف يفعل" للمستقبل البعيد" (٣).

ويرى طالب الزوبعي من خلال استعراضه لبعض الآيات القرآنية المستخدم فيها السين وسوف وشرحها في كتب التفسير، أن دلالتها لا تكون محددة في المستقبل القريب أو البعيد إلا بتحديد السياق لذلك ولكن الفعل واقع لا محالة بفعل ما يقرره النص القرآني في أغلب مواضعه. (٤)

ولحسم هذه المسألة عدنا إلى نصوص المعلقات، فرصدنا المواضع التي وردت فيها السين وسوف، فكانت ستة مواضع في خمسة أبيات، اثنين لطرفة بن العبد، واثنين لزهير بن أبي سلمى، وواحد لعمر بن كلثوم، أما الأربعة الأولى فاستخدمت فيها السين؛ يقول طرفة بن العبد:

كريم يروي نفسه في حياته
ستعلم إن متاعداً أينما الصدي (٥)
وقوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً
ويقول زهير بن أبي سلمى:

وقال ساقضي حاجتي ثم أتقي
عدوي بألف من ورائي ملجم (٦)

(١) ابن هشام ، مغلي اللبيب، ص ١٤٦.

(٢) عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ص ٧٨.

(٣) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، جدول ص ٢٤٥.

(٤) طالب الزوبعي، معجم التهجئة القرآنية ، ص ١٨١- ١٨٦.

(٥) الألبازي ص ١٩٨. وعند الزوزني ص ٨٤.

(٦) الألبازي ص ٢٣٠. وعند الزوزني ص ٩٧.

(٧) الألبازي ص ٢٧٦. وعند الزوزني ص ١١٤.

وقوله:

سألنا فأعطيتم وعُدنا فعدتم ومن أكثر التسأل يوماً سيحرم^(١)

ويلاحظ في هذه الأربعة الأبيات التي شملت على أفعال مضارعة اتصلت بالسین أنها ارتبطت بشكل مباشر من حيث حدوثها سواء على مستوى الزمن، أو التركيب بأفعال أخرى غير مقترنة بالسین، بل مقترنة بقرائن زمنية تركيبية أخرى تحدد اتجاهاتها. فالبيت الأول: ارتبط فيه الفعل: "ستعلم" بحدوث "إن متنا" حيث إن كليهما انصرف للمستقبل، ولكن "إن متنا" هو الأسبق وغير المحدد بمستقبل بعينه في حين جاءت "ستعلم" مستقبل يتبع حدوث الموت، فهو محدد بمستقبل دون عينه قريب من حدّه الموجب لحدوثه كما بينا سابقاً.

وأما قوله:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود^(٢)

المتبوع بقوله:

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتوا لم تضرب له وقت موعد^(٣)

ففي هذين البيتين يوجد فعل يقود جميع الأفعال الأخرى زمنياً لأنه يأتي قبلها في التركيب الجملي فضلاً عن كونه يحتوي قرينة محددة وهي "ستبدي" ثم يأتي بعده فعلاً: هما: "يأتيك" و "يأتيك" في البيتين وكلاهما يحمل قرينة تركيبية تؤدي معنى العطف هي الواو؛ ولذلك فوجود هذه القرينة يحمل مهمة تحميل الزمن لمرافقتها تبعاً لزمن ما جاء الفعل معطوفاً عليه، وإذن: ما هو الزمن الذي يحمله الفعل "ستبدي"؟ من خلال النص يظهر أن الفعل "ستبدي" لم يحدد وحده دلالة الزمن، بل إنه ارتبط بجملته عبرت عن اتجاه زمني معين وهي "ما كنت جاهلاً" وهذه الجملة تتكون من "ما" بمعنى "الذي" وبغدها "كنت" التي تعبر عن الماضي، ثم اسم الفاعل "جاهلاً" الذي يحمل دلالة

(١) هذا البيت غير مروي عند الأنباري، وهو عن الزوزني ص ١٢٣

(٢) الأنباري، ص ٢٣٠. وعند الزوزني ص ٩٧

(٣) رواية هذا البيت عند الأنباري: سيأتيك بالأخبار من لم تبع له بتاتوا ولم تضرب له وقت موعد. ص ٢٣١. ورواية البحث

للزوزني ص ٩٧

الاستمرار ، وعليه فإن التركيب كله يعبر عن زمن مستمر في الماضي، ويتصل بجملة "ستبدي لك الأيام" والتي تتكون من السين والفعل المضارع الذي يدل على الاستقبال، وهنا يتشكل المفهوم الزمني التالي:

"الذي كنت تجهله في الماضي ستبديه لك الأيام"

وفي هذا التركيب انصهر الحاضر في لحظة التكلم، وبدا أن الفعل المستقبل "ستبدي" سيظهر مباشرة بعد انتهاء التكلم ليستمر في المستقبل . ثم تأتي بعد ذلك الأفعال المعطوفة "ويأتيك بالأخبار من لم تزود" فتتسحب على المستقبل بالطريقة نفسها، لا سيما وأنها تقترن بأفعال ماضية زمنياً تتألف من أسلوب النفي "لم+الفعل المضارع" والفعل "لم تبع له" حيث ارتبط بالماضي "بعت" و"ضربت" في "ولم تضرب له وقت موعد".

وأما قول زهير:

وقال ساقضي حاجتي ثم أتقي عدوي بألفٍ من ورائي ملجماً^(١)

ورد عند الزوزني في شرح هذا البيت: وقال حصين في نفسه، ساقضي حاجتي من قتل قاتل أخي، أو قتل كفؤ له ثم أجعل بيني وبين عدوي ألف فارس ملجأ فرسه أو ألفاً من الخيل ملجماً^(٢). يلاحظ أن الفعل: "ساقضي" جاء بعد قول حصين ، مما يشير إلى أنه بمجرد أنه انتهى من قوله كان عازماً على قضاء حاجته فهي إذن كانت قريبة بعد لحظة القول: التي حددت مدتها الزمنية ولذلك فزهير يتبع هذا بقوله:

فشدد فلم يفرغ بيوتاً كثيرةً لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم^(٣)

فالفعل "فشدد" جاء معطوفاً بالفاء التي تفيد الترتيب على "قال" أي أن الفعلين تتابعا دون مهلة زمنية طويلة بينهما؛ ولذلك فقد انحصر الفعل المستقبل

(١) الألباري ص ٢٧٦. وعند الزوزني ص ١١٤

(٢) الزوزني، شرح المعلقات السبع، ص ١١٤

(٣) رواية البيت عند الألباري: فشدد ولم يلظر بيوتاً كثيرة لدى حيث ألفت رحلها أم قشعم. ص ٢٧٧. أما عند الزوزني رواية

البحث ص ١١٤

"ساقضي" بين الفعلين فغدا محددًا جداً قريباً من كليهما، ثم يأتي الاستعمال

الأخير للسين في المعلقات على الاستقبال في قول زهير:

سألنا فأعطيتم وعُدنا فعدتُم وَمَنْ أَكْثَرُ التَّسَالِ يَوْمًا سِيحَرَمُ^(١)

وفي هذا البيت أيضاً تتكرر فكرة ارتباط الفعل المقترن بالسين بحدث معين يحدد به زمانه، ففي الحين الذي سيكثر فيه التسال سيحرم؛ وعليه فإن هذا الفعل تحدد بقرب حدوثه من الحدث الآخر الذي تعلق به.

أما "سوف" فوردت في المعلقات مرة واحدة عند عمرو بن كلثوم في قوله:

وإنَّ سوف تُدرِكنا المنايا مَقْدَرَةٌ لَنَا وَمُقَدَّرِينَا^(٢)

وإذا تتبعنا البيت الذي قبله والآخر الذي بعده كانا على التوالي:

وكأسٍ قد شربتُ ببعلبك وأخرى في دِمَشقٍ وقاصرينا^(٣)

قفِّي قبل التفرق ياظعيناً نخبِّرك اليقينَ وتخبرينا^(٤)

نلاحظ أن البيت الواردة فيه "سوف والفعل المضارع" جاء منفصلاً في معناه التركيبي عن البيت الذي قبله والآخر الذي بعده، كما أن الفعل "سوف تدرِكنا" جاء غير مرتبط بأي فعل آخر يساعد على تحديده بزمان بعينه، ولذلك فإنه جاء على معنى أن الموت قادم، ولكنه ليس قدوماً سريعاً، والذي دل على ذلك السياق، فالشاعر يفخر بنفسه وبقيبلته وبكل شيء يتعلق به؛ ولذلك فإنه في سياق الفخر يظهر الموت بعيداً، ويسعى إلى اقتناص أي فرصة للحياة والمتع قبل أن يأتي الموت الذي يراه بعيداً لأنه يتمناه كذلك، ويثق بتحقيق ما تمنى لأنه قوي فلو كان مريضاً أو تعيساً لشعر بقربه منه.

وبمراجعة المواضع التي ظهر فيها حرفا الاستقبال "السين و سوف" في المعلقات، فسنستنتج أن السين جاءت دائماً مرتبطة بفعل يحددها زمناً لوجود

(١) هذا البيت غير وارد في رواية الأتباري. وهو عند الزوزني ص ١٢٣

(٢) الأتباري ص ٣٧٤، وهو عند الزوزني ص ١٦٧

(٣) هذا البيت غير وارد في رواية الأتباري.

(٤) الأتباري ص ٣٧٥، ص ١٦٧

ارتباط مباشر بينها وبين الفعل المرتبطة به، في أن المرة الوحيدة التي وردت فيها "سوف" في التعليقات كانت تعبر وحدها عن الزمن في سياقها.

وعلى الرغم من أن سياقات التعليقات تقرر حقيقة أن السين تستخدم للمستقبل القريب وأن "سوف" تستخدم للمستقبل البعيد، فإننا لا يمكن أن نقطع بذلك تماماً حيث إن مادة الاستقراء اللغوي لم تكن واسعة لتخرج بنتائج قاطعة في الوقت نفسه الذي تظهر الآيات القرآنية التي احتج بها بعض من ذكرنا تقرر أن السين وسوف تتناوبان زمنياً حسب السياق دون القطع بتحديدتهما للقرب والبعد في المستقبل بنفسهما.

* أن

يتحدث سيبويه في كتابه عن "أن" الناصبة للفعل المضارع، ويشير إلى أنها من الحروف التي لا يفصل بينها وبين الفعل^(١)، فهي من دواخل الفعل التي تعمل فيه، وهو يبين أن "أن" تحمل على تلك الأفعال لتقريب الأمور عندما تقع في أخبارها. ويذكر طالب الزوبعي أن دخول "أن" المخففة من الثقيلة يزيد دلالة "يكاد" على قرب الحدث. وتبين سابقاً أن في "يكاد" دلالة على الاستقبال وهي عند الزوبعي فسي "أن" تقترب أكثر^(٢). وقد علق السيرافي على كلام سيبويه في "أن"؛ يقول: "...أما الخفيفة فهي أم الحروف في هذا الباب، يريد المضارعة، والغالبة عليه، والقوية فيه، وهي إذا وقعت على الأفعال المضارعة خلصتها إلى الاستقبال ونصبته". والزمخشري يرى أنها إذا دخلت على المضارع خلصته إلى الاستقبال، وأنه لا بد منها في خبر "عسى"^(٣)، وهو عندما يذكر ذلك يريد أن يخرج منه إلى قول الشاعر:

عسى طيء من طيء بعد هذه ستطفئ غلات الكلى والجوانح^(٤)

(١) سيبويه، الكتاب ج ٣ ص ١٦١.

(٢) طالب الزوبعي، معجم الجملة القرآنية، ص ٥٨.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ٨٥ ص ١٤٨.

(٤) الشاهد لقسام بن رواح/ معجم شواهدج النحو الشعرية، حنا حداد/ دار العلوم للطباعة والنشر / ١٩٨٤ / ط ١ / الرياض/ المملكة العربية السعودية.

حيث يرى أن الشاعر جاء بالسين وهي نظيرة "أن" فيثبت لديه أنها للاستقبال، ويعلل ابن يعيش دخول "أن" في خبر "عسى" أنها تأتي للرجاء والطمع الذي يكون فيما يستقبل من الزمان ومن هذا المنطلق أمكن للسين أن تدخل السياق بمنزلة "أن" (١).

ويشير ابن هشام إلى أن هذا الشاهد يأتي ليدل على وقوع السين في خبر "عسى" على الندرة وتكون "عسى" عندها ناقصة (٢).

وأما علماء اللغة المحدثون فقليل منهم من أشار إلى دلالة الاستقبال في "أن" مع أنها، كما رأينا، طرحت كثيراً عند النحاة القدماء؛ فهم قد رأوا أنها لا تستحمل هذه الدلالة وحدها، ورغم ذلك نجد بعضهم مثل عصام نور الدين يقول: "أن الفعل المضارع يتعين للاستقبال إذا اتصل بأن، وهي حرف يصرف الفعل المضارع إلى الاستقبال، وتكون وإياه ما يعرف بالمصدر المؤول الذي يراد به معنى الزمن المستفاد من الفعل بعكس المصدر الصريح (٣).

وردت "أن" المتبوعة بالفعل المضارع في المعلقات، في عدة مواضع ضمن شكلين؛ أما الشكل الأول فيتكون من:

فعل مضارع + أن + فعل مضارع

وأما الشكل الثاني فيتكون من :

فعل ماض + أن + فعل مضارع

ويتمثل الشكل الأول في قول عمرو بن كلثوم:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا (٤)

يقول: على آثارنا في الحرب نساء بيض حسان نحاذر عليها أن تسبها الأعداء فنقسمها وتهينها (٥)، ومعنى ذلك أن ما يحذره الشاعر باستمرار لم يقع بعد، وهو

(١) ابن يعيش، شرح المفصل ج ٨ ص ١٤٨.

(٢) ابن هشام مغني اللبيب ص ١٦٠.

(٣) عصام نور الدين . الفعل والزمن ص ٨٤.

(٤) الألباري ص ٤٢١ . وعند الزوزني ص ١٨٥.

(٥) الزوزني ، شرح المعلقات السبع ص ١٨٥.

يستمر في منع وقوعه؛ وعليه فإن المضارع الذي سبق "أن" استطاع أن يمنع حدوث الفعل المضارع الذي لحق "أن" وما زالت المحاذرة موجودة، والفعل بعد "أن" ممكن الحدوث طالما الحروب مستمرة.

وأما الشكل الثاني فيتمثل في قولي عمرو بن كلثوم:

إذا ما الملك سَامَ النَّاسَ خُسْفًا أبينا أن نُقَرَّ الذَّلَّ فِينَا^(١)

وقوله:

فإن قَنَاتَنَا يا عمرو أَعِيَتْ على الأعداءِ قبلك أن تَلِينَا^(٢)

يختلف هذا الاستخدام عن سابقه في أن الفعل الماضي الذي يسبق التركيب الصيغي قد غير في دلالات الزمن في السياق، ففي حين إن الفعل المضارع المرتبط بـ "أن" كان مستقبلاً بالنسبة للفعل المضارع الذي قبله فإنه عندما تقدم الفعل الماضي المنقطع التركيب الصيغي فقد جعله منقطعاً مثله، وبالتالي فهو ليس ممكن الحدوث طالما أن الفعل الأول قد انتهى ولم يعد ممكن الحدوث.

ولقد ورد مثال آخر على الشكل الثاني، حدث فيه تغيير تركيب، حيث دخلت "قد" على الفعل الماضي السابق للتركيب الصيغي؛ يقولك عنتر:

ولقد خَشِيتُ بأن أموت ولم تُدر للحرب دائرة على ابني ضمضم^(٣)

فالشاعر هنا يتحدث عن إحساس بالخشية كان يساوره في أن يموت قبل أن تدور الحرب، فالموت بالنسبة إليه كان مستقبلاً وكذلك الحرب، ولكن ها هو الآن يتحدث وقد زالت الخشية، ودارت الحرب، ولم يمت، بمعنى أن الموت كان هو المستقبل المطلوب بالنسبة للأفعال المسائرة له، فإن قال قائل: لم لا نقول إن الموت حدث مستقبلاً بالنسبة للخشية سابق للحرب بدليل أنه كان من الممكن أن يقع دون أن تدور الحرب، قلنا إنه لو كان ذلك كذلك لذهبت الخشية، والشاعر عندما قال ما قاله كان كل شيء قد حدث واكتفى هو

^(١) رواية الأنباري ص (٤٢٥) إذا ما الملك سَامَ النَّاسَ خُسْفًا أبينا أن يقر الخسف فينا. وهو عند الزوزلي ص ١٨٩

^(٢) الأنباري، ص ٤٠٤. وعند الزوزلي ص ١٧٩

^(٣) رواية البيت عن الأنباري: ولقد خَشِيتُ بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابني ضمضم، ص ٢٦٣. وهو في شرح

الزوزلي ص ٢١٤

بحكايته؛ وبالتالي فإنه لم يكن ممكناً افتراض شيء لم يقله الشاعر وعليه فإن
الذي يحكم السياق هو عناصر التكلم المعجمية.

ب- إذن / كي

ذكر سيبويه هذين الحرفين في كتابه وبين أنهما يشبهان "أن" في عملها ؛
فهما حرفان يدخلان على الفعل المضارع يحضانه للاستقبال^(١).

أما "إذن" فيقول فيها سيبويه: "... ولو قلت : إذن أظنك . تريد أن تخبره أن
ظنك سيقع لنصبت"^(٢) وهو في هذا يحدد شرط دلالة الاستقبال بالنصب. ويعلق
السيرافي على الاستقبال في "إذن" فيقول: "... وأما إذن فإنها إذا وقعت أولاً
نصبت، وإنما ينصب بها لأنها تكون جواباً، وما بعدها مستقبل لا غير ، وذلك إذا
قال لك إنسان : أنا أودك. قلت: إذن أكرمك. وإنما أردت إكراماً توقعه في
المستقبل ، فصارت بمنزلة "أن" في وقوعها للمستقبل من الأفعال"^(٣). ومثل هذا
الكلام ذكره صاحباً مغني اللبيب^(٤) وشرح المفصل^(٥).

وقد تطرق بعض المحدثين لدلالة إذن على الاستقبال فرأى علي جابر
المنصوري أنها للمستقبل القريب^(٦). وهذا تحديد لم يذكره سيبويه ولا من ذكرناهم
من قدماء النحويين، بل إن سيبويه اقتصر على كونها للاستقبال دون تقييده إذا
نصبت ما بعدها. وهي للحال إن رفعت؛ يقول: "... إذن إخالك كاذباً. وذلك لأنك
تخبر أنك في تلك الساعة في حال ظن وخيلة"^(٧). ولم يشر أبداً إلى تحديد أكثر من
ذلك.

أما في المعلقات فلم يرد أي استخدام لـ "إذن" في أي من أحوالها الناصبة
أو الرافعة، وعليه فإننا نأخذ برأي سيبويه لأنه عمدة درسنا، فنقول إن سيبويه قد

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ١٦، ج ٢ ص ٥.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ١٦.

(٣) أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج ١، ص ٨٤.

(٤) ابن هشام ، مغني اللبيب ص ٣١.

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج ٧، ص ١٦.

(٦) علي جابر المنصوري ، الدلالة الزمنية في الجملة العربية ص ١٨.

(٧) سيبويه ، الكتاب، ج ٣، ص ١٦.

نظّر لدلالة "إذن" على الزمن ، فرأى أنها داخل فعلي يلتصق بالفعل مباشرة في الأغلب، إلا أنه قد يفصل عنه بالقسم ؛نحو: " إذن والله أجيتك"^(١). ويبقى على عمله في الفعل، وشروطه أن يدخل على فعل مضارع، فينصب أو يرفع للدلالة على الاستقبال أو الحال حسب القرينة الإعرابية، وبالتالي فهو في تركيبه الصيغي يتفاعل ضمن ثلاث قرائن:

أولاً: وجوده .

ثانياً: وجود الفعل المضارع.

ثالثاً: الحالة الإعرابية.

أما " كي" فيتحدث سيبويه عنها حديثاً عاماً؛ فهي تنصب الفعل المضارع بعدها. أي أنها من الحروف النواصب^(٢) ؛ نحو: " جئت لك تفعل". ويشرح ذلك السيرافي؛ يقول: " وإنما نصبت ،يريد كي، من قبل أن الذي يقع بعدها مستقبلاً"^(٣).

وفي المعلقات هي مثل "إذن" لا يرد أي شاهد عليها. وعليه فيمكن أن نوجز الحديث في هذين الحرفين "إذن ، كي" بأن سيبويه يذكر دلالتها الزمنية بشكل عام دون تحديد ، فضلاً عن عدم وجود شواهد عليهما في المعلقات . وعلى الرغم من ذلك فقد ذكر بعض المحدثين ، دلالتها على الاستقبال ؛ فيذكر عصام نور الدين أن "كي" حرف للتعليل والتعليل استقبال، و"إذن" حرف يتصل بالفعل ويشير للاستقبال^(٤). ونحن إذ نوافق على أكثر ما قيل فيهما فإننا نرى أن شرط الاتصال المباشر، إذا أراده فعلاً، في أعمال "إذن" ودلالاتها على الاستقبال مجاوز لما قاله سيبويه الذي ذكر أن القسم قد يفصل بينها وبين الفعل ويبقى عمله.^(٥)

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ١٢.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٥.

(٣) أبو سعيد السيرافي، شرح كتاب سيبويه، ج ١ ص ٨٣.

(٤) عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ص ٨٤.

(٥) سيبويه ، الكتاب ج ٣، ص ١٢.

ثالثاً: فعل الأمر

- زمن فعل الأمر صرفياً:

ورد ذكر فعل الأمر دالاً على الزمن عند سيبويه في موضع واحد من كتابه تحت باب " علم ما الكلم من العربية " يقول: " وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك أمراً: اذهب واقتل واضرب " (١). هذا من الناحية الزمنية أما من حيث البنية فإنه يقيمه على وزن " افعل " إلا أنه في موضع آخر من كتابه يشير إلى مثاله المتكون من صيغة الفعل المضارع المقترن بلام الأمر؛ نحو: " لتضرب " الذي يرى سيبويه أنه تعرض لحذف واستغنى عنه بـ " اضرب " (٢).

وهذا الكلام يعزز فكرة الزمن في فعل الأمر، وهي فكرة أخذ كثير من النحويين بعد سيبويه بركابها؛ حيث رأوا أن الأمر بناء ما لم يقع؛ يقول أبو علي الفارسي: " ومما يختص بالاستقبال من هذه الأمثلة - يريد الأفعال - جميع أفعال الأمر " (٣).

وقد عزز السيرافي في شرحه الكتاب هذه الفكرة عندما رأى أن الأمر يدل على الاستقبال ، لكنه ينقص عن منزلة نظائره من الأفعال المستقبلية (٤). وأياً كان هذا الرأي الذي طرحه سيبويه ومن أخذ به؛ فإنه لم يكن الرأي الوحيد؛ حيث رفضته المدرسة الكوفية أولاً عندما قسمت الأفعال، إلى ماض ومضارع ودائم، فهذا تقسيم زمني ، ولم يجعلوا الأمر من ضمنها، مما يفهم منه أنهم لا يرون زمناً فيه، أي إنهم يجرّدون هذه الصيغة من الزمن.

وقد ورد عند ابن السراج أن الفعل ما دل على معنى وزمان ، وذلك الزمان إما ماض أو حاضر أو مستقبل فالماضي كقولك " صلى زيد: يدل على أن الصلاة كانت فيما مضى من الزمان، والحاضر كقولك: يصلي : يدل على

(١) سيبويه ، الكتاب ، ج ١، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق ، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) أبو علي الفارسي، المسائل العسكرية، ص ٣٨.

(٤) السيرافي ، شرح كتاب سيبويه، ج ١، ص ٨٧.

الصلاة و على الوقت الحاضر ، والمستقبل نحو سيصلي يدل على أن ذلك يكون فيما يستقبل من الزمان.^(١)

وقد احتج طالب الزوابعي على الرأي القائل بخلو فعل الأمر من الزمن بالمثال السابق لابن السراج، وذهب إلى أن ابن يعيش يرى وجهة النظر نفسها.^(٢) وتبين عند ابن يعيش أن هذا الكلام يرد في التقسيم العام للأفعال^(٣)، في حين إنه عندما يتحدث عن فعل الأمر وهو يقرر فعليته؛ يقول: " زمن الأمر المستقبل"^(٤). وهذا يعني أن التعميم في كون التقسيم الزمني للأفعال إذا خلا من ذكر الأمر مباشرة فهو لا يعني إلغائه تماماً فيما اتضح جلياً عند ابن يعيش.

ذكر عصام نور الدين أن فعل الأمر ينظر إليه عند النحويين ضمن أربعة اتجاهات^(٥)؛ هي:

أولاً: دلالاته على الحال.

ثانياً: دلالاته على المستقبل.

ثالثاً: دلالاته على الحال والمستقبل.

رابعاً: منع دلالاته على الزمان.

ولما كانت الاتجاهات الثلاثة الأولى تفر الدلالة الزمنية في فعل الأمر في حين يمنع الاتجاه الرابع ذلك ، فإن صراعاً قوياً قام بين داعمي الرأي الأول وداعمي الرأي الثاني الذين كان الأصوليون على رأسهم، عندما جعلوا دلالة فعل الأمر تنصب على إفادة الطلب، الذي يخرج إلى معانه عدة من أبرزها: الوجوب، والندب، والإرشاد، والإباحة، والتأديب، والامتنان، والإكرام، والتهديد، والتسخير، والإهانة، والتسوية وغيرها من المعاني الكثيرة التي عجت بها النصوص اللغوية، مما لا يمكن ملاحظته إلا بالنظر والفهم.

(١) ابن السراج، الأصول في النحو، ص ٣٨-٣٩.

(٢) طالب الزوابعي ، معجم الجملة القرآنية ، ص ٢٧٥.

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل، ج ٧، ص ٤.

(٤) المصدر السابق، ج ٧، ص ٥٩.

(٥) عصام نور الدين ، الفعل والزمن ص ٩٣.

ومن جراء ذلك فقد أثبتت فكرة خلو فعل الأمر من الزمن، وبدأ كثير من

دراسي اللغة المحدثين ببحث القضية معتمدين أكثر الاعتماد على الجوانب النظرية الفلسفية مما زاد اعتقادهم بصدق هذه الفكرة؛ يقول مالك المطليبي: "...أن صيغة الأمر صيغة فعلية مفرغة من الزمن"^(١) معتمداً في ذلك على أنها من قبيل الزمن الإلزامي.

وهذا الكلام مردود بشكل كلي لأن الفعل كما ورد عند ابن يعيش، لم يوضع دليلاً على الاقتران نفسه، وإنما وضع دليلاً على الحدث المقترن بالزمان^(٢) بمعنى أننا إذا افترضنا حدوث الفعل، فعملية الحدث هي التي عدت مستقبلاً لا الصيغة نفسها، وهذا قد يُلْمَح للوهلة الأولى بتجرد فعل الأمر من الزمن، ولكن لنرد ذلك نستعرض ما قاله عبد الهادي الفضلي، الذي اقر أن فعل الأمر هو أسلوب إنشائي معتمداً في قو له هذا على ثلاثة من المستويات في قراءة فعل الأمر، ويضرب الفعل "اقرأ" مثلاً على ذلك في مستوياته الثلاث^(٣):

١- التلفظ، ويعني به الصوت المشتمل على لفظ "اقرأ".

٢- المعنى، وهو طلب إيقاع القراءة في الخارج.

٣- الامتثال، وهو إيقاع القراءة في الخارج.

ويعلق: "فالتلفظ والامتثال باعتبارهما حدثين لا بد من اقترانهما بزمان، وزمان التلفظ هو الحال، وزمان الامتثال هو المستقبل، أما المعنى فلائه ليس بحدث، لا اقتران له بالزمان"^(٤)

وهذا الكلام قد ينطبق على أي فعل ماض أو مضارع يدل على المستقبل النسبي أو المطلق، حيث يكون هناك زمن تلفظ، وآخر زمن حدث، ويبقى

^(١) مالك المطليبي، الزمن واللغة، ص ١٢٣.

^(٢) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٧، ص ٣.

^(٣) عبد الهادي الفضلي، دراسات في الفعل، ص ٥٣.

^(٤) المصدر السابق، ص ٥٣.

المعنى ملزوماً بالزمن كالمصدر لا يحمل دلالة الزمن على معنى التجدد ، بمعنى أننا إذا تجاهلنا الزمن في فعل الأمر فنظهر وكأننا نرفض أن يتحقق لأننا ببساطة نهمل في ذلك واحداً من مقدماته، وابن يعيش يقول في صدد تفريقه بين الفعل والمصدر: "الزمان من لوازمه ، يريد المصدر، وليس من مقوماته"^(١).

وقد ذهب محمد عبد الرحمن الريحاني مذهباً نظرياً جيداً عند ما رأى أن فعل الأمر يدخل من قبيل أفعال المضارع المستقبلية التي يتوقع حدوثها ولم تقع فهو "طلب حدوث شيء في وقت الحال المخبر عنه لم يحدث"^(٢).

وفكرة كهذه التي يطرحها الريحاني في النهاية تقف صامدة أمام الآراء المعارضة ، التي رأت أن الحدث في فعل الأمر غير واقع إلا بعد زمان التكلم وبالتالي فإن فعل الأمر نفسه لا علاقة له بالحدث.

بل إن محمود السمره يذهب أبعد من ذلك، عندما يشكك في وقوع فعل الأمر، فيرى أنه فعل في صيغته الصرفية وحقيقته اللغوية، أما في حقيقته الواقعية فلا^(٣).

وهذا السراي تعوزه الدقة، ذلك أنه يشير بكلامه بشكل قاطع إلى أن الأمر فعل، ولكنه قد لا يحدث، وعليه فهو ليس بفعل لأن ما لا يحدث ليس فعلاً وعليه فإن المضارع والماضي، وكما يقرر هو، إعلان حادثان، في حين إن هذا لا يستقيم دائماً، ذلك أن كلا الماضي والمضارع يصبحان غير حادثين إذا دلا على الاستقبال، وهو معنى وارد فيهما، وفي الوقت نفسه لا يعدمهما محمود السمره من غير الأفعال في تلك الأحوال.

وهنا يظهر كلام طالب الزوبعي معبراً عن حقيقة الأمر وهو أنه: "ليس في صيغة فعل ويفعل وصيغة الأمر افعال دلالة زمنية محددة، بل إن مصدر الدلالة الزمنية الأول هو السياق، وتعينه القرائن اللفظية والمعنوية، أحياناً على

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج ٧ ص ٣.

(٢) محمد عبد الرحمن الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، ص ١٣٣، ١٣٢.

(٣) محمود السمره، العربية نظام الجملة والإعراب ، نهاد الموسى ، مسقط، وزارة التربية والتعليم وشؤون الشباب، ١٩٨٥، ص ١١٢.

تخصيص الدلالة الزمنية^(١).

ويبدو أن هذه الدعوة عند الزوابعي، ثم تطبيقها في نصوص القرآن الكريم، استطاعت أن تخلق فهماً زمنياً للنصوص، لا يختلف كثيراً عما قدمه الفعلان، الماضي والمضارع؛ ولذلك فقد عدنا ندرس نص المعلقات واضعين أيدينا على استخدامات فعل الأمر الذي أدى معاني مختلفة، فضلاً عن أزمان مختلفة، فتبين أن جميع الصيغ الأمرة من الفعل كانت على المثال "افعل" ولم يأت أي مثال على فعل الأمر المتكون من اقتران الفعل المضارع بلام الأمر.

وقد وردت هذه الاستخدامات لتحقيق أغراض مختلفة؛ كالترجي، والقطع، والتحبب وغيرها من المعاني الأمرية، وفي جميع هذه المعاني التي كان الترجي أكثرها دوراً لوحظ تنوع في الدلالات الزمنية، بين الزمن المطلق، والحاضر، والمستمر، والمستقبل القريب والبعيد، وقد ظهرت جميع هذه الأزمان بتفاعل عناصر التراكيب الصيغية : حيث أدت القرائن وظيفية بارزة في تحديد الزمن المراد.

* دلالة افعل على الزمن المطلق:

ويعرفه طالب الزوابعي بأنه الزمن الذي يخرج عن الحدود الزمنية المعروفة. وهو عنده يستفاد من كل صيغة فعلية تفيد حقيقة ثابتة ليست قابلة للجدل^(٢).

يقول امرؤ القيس:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الأصباح منك بأمثل^(٣)

وفي هذا الأمر الصيغي الذي يوجهه امرؤ القيس لليل نلاحظ وجود حدين

^(١) طالب الزوابعي، معجم الجملة القرآنية ص ٣١٢.

^(٢) المصدر السابق ص ٢٧٩.

^(٣) رواية الألباري: ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

أحدهما: أن الشاعر لا يتوقع أن يستجاب له بمجرد أنه طلب ذلك، وثانيهما: أن الاستجابة لا بد حاصلة انطلاقاً من كون انجلاء الليل أمر طبيعي يحدث بشكل منتظم، وعليه فإن هذا الأمر عند امرئ القيس هو صيغة تظهر بشكل الترجي لفرط رغبته في الأمر، وفي الوقت نفسه هي ليست كذلك لأن الليل سينجلي بلا شك، ولأن النهار عنده كالليل في سونه، وعليه فإن الأمر يتخرج بصورة الانفلات الذاتي نحو القوى لتحقيق القوة الذاتية، مما يعطيه قوة لا تعد تأثيرية البتة، كما أن الأمر غير تأثيري.

وقد يعبر عن العادة الطبيعية التي يمارسها الفرد، فيكون زمن الفعل الإطلاق: يقول زهير بن أبي سلمى:

تبصّر خليلي هل ترى من طعائنٍ تحمّلن بالعلياء من فوق جُرثم^(١)

فهذا الأمر لا يؤكد تحمل الطعائن أو ينفيه، وإنما هو أمر يوجب لدى المتلقي أن يستخدم واحدة من خواصه التي قد يكون قد استعملها قبل أن يذكره الشاعر؛ إلا أن ذكر الشاعر لها كان من قبيل لفت النظر وزيادة الاهتمام، مما ينفي أن يكون الشاعر يسرغب حقيقة في هذا التبصر، ويعزز هذا الفهم شرح الزوزني للبيت؛ يقول: "فقلت لخليلي، انظر يا خليلي هل بالأرض العالية من فوق هذا الماء نساء في هودج على إيل؟ يريد أن الوجد برّح به، والصبابة ألحّت عليه حتى ظنّ المحال لفرط وله؛ لأن كونهن بحيث يراهن خليله بعد مضي عشرين سنة محال^(٢) مشيراً لقول زهير:

وفقتُ بها من بعد عشرين حجةً فلأيا عرفتُ الدار بعد توهم^(٣)

فالشاعر يعرف كل شيء، وأمره للمتلقى - كما أسلفنا - ليس إلا للفت النظر إلى شدة وله.

(١) الأبياري، ص ٢٤٤، وعند الزوزني ص ١٠٢

(٢) الزوزني، شرح المحلقات السبع ص ١٠٢

(٣) الأبياري، ص ٢٤١، وعند الزوزني ص ١٠١

وأسلوب لفت النظر هذا استخدم في أكثر من موضع في المعلقة كقول

امرىء القيس:

فَقَا نَبَأُكَ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمِلٍ^(١)

وقولي عمرو بن كلثوم:

فَقْفِي قَبْلَ التَّفَرُّقِ يَا ظَعِينَا نَخْبِرُكَ الْيَقِينَ وَتُخْبِرُنَا^(٢)

فَقْفِي نَسْأَلُكَ هَلْ أَحْدَثْتَ جَهْرَمًا لَوْ شَكَ الْبَيْنِ أَمْ خُنْتَ الْأَمِينَا^(٣)

ووقعت في المعلقة أفعال أمرية تفيد إطلاق الزمن لأنها أشبه بالنصائح كآيات لبيد بن ربيعة:

فَاقْطَعِ لُبَانَةً مَنْ تَعَرَّضَ وَصَلُهُ وَلَشَرُّ وَاصِلٍ خُلَّةٍ صَرَّامِهَا^(٤)

وَاحِبُ الْمَجَامِلِ بِالْجَزِيلِ وَصَرْمِهِ بَاقٍ إِذَا ظَلَعْتَ وَزَاغَ قَوَامِهَا^(٥)

فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكَ فَإِنَّمَا قَسَمَ الْخَلَائِقُ بَيْنَنَا عَلامِهَا^(٦)

فكل هذه الأبيات تشير إلى دعوة للقيام بأمر طبيعي، ليست الدعوى له إلا من قبيل النصيح؛ لأن الامتنال له قد يكون سابقاً للأمر.

• دلالة "افعل" على الحاضر المستمر في المستقبل:

تكاد هذه الدلالة تنحصر في بيت واحد من أبيات المعلقة هو بيت امرىء

القيس:

فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي وَأَرْخِي زِمَامَهُ وَلَا تَبْعِدِينِي مِنْ جَنَّاكِ الْمُعَلَّلِ^(٧)

ذلك أنه مسبوق بقوله:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعَا عَقَرْتُ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزِلِ^(٨)

(١) الأبياري ص ١٥، وعند الزوزني ص ٧

(٢) الأبياري ص ٣٧٥، وعند الزوزني ص ١٦٧

(٣) رواية البيت عند الأبياري ص ٣٧٧: فلي نسألك هل أحدثت وصلاً لو شكك البين أم خنت الأمانة. رواية البحث للزوزني ص ١٦٧

(٤) الأبياري ص ٥٣٧، وعند الزوزني ص ١٣٦

(٥) رواية البيت: واحب المجامل بالجزيل وصرمه باق إذا ضلعت وزاغ قوامها. ص ٥٣٨، ورواية البحث للزوزني ص ١٣٦

(٦) الأبياري ص ٥٩٥

(٧) الأبياري ص ٢٨، وعند الزوزني ص ١٥

(٨) الأبياري ص ٣٧، وعند الزوزني ص ١٥

حيث إنه ركب معها على البعير وهو يمشي فأخذ يميل، فأمرته بالنزول، ولكنه رفض وأمرها أن تستمر في سيرها مرضية الزمام، وهذا المعنى يجعلنا نقول إن "الأمر" هنا قام على دلالة الحاضر المستمر في المستقبل فيما يتعلق بالسير، أما إرخاء الزمام فكان لاحقاً لأنه لم يعمل قبلاً؛ فهو يحدث أثناء السير.

• المستقبل القريب:

وردت عدة استخدامات تشير إلى المستقبل القريب في المعلقات وقد حققت ذلك المعنى القرينة السياقية القائمة على ضرورة أن يحدث الأمر بعد قليل من التلفظ به؛ يقول عنتره العبسي:

يا دارَ عبلَةٍ بالجِواءِ تَكَلِّمِي وِجْمِي صباحاً دارَ عبلَةٍ واسلمي^(١)

فهو يتمنى أن تخبره الدار وتتكلم عن أهل حبيبته، حيث إن الشاعر يعلم أنها لن تتكلم ولكنه يطلب الأمر وهو يرجو استجابة، و استجابة قريبة.

وقد تكرر استخدام أسلوب المستقبل القريب في الأمر بعد "ألا" الاستفتاحية؛ يقول زهير بن أبي سلمى:

ألا أَبْلَغُ الأحْلَافَ عني رسالةً وذُبْيَانِ هل أَقْسَمْتُ كلَّ مُقْسَمٍ^(٢)

ويقول عمرو بن كلثوم:

ألا أَبْلَغُ بني الطَّمَّاحِ عِنا ودُعْمياً فكيف وجدتمونا^(٣)

فهي دعوى للإبلاغ السريع فور الأمر به، أرهصت لها "ألا" ودعّمها السياق الذي نجده في قول امرئ القيس:

ألا أيها الليلُ الطويلُ ألا انجلي بضُبحٍ وما الإصباحُ مِنكُ بأمثلٍ^(٤)

الذي لم يكن فعل الأمر (انجلي) للمتقبل القريب؛ ذلك أن قرينة السياق كانت أقوى من القرينة اللفظية، حيث إن السياق أشار إلى حدث كوني لا يتعلق بالأمر

(١) الألباري ص ٢٩٦، وعبد الزوزلي ص ١٩٢

(٢) رواية البحث للزوزلي ص ١١٠

(٣) رواية البيت عند الألباري: ألا سائل بني الطمّاح عينا ودُعْمياً فكيف وجدتمونا، ص ٤١٩، وهي عند الزوزلي ص ١٨٨

(٤) روايته عند الألباري ص ٢٧، ورواية البحث للزوزلي ص ٣٦

المباشر، مما يدعونا إلى القول إن استخدام "ألا" كان من قبيل المستقبل القريب مجازياً.

• المستقبل البعيد:

لقد حددنا ملامح هذه الدلالة الزمنية من خلال الربط بين التركيب الحامل لها والتركيب السابق له؛ بمعنى أننا إذا كان لدينا تركيب صيغي يحمل دلالة الاستقبال اتبع بفعل أمر مستقبل عليه فنحن إذاً أمام حدين للاستقبال، مما يجعل الثاني بعيداً في الوقت نفسه الذي لا يظهر فيه الأول قريباً؛ يقول طرفة بن العبد:

فإن متٌ فأنعيني بما أنا أهله وشقي على الجيب يا ابنة معبد^(١)
ففي هذا البيت نحن أمام التركيب:

إن + فعل ماضي + فعل أمر.

ولا شك أن الاستقبال في "إن + فعل" لا يدل على قرب في قول طرفة:

كريم يروي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غداً أينما الصدي^(٢)

ولما كان الفعل (انعيني) تالياً لـ "إن مت" فيبدو أنه أصبح أكثر بعداً، مما يشير إلى أن الفعل لم يقع، وأن أمر امتثاله ليس بعد لحظة التكلم، وإنما هو بعد لحظة الموت، وهذا مؤشر قاطع إلى الدلالة الزمنية في فعل الأمر، لأنهم عندما قالوا إنه خال من الزمن، اعتقدوا أن امتثاله يتحدد بعد النطق حيث لا زمن في المنطوق نفسه، ولكننا عندما نلاحظ أن السياق قلب هذه النظرة، وأن فعل الأمر فعل متعاون مع السياقات زمنياً، وبرهن على الزمنية فيه على مستويات مختلفة تتعلق باعتوار القرائن عليه تبين أنه لا يمكن تجريد هذا الفعل من الدلالة الزمنية من خلال صيغته وحسب.

^(١) الألباري ص ٢٢٣، وعند الزوزني ص ٩٣

^(٢) الألباري ص ٩٨، وعند الزوزني ص ٨٤

الفصل الثاني

دلالة الظرف على الزمن

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني: دلالة الظرف على الزمن

تشكل دراسة الظرف الزمني مساحة واسعة في كتاب سيبويه، تُدرج تحت أبواب كثيرة متناولة له ضمن مستوياته المختلفة، سواء تلك التي تتعلق ببنيته الصرفية، أو علاقاته النحوية، أو دلالاته الزمنية، وهذه الأبواب هي:

أولاً: باب الاستقامة من الكلام والإحالة (ج ١ ص ٢٥)

ثانياً: باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعاً لأنك تبندئه لتنبه المخاطب ثم تستفهم بعد ذلك (ج ١ ص ١٢٧)

ثالثاً: باب ما ينتصب من الأسماء والصفات لأنها أحوال تقع فيها الأمور (ج ١ ص ٤٠٠).

رابعاً: باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعول (ج ١ ص ٣٤).

خامساً: باب ما يجري مما يكون ظرفاً هذا المجري (ج ١، ص ٨٤).

سادساً: باب ما يختار فيه إعمال الفعل مما يكون في المبتدأ مبيناً عليه الفعل (ج ١ ص ٨٨)

سابعاً: باب جرى مجرى الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين في اللفظ لا في المعنى (ج ١ ص ١٧٥)

ثامناً: باب وقع الأسماء ظرفاً وتصحيح اللفظ على المعنى (ج ١ ص ٢١٦)

تاسعاً: باب ما يكون المصدر حيناً لسعة الكلام والاختصار (ج ١ ص ٢٢٢)

عاشراً: باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره بعد حرف (ج ١ ص ٢٥٨)

حادي عشر: باب ما شبه من الأماكن المختصة بالمكان غير المختص شبهت به إذ كانت تقع على الأماكن (ج ١ ص ٤١٢)

ثاني عشر: باب الجر (ج ١ ص ٤١٩)

ثالث عشر: باب يحذف المستثنى فيه استخفافاً (ج ٢ ص ٣٤٤)

رابع عشر: باب الجزاء (ج ٣ ص ٥٦)

خامس عشر: باب يذهب فيه الجزاء من الأسماء (ج ٣ ص ٧٤)

سادس عشر: باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل (ج ٣ ص ٩٣)

سابع عشر: باب ما يضاف إلى الأفعال من الأسماء (ج ٣ ص ١١٧)

ثامن عشر : باب تُكون فيه "أن" بدلاً من شيء ليس بالآخر (ج ٣ ص ١٣٢)

تاسع عشر : باب الظروف المبهمة غير المتمكنة (ج ٣ ص ٢٨٥)

عشرون : باب ما ذهبت لأمه (ج ٣ ص ٤٥١)

الحادي والعشرون : باب ما يحقر لدنوه من الشيء وليس مثله (ج ٣ ص ٤٧٧)

الثاني والعشرون : باب ما يحقر على غير بناء مكبره الذي يستعمل في الكلام (ج ٣ ص ٤٨٤)

الثالث والعشرون : باب اشتقاقك الأسماء لمواضع بنات الثلاثة التي لست فيها زيادة من لفظها (ج ٤ ص ٨٧)

الرابع والعشرون : باب عدة ما يكون عليه الكلم (ج ٤ ص ٢١٦)

تناول سيبويه تحت هذه الأبواب ظرف الزمان بمستوياته المخلفة؛ من حيث البنية الصرفية، والعلاقات النحوية، والدلالات الزمنية. وقد درست المحاور الثلاثة في مواضع مختلفة من الكتاب إما بشكل مباشر، أو غير مباشر؛ أما المباشر فكان بتناول دلالات الزمن في بعض الظروف وتوضيحها. وأما غير المباشر فكان بالتنظير العام لظرف الزمان من حيث بنيته وحالته الإعرابية وغير ذلك مما يتعلق به من علوم العربية.

أولاً: البنية الصرفية:

لا يحدد سيبويه للظرف شكلاً يستقل بأداء وظيفته؛ إلا أنه يقر أن الظرف يأتي من مبان صرفية مختلفة تتحول إلى الظرفية، في الوقت نفسه الذي يقف أمام بعض الكلمات دون أن يعلق عليها، سوى أن يذكر أنها ظروف.

ويرى مالك المطلبي أن الظرف لا يكون بذاته قسماً صرفياً من أقسام الكلم في العربية، بل إنه يتحول إلى الظرفية من ثلاثة أقسام صرفية: (١)

أولاً: قسم الاسم: وهذا القسم وارد عند سيبويه؛ فهو يقول تحت وقوع الأسماء ظروفًا: "فمن ذلك قول: متى يسار عليه؟ وهو يجعله ظرفاً. فيقول: اليوم أو غداً" (٢)

(١) مالك المطلبي، الزمن واللغة، ص ١٩٩.

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ١ ص ٢١٦.

وتحست هذا الباب يذكر عدداً كبيراً من الأسماء التي تقوم بوظيفة الظرف؛ نحو: اليوم وغداً وأمس والليلة والنهار والدمر والأبد والساعة، وغيرها يراجع في الكتاب.

ثانياً: قسم حروف الجر: ويرد عند سيبويه في حديثه عن "مذ" فيذكر أنها حرف جر ويتضح ذلك أثناء حديثه عن معاني حروف الجر؛ يقول: «وإذا قلت: مذ زمان فقد أضفت الأمر إلى وقت من الزمان بـ "مذ"»^(١) ويشير إلى ذلك إشارة مماثلة حين يذكر أن "مذ" تكون ابتداء غاية الأيام والأحيان؛ يقول: "... وما لقيته مذ اليوم إلى ساعتك هذه؛ فجعلت اليوم أول غايته، فأجريت في بابها كما جرت "من" حيث قلت: من مكان كذا إلى مكان كذا»^(٢). وسيبويه هنا يقرن "مذ" بحرف الجر "من"، مع التفريق بينهما في كون الأول يكون للبداية الزمانية في حين يكون الثاني للبداية المكانية.

ثالثاً: قسم أدوات الكناية: ويعرفها المطلبي بأنها "طائفة من الأدوات التي تؤدي وظيفة الظرف إذا أشارت إلى زمن" ^(٣) ويضرب لها مثلاً "متى"؛ حيث يعدّها من الأدوات الكنائية التي تؤدي وظيفة الظرف. وهذا الكلام لا ينطبق على الرأي الغالب في "متى" التي يعدّها سيبويه اسماً للاستفهام^(٤). كذلك فإن ابن هشام يعدد في متى خمسة أوجه لا يتطرق فيها إلى تعبير "أداة كناية" ^(٥)؛ وعليه فإن "متى" سواء أكانت اسم استفهام أو شرط فهي منصوبة محلاً على الظرفية. ويجدد سيبويه لتأدية الاسم وظيفة الشرط في أن يكون الاسم على معنى "في" كما أنه يحدد الظرف بالنصب دون غيره من الحالات الإعرابية؛ يقول: "قولك: القتال يوم الجمعة. إذا جعلت يوم الجمعة ظرفاً، والهلال الليلة. وإنما انتصبا لأنك جعلتهما ظرفاً وجعلت القتال في يوم الجمعة أو الهلال في الليلة" ^(٦). ليس ذلك فحسب بل

(١) سيبويه، لكتاب ج ١ ص ٤٢١.

(٢) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٢٦.

(٣) المطلبي، الزمن واللغة ص ١٩٧.

(٤) الكتاب، ج ١ ص ٢١٦.

(٥) ابن هشام، المطلبي، ص ٣٢٧.

(٦) الكتاب، ج ١ ص ٤١٨.

إن النصب في الظرف قوي إلى درجة تجعله يغلب في عمله الفعل إذا اجتمعا ،
يقول: "نقول: قد عرفتُ أيَّ يوم الجمعة، فتتصب على أنه ظرف ، لا على
عرفت" (١).

ويرى الأنباري في أسرار العربية أن "متى" ظرف مباشرة ، بمعنى أنه
يشكل قسماً مستقلاً من أقسام الكلم ؛ حيث يذكر أن الاستفهام يقوم على ثلاثة
حروف هي الهمزة وأم وهل، وأربعة أسماء هي من وما وكم وكيف، وخمسة
ظروف هي : أين وأنى ومتى وأي حين وأيان. (٢)

وعليه فـ"متى" عند النحاة القدماء إما أن تكون اسماً أو ظرفاً مباشرة، أما
أداة كناية فهو تعبير خاص بالمطلبي لا يوثقه ولا يعلله؛ فهو يبحث في دلالة
الزمان فيها ومدى تقاربها مع أيان (٣).

إذا كان المطلبي يذهب مذهبه هذا من منطلق أن تعريف الأداة يدخل فيه
الحرف وبعض الأسماء كالاستفهام والشرط وأحياناً الأفعال والظروف التي تقوم
بوظيفة الأداة، فإنه لا يستخدم المصطلحات بدقة حين يقر بأن "متى" اسم شرط (٤)،
كما وأنه لا يحصرها في قسم واحد من أقسام الكلم، وهو ما يقره علم اللغة
الحديث، ولو كان فعل ذلك لما وضع باباً خاصاً في الظروف المحولة عن حروف
الجر.

جاء رأي المطلبي السابق امتداداً لوجهة نظر تمام حسّان الذي ميّز بنية
الظرف من ناحيتين هما: الأصالة والتحول (٥)؛ أما الظروف الأصلية عنده فيه: إذا
وإذ ولما وأيان ومتى. وأما ظروف الزمان الأخرى فهي ليست ظروفأ أصلية لأنها
مبانٍ مختلفة ذات معانٍ مختلفة . وهو يعلل لهذا الأمر من خلال مجموعة من
المميزات التي يخصّها بها ، وهي:

(١) المصدر السابق، ج ١ ص ٢٤٠ .

(٢) الأنباري ، أسرار العربية ص ١٩٣ .

(٣) المطلبي " الزمن واللغة، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٤) المصدر السابق، ص ٢١٤ .

(٥) تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٩ .

أولاً: الصورة الإعرابية فهو يرى أنها جميعاً من المبنيات . وهذه الميزة لا تعد إذ تدرج تحتها ظروف أخرى لا يعدها ظروفاً أصالة مثل "مذ، منذ، قط، أمس" وغيرها.

ثانياً: الحرية في الرتبة في الجملة عامة، وهذا لا ينطبق على "إذا" التي تتقدم مدخولها؛ يقول سيبويه: "ولا يليها إلا الفعل الواجب"^(١)، وهذا يحدد ارتباطها بالفعل بأن يكون تالياً عليها.

ثالثاً: الصيغة ، فهو يرى أنها كلها من غير المشتقات . وهذا الكلام ينطبق على كثير من الظروف التي لم يعدها ظروفاً أصالة.

ولما كان تمام حسّان بكلامه هذا يعد الطرف قسماً مستقلاً في الكلم إذا كان أصلياً؛ فإنه لم يستطع أن يثبت ذلك حيث لم يعطه خصائص حقيقية تفرد به سواء على مستوى الشكل أو الوظيفة، مما لا يعد بحال رافداً لوجهة نظره، ولذلك نجد المطلبي على الرغم من أخذه ببعض مواد هذا الرأي إلا أنه يعلق على جوهره قائلاً: "لظرف خانة نحوية تتكون مما يقدمه المعجم من مواد اسمية دالة على الزمن ومما يقدمه الصرف من بعض أقسام الكلم إلى النحو"^(٢).

ويسبدو أن وجهة نظر المطلبي هي خلاصة جيدة لما يعرضه تمام حسّان، على الرغم من تقديم باحث آخر هو فاضل الساقى لرأي يعزز ما ذهب إليه تمام حسّان حين يقول: "إن الظروف لا تدل على مسمى كما تدل الأسماء، ولا يُسمّى بها شيء معين مشيراً إلى أن معناها وظيفي لا معجمي"^(٣). وهو بهذا يميز ما يطلق عليه الطرف، بخصيصة مميزة سرعان ما تنهار أمام مجموعة من الأمور: أولاً: الألفاظ التي يطرحها كظروف، وهي: إذ، إذا، لمّا، أيّان، متى، كلما^(٤).

ويلاحظ أنها مضافة لها "كلما" إضافة لم تبرز. وقد بينّا بطلان هذه الألفاظ من حيث اختصاصها بقسم الطرف.

(١) سيبويه، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٢) مالك المطلبي، الزمن واللغة، ص ٢١٧.

(٣) فاضل الساقى، أقسام الكلام العربي، ص ٢٥٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٥٨.

ثانياً: يفصل الساقى بين قسم الظرف وقسم الاسم من الكلم متجاهلاً الأقسام الأخرى من حرف وفعل، ولا سيما قسم الحرف الذي قد يختلط قسم الظرف معه كثيراً كما بينا سابقاً.

ثالثاً: يشير كلام الساقى إلى " المعنى المعجمي " على أنه يقتصر بالدلالة على مسمى، ولما لم تكن الظروف التي حددها تملك المعنى المعجمي بالشكل الذي حدده فقد خرجت عن الاسمية، وهو ما يُدحض بجملته حديثنا السابق.

وعليه يبقى قول سيبويه إن " الكلم: اسم وفعل وحرف " ^(١) هو الأصل الذي لم يستطع قسم جديد أن يقف إلى جانبه، ولذلك فإن سيبويه بتناوله للظرف الزمني يقدم مجموعة من نماذجه ويحدد أصول أغلبها؛ وهي: " إذا، إذ، مذ، حين، قط، أمس، حسب، الآن، بينما، متى، لما، قبل، بعد " وسيبويه لا يحدد أصول كل هذه الكلمات إن كانت ظروفًا من حيث البناء والتحول؛ ففي الوقت الذي لا يشير فيه البتة إلى "قط وحسب والآن وإذ وإذا" من حيث كونها ظروفًا أو متحولات إلى الظرف، فإنه يذكر الاسمية في "متى" حيث يجعلها المثال الأول تحت باب "وقوع الأسماء ظروفًا" ^(٢) وكذلك هو يشير إلى الاسمية في "قبل وبعد" وهما تقعان ظروفًا؛ يقول: "وأما قبل فلأول وبعد للآخر وهما اسمان يكونان ظرفين" ^(٣)، وهو يشير إلى الحرفية في "مذ" عندما يضعها ضمن أحرف الجر ويخصّها بدلالة إضافة الأمر إلى وقت من الزمان، ثم يذكرها في موضع آخر فيقول: "ما لقيته مذ اليوم إلى ساعتك هذه، فجعلت اليوم غايتك، فأجريت في بابها كما جرت "من" حيث قلت من مكان كذا إلى مكان كذا" ^(٤) فهو لا يقيم للظرف قسماً مستقلاً في الكلم، فضلاً عن كون إشارته إلى أصول الظروف قليلة لا تشمل جميع الظروف، بل إن تناول النحويين القدماء بعد سيبويه يدعم كونهم لم يعتنوا كثيراً برد الظرف إلى أصالة من أنواع الكلم؛ لذلك فقد وقفوا كثيراً على الظروف فقالوا: ظرف يدل على كذا.

(١) الكتاب، ج ١، ص ١٢.

(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٦.

(٣) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٣٣.

(٤) المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٢٦.

وبعد ذلك كله يمكن القول إن سيبويه في نظريته إلى بنية الظرف الصرفية حصره في شكلين عامين:

الأول: شكل يلزم استعمالاً واحداً من ألفاظ لا قياس فيها ولا اشتقاق، فهي مسموعات.

الثاني: شكل يمثل أبنية مطردة الاشتقاق من مواد الأفعال ، تتصرف تصرف الأسماء فيسند إليها ويضاف إليها مباشرة أو بواسطة أداة الإضافة فيما يعبر عنه سيبويه بـ " المفعول إذا كان حيناً" ^(١)؛ يقول: "...كقولهم: أنت الناقة على مضربها. أي على زمان ضربها. وكذلك مبعث الجيوش؛ تقول: سير عليه مبعث الجيوش ومضرب الشول" ^(٢).

ويتوسع سيبويه في أشكال الظرف بتنوع وظيفة هذه الأشكال لتتوب عن الظرف ، فيحدد ذلك في الألفاظ التالية:

أولاً: المصدر : يقول سيبويه: " ما يكون المصدر فيه حيناً" وذلك قولك: متى سير عليه؟ فيقول: مقدم الحاج، وإنما هو زمن مقدم الحاج" ^(٣)

ثانياً: صفة الظرف: وعبارة سيبويه "صفة الأحيان؛ تقول: سير عليه طويلاً" ^(٤).

ثالثاً: عدد الظرف: يقول: " سير عليه يومين أو ثلاثة أيام" ^(٥).

وعليه فإن تناول سيبويه للظرف في بنيته الصرفية لا ينفصل عن تناوله لعلاقاته النحوية، كما أنه سيقرن بذلك دلالاته الزمنية التي سندرسها في الصفحات القادمة.

ثانياً:

الدلالة الزمنية في الظرف:

في إطار الحديث عن زمن الظرف يمكن التمييز بين نوعين من دلالات الظروف على الزمن؛ أما النوع الأول فذلك الذي يظهر الظرف فيه مؤكداً

^(١) الكتاب، ج ١ ص ٢٢٤.

^(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٨٨

^(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٢٢٢

^(٤) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٧.

^(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢١٧.

زمنياً، بحيث يكون وجوده المؤثر على زمن السياق تالياً لوجود قرائن أخرى أكثر فاعلية، توجه الزمن فيه فيؤكد الطرف هذا الزمن، وهي على شكلين: الظروف المرشحة، والظروف ذاتية الزمن. وأما النوع الثاني فيكون صانعاً للزمن في السياق يؤدي وظيفة أساسية في الدلالة عليه.

أما النوع الأول فيكون من خلال إدخال الطرف المعبر عن زمن معين في تركيب فعلي يحمل دلالة الطرف نفسه زمنياً، ويصنف سيبويه هذا من قبيل الكلام المستقيم الحسن؛ نحو: "أنتيك أمس وسأتيك غداً" ^(١) وهو في هذا يعدّ الطرف مؤكداً زمنياً، ويدخل تحت هذا النوع مجموعة من الظروف محددة لا تتغير.

ولما كانت هذه الظروف المحددة لا تستطيع خلق أفكار تركيبية مستقلة فإنها دخلت ضمن المحال من الكلام؛ نحو: "أنتيك غداً وسأتيك أمس" ^(٢) وعند النحويين أن المحال هو ما لا يصح له معنى ولا يجوز أن تقول فيه صدقاً ولا كذباً، ^(٣) وهذا في العربية يخرج من الإخبار الذي ينبغي أن يحتمل الصدق أو الكذب، وعليه فهو ليس كلاماً. ولدى هذه الظروف وظيفة أخرى في الدلالة على الزمن تجعله أكثر فاعلية، وهي عملية الحصر في الزمن، بمعنى إذا كانت جملة مثل: "أتيتنا أمس" تشير من خلال فعلها إلى الماضي وظرفها أيضاً، فإن الطرف حصر الماضي في زمن معين دون غيره، وعليه فهو ظرف مرشح وليس ظرفاً صانعاً. وسيبويه في هذه الحالة يقر أن الفعل هو الصانع الأول للزمن؛ فهو يقول في مثل ذهب: "أن الحدث فيما مضى من الزمان، وإذا قال سيذهب فإنه دليل على أنه يكون فيما يستقبل" ^(٤) ثم بعد ذلك يقرنها بأسماء الزمان المناسبة، وهو يقول إن الفعل يستعدى إلى الزمان ^(٥) ويندرج تحت هذا الكلام عدد كبير من الظروف المرشحة التي تغطي مساحات زمنية مختلفة. وهذه الظروف يمكن أن تحدد كما وردت عند سيبويه في "أمس وغداً" إذ يحصرها في هذين الطرفين فهو

(١) الكتاب، ج ١ ص ٢٥.

(٢) المصدر السابق، ج ١ ص ٢٥.

(٣) هوامش تحقيق الكتاب، عبد السلام هارون، ج ١ ص ٢٥.

(٤) الكتاب، ج ١ ص ٣٥.

(٥) المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٨٠.

لا يعدمها من الأسماء المتمكنة^(١)، بل هما ظرفان وحسب؛ يقول في غيرها من الظروف التي تتمكن: "ألا ترى أنك تقول؛ هذا اليوم وهذه الليلة فيكون لما أنت فيه ولما لم يأت ولما مضى"^(٢) ثم يقول: "أمس وغداً لم يتمكننا تمكن هذه الأشياء"^(٣)، فإذا كان الظرف متمكناً فإنه عند ذلك لا يرشح لزمن معين ولا يصنع زمناً وإنما يصبح معبراً عن ذات زمني لا ذات في الزمن. ويضرب سيبويه مثلاً قوله عز وجل: "هذا يوم لا ينطقون"^(٤) و"هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم"^(٥) ويميز بين العاملين نحويّاً باختيار النصب للظرف والإعراب لغيره؛ يقول: "قولك: القتال يوم الجمعة" إذا جعلت يوم الجمعة ظرفاً، والهِلالُ الليلة. وإنما انتصبا لأنك جعلتهما ظرفاً وجعلت القتال في يوم الجمعة، والهِلال في الليلة"^(٦). وبورد سيبويه تفصيل ذلك؛ حيث يفرّق في الإعراب من حيث الحركة بين الظرف وغير الظرف؛ يقول: "وتقول: قد عرفت أي يوم الجمعة. فتتصب على أنه ظرف، لا على عرفت، وإن لم تجعله ظرفاً رفعت"^(٧).

وعليه فإن "أمس" و"غداً" فيهما خصيصة تجعلهما على هذا الذي قلناه تتلخص في كونهما محددين زمنياً، بحيث لا يمكن تغيير زمن وقوع الحدث بالنسبة لهما، فلا يكون زمن الحديث عنهما وزمن وقوع الحدث فيهما واحداً كغيرهما من الظروف التي قد يشتمل زمن الحديث عن الحدث زمن الحدث نفسه مع وجود زمن ثالث محتوي بين الزمنين في الزمن الكلي.

وقد ورد في المعلقات استخدامات عديدة لكلمة "يوم" سواء في حال مجيئها ظرفاً أو غير ظرف، إلا أنه لم يرد استخدام لـ "أمس" أو "غداً" سوى أنها أجريت عليها تغييرات صرفتها إلى اسم الذات فأضيف "أل" التعريف إلى "أمس" فصارت

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٨٠.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٨٠.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٨٠.

(٤) المرسلات: ٣٥.

(٥) المائدة: ١١٩.

(٦) الكتاب، ج ١ ص ٤١٨.

(٧) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٠.

اسماً يدل على اليوم السابق دون الإشارة إلى زمن سوى الدلالة على ذات اليوم السابق، وكذلك "غداً" التي أصبحت دالة على ذات اليوم اللاحق.

وليس في هذا الكلام تناقض مع السابق؛ فقد ذكر ابن يعيش أن أكثر العرب على عدم تعريفه "بال" مع عدم تمكينه وإعرابه وتصريفه وبعده القياس^(١). وقد ورد في بيت وحيد في المعلقة لزهير بني أي سلمى؛ يقول فيه:

وأعلم ما في اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غدعم^(٢)

وفي هذا البيت خرجت الظروف الثلاثة "اليوم ، الأمس، غد" عن الظرفية إلى الدلالة على الذات أي الوقت الذي حصل فيه التكلم من أول اليوم إلى آخره سواء انتهى أم لم ينته، فضلاً عما سبقه أو لحقه. ويسترعي الانتباه أن الشاعر عرّف كلاً من اليوم والأمس لتقننه بمعرفة ما فيه، ولكنه نكّر "غد" لتدل على مدى تخوفه مما يجهله في المستقبل، مما يدفعنا إلى القول إن الشاعر يقطع اليوم عند لحظة الانتهاء من التكلم ، ثم ما بعد ذلك جميعه هو في الغد، ونتيجة لذلك فإن المعيار الأولي للدراسة المعيارية الدقيقة ، للزمن تخرج عن دائرة التوقيت الكوني إلى دائرة التوقيت النفسي للشاعر .

جاءت كلمة "يوم" في المعلقة في مواضع مختلفة متنقلة بين الظرفية وغير الظرفية، أما غير الظرفية فجاءت في قول امرئ القيس:

كَانِي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا لَدَى سُمُرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلٍ^(٣)

وقوله:

أَلَا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهُنَّ صَالِحٌ وَلَا سَيِّمًا يَوْمَ بَدَارَةِ جُلْجُلٍ^(٤)

وقوله:

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مُطَيْتِي فَيَا عَجَبًا مِنْ كَوْنِهَا الْمُتَحَمِّلِ^(٥)

وقوله:

(١) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج ٢ ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) الألباري ، شرح القصائد السبع ، ص ٢٨٩. وعند الزوزني ص ١١٨

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٣. وعند الزوزني ص ٩

(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢. وعند الزوزني ص ١٢

(٥) رواية البيت عند الألباري: ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجباً لرحلها المتحمل. ورواية البحث للزوزني ص ١٣

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخُدْرَ خُدْرٌ عَلَيْهِ ^(١) فَقَالَتْ : لَكَ الْوَيْلُ إِنَّكَ مُرْجَلِي

في قوله : "يَوْمَ عَقَرْتُ" و "يَوْمَ دَخَلْتُ" بنى على الفتح مع أن الأصل أنه معطوف على المجرور أو على المرفوع بعد لا سيما، ولكنه لما أضاف إلى المبني وهو الفعل الماضي فقد لزمه البناء. كما ورد في قوله تعالى : "إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْكُمْ تَتَطَقُونَ" ^(٢). وقد ورد في مواضع أخرى داخلًا في الظرفية؛ يقول عمرو بن كلثوم:

فَأَمَّا يَوْمَ خَشِيتُنَا عَلَيْهِمْ فَتَصَبَّحَ خَيْلُنَا عُصْبًا ثَبِينًا ^(٣)

وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ فَنُصْبَعْنَ غَارَةً مَتَلَبِّينَا ^(٤)

وهو عند النحويين ينتصب على تقدير "في".

الحديث السابق جميعه ولا سيما في "أمس وغدا" يعدّ من قبيل التفصيل لسنمط من أنماط الظروف المؤكدة زمنياً والتي لا تقوم بدور الصانع زمنياً، وهذا هو شكلها الأول.

أما الشكل الثاني من الظروف المؤكدة فهي تلك التي ليس لها علاقة مباشرة بزمن الفعل بل إنها قد تظهر مع أي شكل من أشكاله؛ الماضية والمضارعة والأمرية، ولكنها ليست كالأمثلة الأولى التي تملك صياغة زمنية بنفسها دون أن ترشح زمنًا في الفعل نفسه، ولكن هذه ترشح زمنًا في ذاتها، وعند سيبويه أمثلة كثيرة على هذا النمط متنوعة بتنوع ظروفه؛ نحو: سير عليه طورين، وضرب به ضربتين، ^(٥) وقول سيبويه تعليقاً على قول العرب:

مِنْ لَدُ شَوْلَا فَبَالَى إِتْلَانَهَا ^(٦)

يقول : "نصب لأنه أراد زماناً" ^(٧)، وقوله في موضع آخر "سير عليه الليل والنهار" ^(٨).

(١) الألباري ص ٣٦. وعند الزوزني ص ١٤

(٢) الذاريات : ٢٣.

(٣) رواية البيت للألباري: فأما يوم خشيتنا عليهم فتصبح غارة متلبينا ص ٤٠٠. ورواية البيت للزوزني ص ١٧٧

(٤) رواية البيت للألباري: وأما يوم لا نخشى عليهم فتصبح في مجالسنا ثبينا ص ٤٠٠. ورواية البحث للزوزني ص: ١٧٧

(٥) سيبويه، ج ١ ص ٢٣٠.

(٦) ورد ذكر البيت في شواهد الشعر في كتاب سيبويه أن العلي قال فيه: هذا نقوله العرب فيما بينهم مثل المثل يقول خالد عبد الكريم صاحب شواهد الشعر: وما دام الأمر كما قال العلي فمن المستحيل معرفة قائله / شواهد الشعر ص ٢٢٤.

(٧) الكتاب، ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(٨) المصدر السابق، ج ١ ص ٢١٦

هذه الظروف جميعها هي أسماء تحملت الظرفية، وجاءت لوظيفة محددة هي التوكيد للفعل، فتكون زمنية في حال كان الظرف من غير جنس الفعل، حيث يحمل إشارة الزمن في معناه اللغوي، أما إذا كان من جنس الفعل فيؤكدده مطلقاً دون تقييد بالزمن بل هو حامل لأبعاد الفعل المتمثلة بالمعنى وهو الضرب أو الزمن وهو تكرار الضرب. ويمكن إطلاق صفة " النحوية " على هذه الظروف، بمعنى أنها ظروف خلقها السياق انطلاقاً من ملاءمتها لوظيفة الظرف، ويدل على ذلك وقوعها منصوبة أحياناً وغير منصوبة أخرى، بل إن الذي يحدد انصرافها إلى الزمن (الظرف) هو المتكلم نفسه الذي يستخدمها ليشير إلى خصوصية في معنى يريده، قد لا يريده في موضع آخر؛ ولذلك فإن مثل هذا الأمر يجعلها من أضعف الظروف إن لم تكن أضعفها لكونها لا تحمل أي خصيصية ذاتية تفرض من خلالها ظرفيتها على السياق، كما أن تصرف بنيتها الصرفية يعزز فكرتنا السابقة.

ثالثاً : تطبيق في ظروف واردة في المعلقة : أ- الظروف المؤكدة : أ- عشية :

وردت كلمة " عشية " في المعلقة في غير موضع دالة على الزمن بطرق مختلفة: يقول امرؤ القيس :

كان السباع فيه غرقى عشية بأرجائه القصوى أنابيش عنصل^(١)

حيث يحدد الشاعر زمناً داخلياً للحدث هو " العشية "؛ يقول الزوزني: " العشي و العشية: ما بعد الزوال إلى طلوع الفجر وكذلك العشاء " ^(٢). وقد جاء الظرف "عشية" هنا فضلة تركيبية حيث اكتملت الجملة "كان السباع غرقى"، ثم جاء الظرف فلم يحدد زمن غرق السباع إن كان ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً، ولكنه حدد الزمن الاستمراري الداخلي الذي كانت فيه غرقى وهو العشية، والزمن الاستمراري هو زمن داخلي مجرد عن الزمن الكوني، ولكن يعبر عن حالة زمنية يستمر فيها حدث معين.

وقد استخدمها عنتره في قوله:

(١) الأبياري ص ١١١. وعند الزوزني ص ٥٦

(٢) الزوزني، شرح القصائد السبع ص ٥٦

وكانما تطس الإكام عشية بقریب بین المنسمین مصلّم (١)

فهو يحدد الزمن الاستمراري للفعل بالعشي، الذي تسكر فيه الإكام لشدة وطئها. ويعزز هذه الفكرة قول عنتره:

سحاً وتسكاباً فكلّ عشية يجري الماء لم يتصرم (٢)

ذلك أن الشاعر اضطر لاستخدام "كل" ليحمل الظرف زمناً خارجياً لا يتعلق بمعناه الداخلي، مما أدى إلى تغيّر البناء السياقي فأصبح الظرف "عشية" مضافاً إليه فتاب عنه "كل" مما يعني أن هذا الظرف ضعيف بنائياً.

وقد ينصرف الظرف "عشية" إلى "عشاء" ليدل على المعنى الظرفي والتركيبى نفسه؛ يقول الحارث بن حنّلة اليشكري:

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء (٣)

كل ما سبق يعزز السمات التي ظهرت فيها هذه الظروف من حيث إن الزمن فيها ذاتي غير تأثيري.

ب- متى:

سلف الحديث عن "متى" عند سيبويه في إطار الحديث عن الظروف المتحولة عن الاسمية (٤)، والآن سنستحضر سياقاتها في الملاحظات لنبين التوضيح الزمني في "متى"، وإننا إذ نستخدم مصطلح التوضيح الزمني في "متى" فإنما يمتد هذا عن حديثنا في "عشية" حول الظروف التي ينحصر فعلها في الحاضر الداخلي المستمر للفعل لتغطي جانباً توكيدياً في الفعل من خلال الزمن؛ والتي سنتناولها الآن في "متى" التي وردت في الملاحظات أكثر من عشر مرات متحولة في أكثرها عن اسم الشرط، ومرة وحيدة عن اسم الاستفهام فتشكل نمطان؛ الأول في حال كونها متحولة عن اسم الشرط وهو:

متى + فعل مضارع (فعل الشرط) + فعل مضارع (جواب الشرط)

الثاني في حال كونها متحولة عن اسم الاستفهام؛ وهو: متى + فعل ماضٍ.

(١) رواية الأتباري: وكانما أقص الإكام عشية بقریب بین المنسمین مصلّم - ورواية البحث للزوزني ص ١٩٩.

(٢) رواية الأتباري: وكانما أقص الإكام عشية

(٣) رواية الأتباري ص ٣١٣. وعلة الزوزني ١٩٧

(٤) رواية الأتباري للبيت: أجمعوا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء. ص ٤٥٢.

ورواية البحث للزوزني ص ٢٢١.

(٥) سيبويه ج ١ ص ٢١٦.

أما النمط الأول فورد في قول زهير بن أبي سلمى:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة^(١) وتضر إذا ضررتموها فتضرم^(٢)

وقوله:

جریء متى يظلم يعاقب بظلمه^(٣) سريعا ، وإلا يبد بالظلم يظلم^(٤).

وقول امرئ القيس:

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه^(٥) متى ما ترق العين منه تسفل^(٦)

وقول طرفة بن العبد:

فمنهن سبقي العاذلات بشربة^(٧) كميت متى ما تعل بالماء تزيد^(٨)

وقوله:

وأعلم مخروث من الألف مارن^(٩) عتيق متى ترجم به الأرض تزد^(١٠)

وقوله:

ولست بحلال التلاع مخافة^(١١) ولكن متى يسترفد القوم أرفد^(١٢)

وقوله:

فما لي أراني وابن عمي مالكا^(١٣) متى أدن منه بنا عني ويبعد^(١٤)

وقوله:

وقربت بالقربي وجدك إنسي^(١٥) متى يك أمر للكنيسة أشهد^(١٦)

وقوله:

على موطن يخشى الفتى عنده الردى متى تعترك فيه الفرائص تُرعد^(١٧)

وقول عمرو بن كلثوم:

(١) الأبياري ص ٢٦٧. وعند الزوزني ص ١١١

(٢) الأبياري ص ٢٧٩. وعند الزوزني ص ١١٥

(٣) رواية الأبياري : ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ماترق العين فيه تسفل ص ٩٨ ورواية البحث لزوزني ص ٥٠.

(٤) رواية الأبياري : فمنهن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزيد ص ١٩٤ ورواية البحث للزوزني ص ٨٣.

(٥) الأبياري ص ١٨٠. وعند الزوزني ٧٦

(٦) الأبياري ص ١٨٦. وعند الزوزني ٧٨

(٧) الأبياري ص ٢٠٢. وعند الزوزني ٨٦

(٨) رواية الأبياري: وقربت بالقربي وجدك إنه متى يك أمر للكنيسة أشهد ص ٢٠٥ ورواية البحث للزوزني ص ٨٧.

(٩) الأبياري ص ٢٢٩. وعند الزوزني ص ٩٦

متى ننقل إلى قوم رحانا
يكونوا في اللقاء لها طحيناً^(١)
وقوله :

متى نعقد قرينتنا بحبل
تجد الحبل أو تقص القرينا^(٢)
في هذه الأبيات كلها يلاحظ أن الفعل بعد " متى " المعبر عنه بصيغة المضارع ،
يشير إلى الوقوع، وتدل " متى " على استمرارية الحدث فيها دون تحديد لزمان هذا
الحدث إن كان ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً، ويؤكد هذا أن الأبيات كلها وصفية
إطلاقية الوقوع.

أما النمط الثاني فيرد في بيت وحيد لطرفة العبد؛ يقول:
ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عودي^(٣)
و"متى" هنا لا تحمل المعاني السابقة من التوضيح في زمن الفعل، بل إنها حملت
دلالة الاستقبال ؛ يقول الزوزني شارحاً البيت: " فلولا حبي ثلاث خصال هن من
لذة الفتى الكريم لم أبال متى قام عودي من عندي آيسين من حياتي، أي لم أبال
متى مت " ^(٤)، ولما كان الموت لم يقع بعد، فسـ"متى" أفادت الاستقبال، وجاء الفعل
الماضي معه ليقرر الوقوع للفعل.

كان ملحوظاً تقدم الظرف "متى" باستمرار على الفعل، مما يشكل دليلاً جديداً
على ضعف هذا الظرف ؛ يقول محمد حماسة عبد اللطيف: " ولقوة ارتباط الظرف
بالفعل فإنه لا يشترط له موقع معين، فيأتي معه سابقاً أو لاحقاً " ^(٥).
ب- الظروف الناسخة:

أما النوع الثاني من الظروف فهو الظروف الناسخة وهي تلك التي لا تحمل
دلالة أفعالها، وإنما تؤدي وظيفة تغيرية تحول الأفعال عن دلالاتها الزمنية
الخاصة إلى دلالات تشترك الظروف في صنعها؛ ولذلك سميت بـ" الظروف
الناسخة " لقيامها بنسخ زمن السياق. وهي محددة في مجموعة من الظروف؛ منها:
إذا، وإذا، والواو على معنى إذ.

(١) الأتباري ص ٣٩١. وعند الزوزني ص ١٧٣

(٢) رواية الأتباري: متى نعقد قرينتنا بحبل نجد الحبل أو تقص القرينا. ص ٤٠٨ ورواية البحث للزوزني ص ١٨١

(٣) رواية الأتباري: فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي. ص ١٩٤. ورواية البحث للزوزني ص ٨٢

(٤) الزوزني ص ٨٢-٨٣

(٥) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص ١٢٥

يذكر سيبويه أن "إذا" ظرف لما يستقبل من الدهر، فيها مجازاة^(١)، وهي عنده تضاف إلى الأفعال لأن الزمان فيها لم يقع^(٢)؛ يقول: "وإذا كان الزمان لما لم يقع لم يضاف إلا إلى الأفعال، لأنه في معنى إذا، وإذا هذه لا تضاف إلا إلى الأفعال"^(٣).

ويحدد السيرافي في شرحه الأفعال بأن تكون إما مضمرة أو مظهرة، وإذا ورد بعدها الابتداء والخبر فعلى تقدير فعل قبله^(٤)، ويضرب لذلك مثلاً؛ يقول: "... كقولك: أجيتك إذا قام زيد. يعني الوقت الذي يقوم فيه"^(٥). وهو يذهب مذهب سيبويه في تحملها معنى المجازاة.

وعلى الرغم من الكلام السابق في احتمال "إذا" معنى المجازاة إلا أننا نجد كلاماً مفصلاً لدى سيبويه ينفي فيه المجازاة فيها ويؤيد الظرفية، فيقول: "و سألته، يريد الخليل، عن "إذا" ما منعهم أن يجازوا بها؟"^(٦)، فضلاً عن قوله إنهم يجاوزن بها في الشعر مضطرين^(٧).

ويعلل السيرافي ذلك؛ فيقول: "والمجازاة والشروط هي معقودة على أنها يجوز أن تكون ويجوز أن لا تكون"^(٨).

يعلق المطلبي على الكلام السابق فيذكر أن البحوث السامية المعاصرة أثبتت صحة تحليل سيبويه في جعل "إذا" ظرفاً^(٩) ولكنه في الوقت نفسه يقول إن الاستعمال اللغوي يثبت شيئاً آخر هو أن "إذا" أداة شرط* تدخل على جملتين^(١٠).

*راجع رأي أبي أوس الشمساني في ذلك، الجملة الشرطية عند النحاة العرب ص ٢١٣-٢١٤

(١) سيبويه، ج ٤، ص ٢٣٢.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ١١٩.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ١١٩.

(٤) السيرافي، شرح الكتاب ج ١ ص ١٤١-١٤٢.

(٥) المصدر السابق، ج ١ ص ١٤١-١٤٢.

(٦) الكتاب، ج ٣ ص ٦٠.

(٧) المصدر السابق، ج ٣ ص ٦١.

(٨) السيرافي، شرح الكتاب، ج ١ ص ١٤٢.

(٩) مالك المطلبي، الزمن واللغة، ص ٢٠٣.

(١٠) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

ويظهر لنا مما سبق أن كلاً من السيرافي والمطلبي قد ابتعدا عما قاله سيبويه؛ ذلك أنه قرر حقيقتين تظهران متناقضتين للوهلة الأولى؛ وهما أن "إذا" تكون للمجازاة ولا تكون في موضعين مختلفين من "الكتاب"، ولكن هاتين الحقيقتين ليستا متناقضتين؛ ذلك أن الذي ينفيه سيبويه من المجازة هو الجزم في الفعل، ولكنه لا ينفي المجازاة في أصلها، ويدل على ذلك أن عبارته في تعريف "إذا" نقول: ... إذا فلما يستقبل من الدهر، وفيها مجازاة، وهي ظرف^(١). ويوضح ذلك الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف فيقول إن عدم المجازاة في "إذا" عائدة إلى كون الفعل بعدها كثيراً ما يكون ماضياً وقليلاً مضارعاً، فلما غلبت الصورة الأولى على الثانية لم تختص إذا بجزم المضارع^(٢).

ولسنا نقش هذه الأفكار في "إذا" نتناول سياقات المعلقات التي وردت فيها؛ حيث إنها قاربت السنتين موضعاً، جاءت متبوعة بالفعل الماضي في أكثرها، وكان الخروج عن ذلك في مواضع نادرة جاء الفعل المضارع فيها مُصَدَّرًا بـ"لم" التي تصرف المضارع إلى الماضي زمنياً. وقد أخذت في ذلك كله أنماطاً هي:

*الأول: إذا + فعل ماض (فعل الشرط) + جواب الشرط.

وقد اتخذ هذا النمط أشكالاً عديدة:

أولها: إذا + فعل ماضى + فعل ماض

ثانيها: إذا + فعل ماض + (لم + فعل مضارع)

ثالثها: إذا + فعل ماض + فعل مضارع

رابعها: إذا + فعل ماض + (ما + مضارع)

خامسها: إذا + فعل ماض + جملة اسمية

*الثاني: إذا + (لم + الفعل المضارع) فعل الشرط

وفي هذا النمط كانت "إذا" دائماً مسبوقة بما يمكن أن يكون جواباً لها وهو جملة اسمية. وقد ورد ضمن هذا النمط هذه الثلاثة الأبيات:

قول عنتره العبسي:

(١) الكتاب، ج ٤، ص ٢٣٢

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية ص ١٧٣.

أَتْنِي عَلَيَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنْنِي سَمَحٌ مُخَالِطِي إِذَا لَمْ أَظْلَمْ^(١)

وقوله :

الشَاتِمِي عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَمَهُمَا وَالنَّاذِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقِهِمَا دَمِي^(٢)

وقول عمرو بن كلثوم:

يَقْتُننَ جِيَادَنَا وَيَقْلُنَ لِسْتَمُ بَعُولَتْنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا^(٣)

يلاحظ في هذه الأبيات الثلاثة أن "إذا وفعلها" جاء مؤخرين عن جوابهما الذي كان في البيت الأول "فإنني سمح مخالطتي" وهو جملة اسمية ارتبطت بالفاء لتكون جواب الجزاء في "إذا" والبيت الثاني كان "الناذرين" وفي البيت الثالث "لستم بعولتنا" وهي جملة فعلية مصدرة بفعل ناقص بعد أن كانت اسمية قبل دخوله عليها.

يتضح في تركيب "لم+الفعل المضارع" أنه جاء على معنى المضى، إلا أنه أفاد النفي فالفعل غير واقع؛ ذلك أن "إذا" هي التي تتحمل معنى الاستقبال في السياق، فإذا جاء بعدها الفعل ماضياً، فقد أفادت الاستقبال وتأكيد الحدث؛ ولذلك فقد جاءت متبوعة في حالة النفي "لم يفعل" التي تعادل (فعل) في الإيجاب، فحافظت "إذا" على صياغة الاستقبال في نفسها؛ ولذلك فإن هذه الأفعال هي أشبه بالعمادة التركيبية التي تكون ضرورية لتحقيق معانٍ في عناصر أخرى في السياقات، وعليه فإن أغلب ما يرد على نمط:

إِذَا + فعل ماضٍ (فعل شرط)

تحمّل "إذا" الاستقبال فيه معتمدة على فعلها الماضي، وأمثلة كثيرة في المعلقات؛ يقول طرفة بن العبد:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَدْ^(٤)

ويقول:

إِذَا لَحْنٌ قُلْنَا أَسْمَعِينَا انْبَرَتْ لَنَا عَلَى رِسْلِهَا مَطْرُوقَةٌ لَمْ تَشْدُدْ^(٥)

(١) رواية الزوزني: إن تدلني دولي القناع فإنني سمح مخالطتي إذا لم أظلم. ص ٢٠٣. رواية البحث للأبياري، ص ٢٣٦

(٢) رواية الأبياري: الشاتمي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لقيتهما دمي ص ٣٦٤ والبيت للزوزني ص ٢١٤.

(٣) الأبياري ص ٤٢٤. وعبد الزوزني ص ١٨٦

(٤) الأبياري ص ١٨٣. وعبد الزوزني ص ٧٧

(٥) الأبياري ص ١٩٠. وعبد الزوزني ص ٨٠

ويقول عمرو بن كلثوم:

إِذَا عَضَّ الثَّقَافُ بِهَا اشْمَأَزْتُ وولته عَشْوَزَةً زَبُونًا^(١)

ويقول:

عَشْوَزَةٌ إِذَا انْقَلَبْتُ أَرْنَتْ تَشَجُّ قَنَا الْمُثَقَّفَ وَالْجَبِينَا^(٢)

ويحمل نمط:

إِذَا + فعل ماضٍ + فعل ماضٍ

دلالتين بواسطة "إذا"؛ الأولى: تتمثل في الاستقبال الذي تحدثه (إذا) في الفعل الأول حتى يغدو مؤكد الحدث في المستقبل، والثانية تتمثل في ثبات حدوث الإجابة في الفعل الثاني الذي مكّنه من أداء هذا المعنى وروده على هيئة الماضي ضمن دلالة الاستقبال التي رتبها عليه سياق الفعل الأول وهو:

إِذَا + الفعل الماضي

ففي قول طرفة:

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا مَنْ فَتَى خِلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَدْ^(٣)

يقف نفسه للمساعدة التي قد تطلب منه أو لا تطلب، وهو يرى أنه لها. فالحدث لم يقع، ولكن السياق يشي بطبع الشاعر الذي سيكون للملمات جاهزاً؛ فهو يؤكد أنه عندما يشار من قبل القوم إلى أحد يقوم بالمهمات الصعبة فهو لا يشك أبداً في كونه هو من يشار إليه؛ ولذلك فإن دلالة الزمن ضمننت في الجزء الأول "إذا قالوا" و الجزء الثاني مقرون ضمناً بالزمن لأنه سيتبع في حدوثه حدوث الأول، ولكنه جاء على هيئته الماضية ليحمل دلالة التوكيد ويوطدها.

وهو يقول:

إِذَا نَحْنُ قَلْنَا أَسْمَعِينَا انْبَرَتْ لَنَا عَلَى رُسُلِهَا مَطْرُوقَةٌ لَمْ تَشْدَدْ^(٤)

^(١) روايتهم عَشْوَزَةٌ زَبُونًا ص ٤٠٤ والبيت للزولي ص ١٨٠.

تدق قفا المثقف والجبين ص ٤٠٤ والبيت للزولي ص ١٨٠.

^(٢) رواية الألباري: إذ عض الثفاف بها اشمازت

^(٣) رواية الألباري: عشو زنة إذا انقلبت أرنت

^(٤) الألباري ص ١٨٣. وعند الزولي ص ٧٧

على رسلها مطروقة لم تشدد. ص ١٩٠. وعند الزولي ص ٨٠

^(٥) رواية الألباري: إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا

فهو أيضاً يتحدث عن قول سيكون في المستقبل، ولذلك يكون جواباً أكيداً مثبتاً لا شك فيه من قبلها فتنبري للغناء، وذكرنا أن سيبويه يحمل "إذا" تأكيد الفعل فهي للوقت المعلوم (١)

وإذا تأملنا شكلاً من قبيل:

إذا + فعل ماضٍ + فعل مضارع

نلاحظ أنه يتكرر في المعلمات في قول زهير بن أبي سلمى:

مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا فَتَضُرُّمُ (٢)

وقول عمرو بن كلثوم:

كَأَنَّ غُضُونَهُنَّ مَتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا (٣)

وقوله:

وَرَثْنَاهُنَّ عَنْ آبَاءٍ صِدْقٍ وَنُورْتُهَا إِذَا مِتْنَا بَنِينَ (٤)

وقوله:

إِذَا بَلَغَ الْفُطَامَ لَنَا صَبِيٌّ تَخَرَّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ (٥)

وقول لبيد بن أبي ربيعة:

وَيُكَلَّلُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ خُلْجًا تُمَدُّ شَوَارِعًا أَيْتَامَهَا (٦)

لقد استطاع الفعل المضارع الداخل في جواب "إذا" صرف الجواب لا إلى الاستقبال وحسب، بل وطوعية الاستمرار في المستقبل مرة بعد أخرى، ولذلك فإن الحرب إذا ضررت من جديد فإن ضرامها سيستمر حتى لا يكون لذلك انتهاء يحدده الشاعر، وهو إذ يسعى إلى تعميق الشعور بقيام الحرب وبقائها ليعزز رغبة الصلح ويجعلها تنتصر على رغبة السجال.

(١) الكتاب، ج ٣، ص ٦٠

(٢) الألباري ص ٢٦٧، وعند الزوزلي ص ١١١

(٣) رواية البيت للألباري: كَانَ مَتَوَلِينَ مَتُونُ غُدْرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا، ص ٤١٦. ورواية البحث للزوزلي ص ١٨٤.

(٤) الألباري ص ٤١٧، وعند الزوزلي ص ١٨٥

(٥) الزوزلي ص ١٨٩، وهو غير مروي عند الألباري.

(٦) الألباري ص ١٥٨/٥٩٩٠ وعند الزوزلي

وفي بيت عمرو بن كلثوم يشبه تدرّج الدرّ وحسن لسجها بطرائق الماء إذا هبت عليه الريح^(١)، وكما هو معروف فإن هبة الريح إذا أصابت الماء في المرة الواحدة تدرّج الماء مرات متكررة نتيجة لذلك. هذا بالنسبة لبيتة الأول، أما فيما يتعلق ببيتة الآخرين:

ورثناهنّ عن آباء صدّق
ونورثها إذا مرّنا بمنينا^(٢)
إذا بلغ الفطام لنا صبيّ
تخرّ له الجبابر ساجديننا^(٣)

فإنه يزيد مقدار الفخر بتكرار الميراث، وهو الخيل، في أبنائه واحداً تلو الآخر، و مرة تلو الأخرى كما ورثوها هم بالطريقة نفسها، ويعزز هذا الفهم استخدامه لضمير الجماعة "ورثناها" الأمر الذي يدل على تعدد الوارثين ولا يكون هذا في المرة الواحدة. والفخر نفسه في البيت الثاني الذي يستمر فيه السجود لصبيهم منذ فطامه دون انقطاع.

وفي بيت ليبيد يفخر بتكرار الفعل فيستخدم المضارع في جواب "إذا"؛ يقول الزوزني: "ونكلل لسفراء والمساكين والجيران إذا تقابلت الرياح. أو في كلب الشتاء واختلاف هبوب الرياح، جفاناً تحكي بكثرة مرقها أنهاراً يشرع أيتام المساكين فيها وقد كللت بكسور اللحم"^(٤)؛ ولذلك فإنه يشير إلى تكرار إنضاج اللحم مرة بعد أخرى في كلب الشتاء للتكثير.

وأما في عمرو بن كلثوم:

يَقْتَنُ جِيادَنَا وَيَقْلُنُ لِسْتَمُ بَعُولَتُنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا^(٥)

يقول الأنباري: "... وفي يقتن ضمير الطعائن . ويقتن جواب إذا^(٦)، وفي الكلام مجانبة لحقيقة معنى البيت إذ إن كلام النساء هو "إذا لم تمنعونا لستم بعولتنا"؛

(١) الأنباري ص ٤١٦.

(٢) الأنباري ص ١٨٥/٤١٧.

(٣) الزوزني ص ١٨٩، وهو غير مروي عند الأنباري.

(٤) الزوزني ص ١٥٩.

(٥) الأنباري ص ٤٢٤. وعند الزوزني ١٨٦.

(٦) الأنباري ص ٤٢٤.

يقول الزوزني في شرح البيت: "يعلفن خيلنا الجياد ويقلن لستم أزواجنا إذا لم تمنعونا من سبي الأعداء إيانا" (١).

أما في الشكل الآخر:

(إذا + فعل ماض + (ما + فعل مضارع)

فقد ورد في بيت وحيد لطرفة بن العبد؛ يقول فيه:

وإذا صَحَوْتُ فما أَقْصَرُ عن ندى وكما علمت شمائلِي وتكرَّمِي (٢)

ويبقى الفعل المضارع في جواب "إذا" على دلالة الاستقبال والاستمرار، ولكن دخول "ما" كان لإضافة معنى جديد هو نفي استقبال واستمرار التقصير، فهو يهلك ماله بالجود مرة بعد أخرى أثناء صحوه، وكان أهلكه في سكره في البيت السابق:

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم (٣)

يقول الأنباري: "أحب أن يعلمها أنه سخي كريم في الحالين جميعاً في صحوه وسكره، وأن الخمر لا تحل منه شيئاً كان ممنوعاً" (٤).

وفي النمط الثاني:

(إذا + (لم + فعل مضارع) + جملة اسمية (أو مُصَدَّرَةٌ بفعل ناسخ)

وهنا تختلف في جواب إذا "أشكال الجملة الاسمية الداخلة فيه، فهي إما أن تكون مصدرية بحرف مشبه بالفعل هو "إن" وبعده اسمه وخبره؛ نحو قول عنتر:

أثنِي عليَّ ما عَلِمْتُ فإنني سَمَحٌ مُخَالِطُني إذا لم أَظْلَم (٥)

وفي هذا البيت جاءت جملة (فإنني سمح مخالطني) جملة اسمية مصدرية بـ "إن" واقعة جواباً للشرط في محل جزم، ارتبطت بالناء لاشتراط ذلك حيث إن الجواب الجملة لا يصلح لأن يكون شرطاً، حيث لا مناسبة لفظية بين الشرط والجواب، فجاء الشرط فعلاً على معنى الاستقبال بدخول "إذا" فيه، أما الجواب فكان جملة اسمية تشير إلى حقيقة مقررة يعززها الشاعر وهي إطلاق الزمن، مما يشير إلى

(١) الزوزني ص ١٨٦

(٢) الألباري ص ٣٣٩، وعلد الزوزني ص ٢٠٤

(٣) الألباري ص ٣٣٩، وعلد الزوزني ص ٢٠٤

(٤) الألباري ص ٣٣٩

(٥) ورد الشاهد في البحث ص ٦٢

رسوخ هذه الصفة فيه في حال عدم وقوعه في الظلم ، ويؤكد بها باستخدام "إن" التي تفيد التوكيد، ولذلك فكان الشاعر يخبرها أنه لم يقع عليه الظلم كما ويحذر من وقوعه ولذلك فإنه سبق هذا الكلام إشارته إلى "أثني عليّ بما علمت" فهو يطلب إليها الثناء الكثير:

ورد عند عنبرة:

الشائمي عرّضي ولم أشتّمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي^(١)

في هذا البيت جواب "إذا + فعلها" هو "الناذرين" وهذه اللفظة كما يذكر الأنباري في موضع خفض^(٢) من البيت السابق:

ولقد خشيتُ بأن أَموتَ ولم تكن للحرب دائرةً على أبني ضمضم^(٣)

لما لم يكن من الممكن عد اسم مفرد جواباً لـ "إذا" وجب دراسة الاسم ضمن سياقه السابق واللاحق. أما بالنسبة للسابق فيقبل أنها في موضع خفض لأن صفة ابني ضمضم كما حددها النص هي (الشائمي عرّضي والناذرين)، وعلى الرغم من اكتمال البنية النحوية إلا أن الشاعر سرعان ما عرج ليكمل البنية المعنوية التي يريد التعبير عنها، فأضاف جملة نحوية متعلقة بأحد أركان جملته النحوية الأولى (الأساسية) ، ولما لم يكن ممكناً التعليق بين الجملتين على ما يبوح به شكلهما، فقد افترض سياق الشاعر بنية نحوية ذهنية تقوم على إضافة ركن إلى الناذرين ليكتمل البناء الجملي من قبيل "هما الناذران"، وبتسوية المعنى لهذا التركيب مع تسوية البنية الذهنية لتركيب السياق الشعري ذاب كلا التسويغين في بعضهما، وقامت بنية النص كمرحلة لاحقة لمراحل معززة بالنحو والمعنى الذي خدمه الشاعر، فحدوث الفعل لا يتحقق مطلقاً من خلال "إذا" التي أفادت الاستقبال، واسم الفاعل على معنى الذي نذر وليس ينذر ؛ يقول سيبويه: "أعبد الله أنت الضاربه، لأنك إنما تريد معنى الذي ضربه، وهذا لا يجري مجرى فعل"^(٤). ومعنى هذا أن دلالة الاستقبال في "إذا" هي في فعل الشرط والفعل لم يقع وجوابه

(١) ورد الشاهد في البحث ص ٦٢

(٢) الأنباري ص ٣٦٤.

(٣) الأنباري ص ٣٦٣. وعند الزوزلي ص ٢١٤

(٤) سيبويه، ج ١ ص ١٣٠.

غير واقع للفي وقوع الأول، بمعنى أنه لا يراها وطالما هو كذلك فهما يلذران،
ويسبطل النذر في حال اللقاء الذي لا يكون؛ يقول الأنباري: "قوله: والناذرين إذا
لقيتهما دمي" معناه والقائلين: لئن لقيناه لنقتلنه" (١)

ويبدو أن رواية الزوزني أبين في أداء المعنى؛ نقول:

والناذرين إذا لم ألقهما دمي (٢)

نعود مرة أخرى إلى بيت عمرو بن كلثوم:

يُقَتِّنُ جِيادَنَا وَيَقْلُنُ لِسْتَمِ بَعُولَتُنَا إِذَا لَمْ تَمْنَعُونَا (٣)

فنقول إن هذا البيت يأتي تحت شكل الخبر الجملة وهي "لستم بعولتنا" وأن كلام
الأنباري السابق في "يقتن" الخبر غير وارد، حتى وإن حاولنا تأويله على إذا في
بيته السابق:

إِذَا مَا رَحْنُ يَمْشِينَ الْهُوِينِي كَمَا اضْطَرَبَتْ مُتُونُ الشَّارِبِينَا (٤)

ذلك أن "إذا" هنا هي للمفاجأة ولا علاقة لها بما قلناه سابقاً إذ لا تأخذ جواباً.

(١) الأنباري ص ٣٦٤.

(٢) الزوزني ص ٢١٤.

(٣) ورد ص (٦٥).

(٤) الأنباري ص ٤٢٤، وعند الزوزني ص ١٨٦.

إذ:

"إذ" عند سيبويه ظرف مثلها في ذلك مثل "إذا" يقول "وهي ظرف" (١). وعنده أنها "لما مضى من الدهر" (٢)، وأنها لا يجازى بها (٣)؛ حيث تضارع باب إن وكان اللتين لا يقع الجزاء فيهما فكذا هي، ويضرب مثلاً لشبهها في باب "كان"؛ يقول: "ونقول: أتذكر إذ نحن من يأتنا تأتة. فنحن فصلت بين "إذ" و "من" كما فصل الاسم في كان بين "كان" و "من" (٤)، وهو يرى أنها قد تخرج عن ذلك في الشعر*.

أما فيما يتعلق بكونها ظرفاً فقد قال بعد الباحثين فيها بالاسمية على الرغم من كون سيبويه لا يذكر شيئاً من ذلك؛ يقول فاضل الساقى: "تقوم "إذ" مقام الاسم وتؤدي وظيفته، وذلك في الكلام حين يضاف إليها اسم الزمان (يومئذ) فلو كانت ظرفاً لما وقعت مضافاً إليه" (٥). وهو كذلك يذكرها في باب الظروف، وعليه فهو يقر فيها الاسمية والظرفية بتحديد السياق.

أما فيما يتعلق بكونها للماضي فيقول علي جابر المنصوري: "هي ظرف للزمن الماضي في أكثر استعمالاتها، وقد تكون للمستقبل إذا رفقت بقرينة" (٦) فهو يخرجها عن أن تكون للماضي وحسب، ولكنها تحتاج إلى قرينة لتؤدي هذا المعنى الجديد، فيبين بذلك أنها بنفسها لا تشير إلا إلى الماضي. ويعيد محمد عبد الرحمن الريحاني ذلك إلى أنه كان بفعل طرد حكم عام عليها ناتج عن مباشرتها لقرائن دالة على الماضي، حتى إن هذه السياقات همشت سياقات أخرى لا تكون فيها دالة على الماضي (٧).

*لمزيد من التفصيل راجع أسلوب "إذ" في ضوء الدراسات القرآنية، ص ١٩-٢١

(١) سيبويه ج ٤ ص ٢٢٩.

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢٩.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٣ ص ٧٥.

(٥) فاضل الساقى، أقسام الكلام العربي، ص ٣٢٤.

(٦) علي جابر المنصوري، الدلالة الزمنية، ص ٧٧.

(٧) محمد عبد الرحمن الريحاني، اتجاهات التحليل الزمني، ص ١٨٢.

و قويت "إذ" فامتلكت خاصية الإضافة إلى الجمل الفعلية والاسمية؛ ويوضح السيرافي ذلك بأمثلة؛ نحو: "جئتكَ إذ زيد قائم" و"جئتكَ إذ قام زيد" و"إذ يقوم زيد"^(١). ويعلل ذلك ابن عقيل؛ يقول: "... أن ما كان مثل "إذ" في كونه ماضياً غير محدود . يجوز إضافته إلى ما تضاف إليه. "إذ" من {الجملة ، وهي} الجمل الاسمية والفعلية . وذلك نحو " حين ووقت وزمان ويوم"^(٢).

وهي عند سيبويه تكون حرف شرط "إذ" أضيفت إلى "ما" يقول: "ولا يكون الجزاء في "إذ" حتى يضم إليها "ما" فتصير " إذ " مع ، ماء بمنزلة إنما.. وليست " ما " ... (فيها) بلغوا، {ولكنها} مع ما بمنزلة حرف واحد"^(٣). (بتصرف) ترد "إذ" في المعلقات ضمن أنماط متنوعة تتبعها فيها الجملة الاسمية أو الفعلية المصدرة بالفعل الماضي أحياناً والمضارع بأشكال مختلفة في أحيان أخرى، ملاحظين أن "إذ" لا يرد لها ركن جواب في كل سياقات المعلقات. مما قد يكون ملمحاً لنفي الشرطية فيها. وفيما يلي تمثيل لهذه الأنماط:

أولاً: إذ + فعل ماض

ثانياً: إذ + فعل مضارع مثبت

ثالثاً: إذ + لا النافية + فعل مضارع

رابعاً: إذ + جملة اسمية

وفيما يلي تتبع تفصيلي لهذه الأنماط في المعلقات من خلال سياقاتها. ففي النمط:

إذ + فعل مضارع

ورد هذا النمط في المعلقات بشكل كبير نسبياً إذا قيس بورود "إذ" في المعلقات حيث تبلغ نسبته حوالي الربع على الرغم من كونه ينحصر في معلقة واحدة هي معلقة عنتره العبسي في قوله:

(١) السيرافي ، الشرح ج ١ ص ١٤٠.

(٢) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٢ ص ٥٧.

(٣) سيبويه ، ج ٣، ص ٥٦ ، ٥٧.

إِذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ عَذْبُ مُقْبَلِهِ لَذِيذُ الْمَطْعَمِ^(١)

وقوله:

إِذْ لَا أزالُ عَلَى رِحَالَةٍ سَابِحٍ نَهْدُ تَعَاوِهِ الْكُمَاةُ مُكَلِّمٌ^(٢)

وقوله:

وَلَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى إِذْ تَقْلُصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ^(٣)

وقوله:

إِذْ يَتَقَوْنَ بِي الْأُسْنَةُ لَمْ أَحِمَّ عَنْهَا، وَلَكِنِّي تَضَاقِقُ مَقْدَمِي^(٤)

ففي البيت الأول يصف عنتره حبيبته عبلة بأنها ذات فم عذب تظهر فيه أسنان بيض لذيدة المقبل والمطعم؛ يقول الزوزني: "إنما كان فزعك من ارتحالها حين تستبيك بثغرها ذي حدة واضح عذب موضع التقبيل منه ولذ مطعمه"^(٥) وهو في هذا يشير إلى بيت سابق:

مَا رَاعَنِي إِلَّا حُمُولَةُ أَهْلِهَا وَسَطُ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخَمْجِ^(٦)

وفي هذا المعنى يكشف حديث الشاعر عن زمن ماض فيه ارتحال أفزع الشاعر ولكن الصفات التي نسبها لحبيبته لا تتعلق بزمن مطلقاً، بل هي لازمة تستبي الشاعر باستمرار، وعليه فإن "إذ" هنا جاءت على معنى "حين" واكتسبت زمناً مطلقاً لا يحدد بماض أو حاضر أو مستقبل.

أما البيت الثاني فهو تابع لبيت سابق له في القصيدة :

هَلَا سَأَلْتِ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي^(٧)

أشار التركيب "إِنْ + فعل + اسم الفاعل" إلى معنى الاستمرار نتيجة استخدام اسم الفاعل ، جاهلة" بعد الفعل "كان".

(١) الأنباري ص ٣٠٧. وعند الزوزني ص ١٩٥

(٢) الأنباري ص ٣٤٣. وعند الزوزني ص ٢٠٦

(٣) الأنباري ص ٣٥٦. وعند الزوزني ص ٢١١

(٤) الأنباري ص ٣٥٧. وعند الزوزني ص ٢١٢

(٥) الزوزني ص ١٩٥.

(٦) الأنباري ص ٣٠٤. وعند الزوزني ص ١٩٤

(٧) الأنباري ص ٣٤٢. وعند الزوزني ص ٢٠٦

ولكي يدحض عنها الجهل فإنه يأتي لها بأفعال لم تنقض بعد، بل إنها أقرب لأن تكون صورة مرئية لا تسترعي من الجاهلة إلا حاسة البصر؛ فيقول: هلاً سألت الفرسان عن حالي إذ لم أزل على سرج فرس سابح تناوب الأبطال في جرحه^(١). ويذكر الأنباري في شرحه "إذ صلة لسألت"^(٢) وهذا يجعل المعنى يترتب على الشكل التالي:

(هلاً سألت، إذ لا أزال على رحالة سابح نهّد تعاوره الكماة مكلم، الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي).

فهو يدعوها للسؤال في الوقت الذي كان هو فيه وما زال وسيستمر على رحالة سابح، إلى أن تتخلص هي من جهلها الذي كانت عليه. وعليه فالفعل مع "إذ" مستمر، والذي يسمح له بتكوين هذا البعد الزمني هو "إذ" التي تدخل في سياق المحددات الزمنية الحالية، بمعنى أنها ترهص للزمن الذي بعدها بقبولها معطياته. أما في البيت الثالث:

ولقد حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِي بِالضُّحَى إِذْ تَقْلَصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الْفَمِ^(٣)

يقول الزوزني: "لقد حفظت وصية عمي إياي باقتحامي القتال ومناجرتي الأبطال في أشد أحوال الحرب، وهي حال تقلص الشفاه عن الأسنان من شدة كلوح الأبطال والكماة فرقاً من القتل"^(٤). وهذا التفسير يوضح أن هذه الحال هي حال ملازمة للأبطال في الحرب خوفاً من القتل، فيقترب هذا مما كان في قول عنتره السابق:

إِذْ تَسْتَبِيكَ بِذِي غُرُوبٍ وَاضِحٍ عَذَبَ مَقْبَلَهُ لَذِيذِ الْمَطْعَمِ^(٥)

ذلك أن "إذ" عبرت عن الزمن المطلق، إذ اقترنت بلوازم ثابتة في كيائها الذي هي منه، وهي ليست "إذ" في قوله:

إِذْ لَا أزالُ عَلَى رَحَالَةٍ سَابِحٍ نَهْدٍ تَعَاوَرَهُ الْكَمَاةُ مُكَلِّمٌ^(٦)

(١) الزوزني، ص ٢٠٦.

(٢) الأنباري، ص ٣٤٣.

(٣) الأنباري ص ٣٥٦. وعند الزوزني ص ٢١١.

(٤) الزوزني ص ٢١١.

(٥) ورد في الصفحة السابقة.

(٦) ورد في الصفحة ٧١.

حيث إنها في البيتين السابقين له كانت الأساس في إحداث الدلالة الزمنية من خلال تحملها للصفين ، الثغر السابي والشفين المتقاصتين، وجاء المضارع لمناسبة الدلالة الزمانية. أما البيت الثالث، فواضح أن " لا أزال " هي التي حملت الفعل على الاستمرار الزماني لدلالة المعنى المعجمي على ذلك^(١) ولما كان المعنى المعجمي هو أقوى محمولات اللفظ فإن الدلالة الزمنية في "إذ" تصبح ثانوية.

وأما في البيت الأخير:

إذ يَتَقَوَّنَ بِي الْأَسْنَةُ لَمْ أَحْمِ عنها ولكني تَضَاقِقُ مَقْدَمِي^(٢)

ففي هذا البيت يتجمل السياق التاريخي واللفظي في قوله "لم أحم" و "تضايق" الزمن الماضي حيث كانت الحرب دائرة، وفي أثناء ذلك كان الشاعر يقف بين أصحابه وأعدائه يتلقى الأسنة في عمل استمر خلال مدة في الحرب التي دارت في الماضي، وعليه فإن "إذ" حملت إشارية الحين الذي جاء مستمراً من خلال المضارع. وهي في الأبيات السابقة جميعها لم تتحمل دلالة الزمن بنفسها، فقد كانت القرائن التي تعتور معها على النص أقوى في صنع زمن السياق، في حين جاءت "إذ" في ذلك كله لازمة إشارية للمضي من الزمن؛ يقول الأنباري في تعليقه على البيت السابق: "وإذ وقت للماضي"^(٣). ويجعلنا هذا التعبير نقول إن "إذ" هي ظرف يحمل في نفسه الماضي بمعنى أنه لا بد للسياق الذي هي فيه من أن يكون في جانب منه ماضياً.

والنمط الآخر لـ "إذ" في المعلقات هو:

إذ + لا النافية + فعل مضارع

فقد ورد في بيتين أحدهما للحارث بين حلزة الإشكري وقال فيه:

وأقدناه ربَّ غَسَّانٍ بالمنذر كرها إذ لا تكال الدماء^(٤)

والآخر للبيد بن ربيعة :

لا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فِعَالَهُمْ إذ لا يميل مع الهوى أحلامها^(٥)

وتعمل "إذ" في هذا النمط عملها في النمط السابق من حيث دخولها على الفعل المضارع، أما (لا) الداخلة على هذا النمط فهي لغو لا تأثير لها في الإعراب،

(١) ورد في اللسان "قال ابن كيسان: ليس يراد بما زال ولا يزال الفعل من زال يزول إذا انصرف من حال إلى حال وزال من مكانه، ولكنه يراد بهما ملازمة الشيء والحال الدائمة" مجلد ١١ ص ٣١٧

(٢) ورد البيت في الصفحة ص (٧١).

(٣) الأنباري ص ٣٥٨.

(٤) الأنباري ص ٤٩٧. وعلا الزوزلي ص ٢٣١

(٥) الأنباري ص ٥٩٣. وعلا الزوزلي ص ١٦٠

والمعنى الذي تضيفه هو النفي؛ يقول سيبويه: "ونقول: إن لا يقل أقل، فلا لغو، وإذ وأشباهها ليست هكذا، إنما يصرفن الكلام أبداً إلى الابتداء"^(١) ويريد سيبويه بذلك أنها لا تعمل نحويّاً فيما بعدها. ولكن هذا لا ينفي العمل الدلالي؛ يقول ابن يعيش: "لا حرف موضوع لنفي المستقبل"^(٢) ويضرب لذلك مثلاً "فإذا قال القائل: يقوم زيد غداً. وأريد نفيه قيل لا يقوم"^(٣)؛ ولذلك فإن "لا" في بيتي الحارث وليبد جاءت تابعة لـ "إذ" نفيّاً لفعل لم يقع ولن يقع في المستقبل؛ يقول الأنباري: "يقول: قتلنا ملك غسان هذا، وإنما قتلناه بالمنذر كرهاً لأن لا تكال الدماء"^(٤) فهو ينفي كيل الدماء؛ ولذلك فسرها بعضهم "ذهبت هدرأً ليس لها قود"^(٥). وأما قول لبّيد فيقول فيه الأنباري: "وقوله" لا يميل مع الهوى أحلامها. معناه أحلامهم تغلب هواهم. فليسوا ممن يميل مع الهوى أو يتكلم به"^(٦) وهو كذلك ينفي المستقبل هنا. وإلى النمط الآخر في المعلقات وهو:

إذ + الفعل الماضي

وهذا النمط يشكل أكثر من النصف بالنسبة لورود "إذ" في المعلقات في إشارة إلى كونه أكثر أنماط "إذ" دوراناً في اللغة، وقد انحصر ورود هذا النمط في معلقتي الحارث وليبد؛ يقول الحارث:

إذ رُفَعْنَا الجَمالَ من سَعَفِ البَحْرينَ سَيراً حَتَّى نَهاها الحِساءُ^(٧)

وقوله

كَتاليفِ قَوْمِنَا إِذْ غَزَا المُنْذِرُ هَلْ نَحْنُ لَابِنِ رَهْدِ رِغَاءِ^(٨)

وقوله:

إِذْ أَحْلَى العَلِياءَ قِيَّةَ ميسونَ فَأدنى دِيارِها العَوصاءُ^(٩)

(١) سيبويه ج ٣ ص ٧٧.

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ج ٨ ص ١٠٨.

(٣) المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٨.

(٤) الأنباري ص ٤٩٧.

(٥) المصدر السابق ص ٤٩٧.

(٦) المصدر السابق ٥٩٤.

(٧) الأنباري ص ٤٧١. وعبد الزوزني ص ٢٢٦.

(٨) الأنباري ص ٤٨٧. وعبد الزوزني ص ٢٢٧.

(٩) رواية الأنباري "إذ أحل العلاء قبة ميسون فأدنى ديارها العوصاء. ص ٤٨٨. وعبد الزوزني ص ٢٢٧.

وقول:

إِذْ تَمْنُونَهُمْ غُرُورًا فَسَاقَتْهُمْ إِلَيْكُمْ أُمْنِيَةٌ أَشْرَاءُ^(١)

وقوله:

آيَةُ شَارِقِ الشَّقِيقَةِ إِذْ جَاءَتْ مَعْدُّ كُلِّ حِي لَوَاءِ^(٢)

وقوله:

مَا جَزَعْنَا تَحْتَ الْعِجَاجَةِ إِذْ وَلَّوْا شِلَالًا وَإِذْ تَلَطَّى الصَّلَاءِ^(٣)

وأما ما ورد عن ليبي قوله:

فَبِتْلَكَ إِذْ رَقَصَ اللِّوَامُ بِالضُّحَى وَاجْتَابَ أَرْدِيَةَ السَّرَابِ إِكَامُهَا^(٤).

وقوله:

قَدْ بَتَ سَامِرُهَا وَغَايَةَ تَاجِرٍ وَافِيَتْ إِذْ رُفِعَتْ وَعِزُّ مُدَامُهَا^(٥)

وقوله:

وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمُلُ شَكَّتِي فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِجَامُهَا^(٦)

وقوله:

تَرْقَى وَتَطْعَنُ فِي الْعِنَانِ وَتَنْتَحِي وَرْدَ الْحَمَامَةِ إِذْ أَجَدَّ حِمَامُهَا^(٧)

تروي الأبيات السابقة أحداثاً ماضية انقضت يرويها الشاعر، وشملت أفعالا ماضية كان بعضها مطلق المضي وكان الآخر مقيد المضي. ففي أبيات الحارث ابن حلزة الثاني والثالث لا يظهر الزمن الماضي مقيداً، بل هو مطلق المضي، ويعزز ذلك أن ما ارتبط بالحدث المقترن بـ"إذ" هو اسم؛ يقول: "هل قاسيتم من المشاق والشدائد ما قاسى قومنا حين غزا منذر فحاربهم"^(٨) فلا نهاية للحدث ولا

(١) الأنباري ص ٤٩٠. وعند الزوزلي ص ٢٢٨

(٢) رواية الأنباري، آية شارق الشقيقة إجماعاً لكل حي لواء ص ٤٩٣. وعند الزوزلي ص ٢٢٩

(٣) رواية الأنباري: ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولت بأفانها وحر الصلاء ٤٩٩. وعند الزوزلي ص ٢٣١.

(٤) الأنباري ص ٥٧١. وعند الزوزلي ص ١٥٠

(٥) الأنباري ص ٥٧٤. وعند الزوزلي ص ١٥٢

(٦) الأنباري ٥٧٩. وعند الزوزلي ص ١٥٣

(٧) الأنباري ص ٥٨٤. وعند الزوزلي ص ١٥٥

(٨) الزوزلي، الشرح، ص ٢٢٧

بداية له و يكمل في البيت التالي: " وإنما كان هذا حين أنزل الملك قبة هذه المرأة علياء، وعوصاء التي هي أقرب ديارها إلى الملك" ^(١)، ومثل هذا في قول لييد:
 فبتلك إذ رقص اللوامع بالضحي واجتأب أردية السراب إكامها ^(٢)
 يقول: " فبتلك الناقة إذ رقصت لوامع السراب بالضحي... ولبست الإكام أردية من السراب" ^(٣) حيث جرى الحدث وانتهى وكان أشبه بالرواية التاريخية التي لم يداخل عناصرها زمن.

وقد تحدد الفعل الماضي المقترن بـ "إذ" بربط حركته بفعل آخر وأداة، فكان هذا الفعل ماضياً أحياناً ومضارعاً أحياناً أخرى، وقد وقع ماضياً خالصاً في أربعة مواضع للحارث بن حلزة؛ هي:

إذ رفَعنا الجِمال من سَعَفِ البَحْرين سِيراً حتى نَهاها الحِساء ^(٤)
 وقوله:

إذ تَمَنَونَهم غُروراً فساقَتَهم إليكم أَمَنية أَشْراء ^(٥)
 وقوله:

أَيَّةُ شارقِ الشَّقِيقَةِ إذ جَأتْ مَعَد لَكلِ حِي لَواء ^(٦)
 وقوله:

ما جَزَعنا تَحْتَ العِجاجةِ إذ وَلَّوا سِلالاً وإذ تَلَطَّى الصِّلاء ^(٧)

وفي هذه الأبيات تنوعت المحددات فكانت "حتى" و "الفاء" يقول الزوزني في البيت الأول: "حين رفَعنا جِمالنا على أشد السير حتى سارت من البحرين سِيراً شديداً إلى أن بلغت هذا الموضع الذي يعرف بالحساء." ^(٨) فقد كان الحدث المرتبط بـ "إذ" ماضياً غير محددة بدايته إلا أنه انقطع بـ "حتى" التي جعلت ما بعدها تالياً لما

^(١) الزوزني، ص ٢٢٧

^(٢) ورد في الصفحة السابقة.

^(٣) الزوزني ص ١٥٠

^(٤) الأنباري ص ٤٧١، وعبد الزوزلي ٢٢٦

^(٥) ورد في الصفحة السابقة.

^(٦) ورد في الصفحة السابقة.

^(٧) ورد في الصفحة السابقة.

^(٨) الزوزني، ص ٢٢٦.

قبلها مع انتهاء كلا الحدثين الذين تقاطعا في الماضي. وعلى الرغم من أن البيت الثاني جاءت فيه "إذ" مع فعل ماضٍ إلا أنها أتبعته بأداة العطف مع الترتيب دون مهلة؛ يقول الزوزني: "حين تمنيتم قتالهم إياكم ومصيرهم إليكم اعتزازاً بشوكتكم وعزتكم فساقطهم إليكم أمنيته التي كانت مع البطر"^(١).

وفي هذا البيت الذي ترتبط فيه "إذ" بفعل ماضٍ جاءت الأداة "الفاء" لتحقيق معنى يختلف عن حتى؛ حيث أحدثت تزامناً بين الحدثين، ذلك أن فعل التمني لم ينقطع قبل حدوث سوقهم، بل إنه كان سابقاً له دون أن ينقطع، ففي مرحلة قريبة من انتهاء التمني حدث ما تمنوه فقطع الحدث الأول، وظهر هو إلى الوجود، ثم انقطع فصار الفعلان ماضيين. وهذا نفسه يتكرر في البيت الثالث؛ حيث يتبع ببيتين آخرين يصفان مجيء معد قبل أن يأتي الفعل المقترن بـ "إذ" وهو:

فَرَدَدْنَاهُمْ مَّابِطَعْنَ كَمَا يَخْرُجُ مِنْ خَرِبَةِ الْمَزَادِ الْمَاءِ^(٢)

حيث يذكر الشاعر بعض مآثر قومه حين اجتمعت عليهم معد؛ يقول الزوزني: رددنا هؤلاء القوم بطعن خرج الدم من جرحه خروج الماء من أفواه القرب وتقوبها"^(٣) يعزز هذا المثال البيت السابق حيث إن اجتماع معد لم ينقطع قبل أن يرددهم قوم الشاعر.

أما في البيت الأخير فعدمت الأداة مع الفعل الماضي المقترن بفعل "إذ" الماضي لأن "لا" النافية ليست عاملاً مؤثراً زمنياً، بل تؤدي وظيفة معنوية تتعلق بنفي وقوع الحدث، وعليه فإنه في البيت:

مَا جَزَعْنَا تَحْتَ الْعِجَاجَةِ إِذْ وَلَوْ شِلَالاً وَإِذْ تَلْظَى الصَّلَاءِ^(٤)

يبقى الفعل على دلالة مطلق الزمن، ولكن بتزامن حدوث الفعلين، ذلك أن عدم الجزع هو نفي لحدث يقع خلال التولي وتلظى الصلاء؛ يقول الزوزني: "ما جزعنا تحت غبار الحرب حين تولوا في حال الطراد ولا حين تلهب نار الحرب"^(٥).

(١) الزوزني ص ٢٢٨.

(٢) رواية الألباري، فجبهاهم بضرب كما يخرج من خربة المزاد الماء ص ٤٩٤ وعند الزوزني ص: ٢٠٨.

(٣) الزوزني ص ٢٠٨.

(٤) رواية الألباري: ما جزعنا تحت العجاجة إذ ولت بألقائها وحر الصلاء ص ٤٩٩ وعند الزوزني ص ٢٣١.

(٥) الزوزني ٢٣١.

أما النمط الآخر في "إذ" فهو:

إذ + فعل ماض + جملة اسمية

ويتمثل في قول لبيد:

ولقد حميتُ الحيَ تحملُ شَكْتِي فُرطٌ وشاحي إذ غدوتُ لجامها^(١)

أي: إذ غدوت لجامها وشاحي؛ يقول الزوزني: "ولقد حميت قبيلتي في حال حملتني فرس متقدمة سريعة، كان سلاحي ووشاحي لجامها إذا غدوت"^(٢). ويذكر الأنباري: "والوشاح رفع باللام"^(٣) وفي هذا الشكل يظهر الفعل الماضي هو المؤدي لدلالة الزمن وهو المضي، وجاءت الجملة الاسمية غير مؤدية إلا لصفة ظهرت في الزمن الذي حدده الفعل.

ويبقى النمط الأخير وهو:

إذ + جملة اسمية

وقد ورد في بيت وحيد في المعلقات هو قول الحارث بن حلزة؛ يقول:

أتلهى بها الهواجر إذ كلُّ ابن هم بليّة عمياء^(٤)

يقول السزوزني في شرح البيت: "أتلعب بالناقة في أشد ما يكون الحر إذا تحير صاحب كل هم مثل تحير الناقة البلية العمياء"^(٥) ويفسر الأنباري جملة: "إذ كل ابن هم بلية عمياء" نحويًا؛ فيقول: "... وكل" رفع بالبلية، و"البلية" مرتفعة به و"العمياء" نعت البلية. وإذ وقت ماض، وهي من صلة أتلهى منتصبة به^(٦) ويبدو من معنى الجملة أن "إذ" هنا لم تكن لوقت ماض؛ ذلك أن الشاعر يقر حقيقة "أن كل ابن هم بلية عمياء"، وهو أمر لا يقع في زمن دون آخر بل هو أشبه ما يكون بـ"مثل" يقال في كل الأزمان، وعليه فإن "إذ" هنا لم تملك أن تحدد الزمن بنفسها وإنما كان وظيفتها الربط، إذ مكنت الجملة الاسمية من التزامن مع الجملة الفعلية

(١) الأنباري ص ٥٧٩، وعند الزوزني ص ١٥٣

(٢) الزوزني ص ٢٤٥، وعند الزوزني ص ١٥٤

(٣) الأنباري (٥٨٠).

(٤) الأنباري ص ٤١٥

(٥) الزوزني، الشرح ص ١٩٣

(٦) الأنباري ص ٤٤٤، وعند الزوزني ص ٢٢٠

السابقة لها وهي "أتلهى بها الهواجر"، وعليه فإن الفعل "أتلهى" هو الذي أمسك بعناصر الزمن في الجملة. وقول الأنباري إنها لزمن ماضٍ مخرج على كلام سيبويه: "أن الزمان إذا كان ماضياً أضيف إلى الفعل، وإلى الابتداء والخبر لأنه في معنى "إذ" (١). وعليه فإن "إذ" من خلال الجملة السابقة تشكل شرطاً لسلامة التركيب إذ لو افترضنا أن "إذا" أو غيرها من القرائن هي التي حلت محلها فإن تحقيق التزامن بين الفعل والجملة الاسمية لا يكون قائماً البتة، ولذلك فقد انتصبت بـ "أتلهى" كما ذكر الأنباري.

وقد رأى فاضل الساقى أن "إذ" في مثل هذه المواضع تقوم مقام أسماء مبهمة دالة على الوقت فتقع موقع المفعول به؛ حيث يراد هنا ذكر الوقت نفسه لا الذكر فيه (٢)، وهذا الكلام فيه كثير من التوضيح للبيت السابق.

الواو: على معنى "إذ" *

هذا المبحث تنمة لمبحث "إذ" حيث وردت إشارة عند سيبويه إلى أن الواو تكون على معنى "إذ"؛ يقول: "وأما قوله، عز وجل: "يغشى طائفة منكم و طائفة قد أهمتهم أنفسهم" (٣) فإنما وجهه على {أنه} يغشى طائفة منكم و طائفة في هذه الحال كأنه قال: إذ طائفة في هذه {الحال}. فإنما جعله وقتاً ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء" (٤).

وقد وضّح ابن هشام ذلك فقال إن هذه الواو هي واو الحال الداخلة على الجملة الاسمية، وهي ليست على معنى "إذ" إذ لا يرادف الحرف الاسم بل إنها قيد للفعل السابق، وقد تدخل على الجملة الفعلية (٥)، ولها أمثلة في المعلقات؛ يقول امرؤ القيس:

تَقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بَنَا مَعَا عَقَرَتْ بَعِيرِي يَا امْرَأَ الْقَيْسِ فَاَنْزَلُ (٦)

* الواو حرف وعلى الرغم من ذلك فقد جاءت تحت فصل الظرف، لتعليل ذلك راجعه في سر الصناعة ج ٢ ص ٦٤٥

(١) الكتاب، ج ٣ ص ١١٩

(٢) فاضل الساقى، أقسام الكلام ص ٢٢٢.

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) سيبويه ج ١ ص ٩٠

(٥) ابن هشام، مغني اللبيب ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

(٦) الأنباري ص ٣٧. وعند الزوزلي ص ١٥

وقد سبق تفسير الزمن في هذا البيت في الفصل الأول تحت دلالة "قد فعل"

حيث إن زمن الحدث كان قريباً من زمن القول؛ فاستخدم قرائن هي "الفعل المضارع" و "قد + فعل" والواو على معنى إذ، أي "الحال" وهي قيد للفعل السابق، حيث عملت على ربط الفعل المضارع بالتركيب "قد فعل" بجامع الزمن في كليهما، فضلاً عن كونها بذاتها تتحمل زمناً مقارباً هو زمن الفعل، ولذلك فإننا نستطيع أن نفسر وظيفتها التركيبية بكونها رابط زمني. وعندما نتتبع ذلك في الآية التي ذكرها سيبويه "يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم"^(١)، فيتضح أن الاسم فيها "طائفة الثانية" لم يكن هو العماد الذي تقوم عليه وظيفتها في ربط الفعلين، وإنما نبعث من أهميتها في كون الاسم اتبع بـ "قد + فعل" وهو الفعل "أهمتهم".

وإيراد هذين المثالين لا يعني بالضرورة انحصار الفعل بعد واو الحال على معنى "إذ" بالافتتان بقد، بل قد يتخذ أشكالاً أخرى تخدم النص مثل قول امرئ القيس:

إذا ما بكى من خلفها انصرفَتْ له بشقٍّ وتحتي شِقِّها لم يُحوِّل^(٢)

أمثلة هذه الواو كثيرة في المعلقات ، وقد أغنى ما ذكرناه عن غيره.

(١) إل عمران: ١٥٤.

(٢) الألباري ص ٤١.

الفصل الثالث

صيغ وأساليب دالة على الزمن

أولاً: اسم الفاعل

ثانياً: أسلوب الشرط

ثالثاً: أسلوب النفي

رابعاً: أسلوب الاستفهام

أولاً: أسلوب النفي:

١-التنظير النحوي:

يعد أسلوب النفي في العربية من الأساليب بالغسة الأهمية ، إذ إن وجوده يرتبط بوجود أسلوب الإيجاب، وهما أسلوبان متلازمان لخدمة الإخبار في اللغة. يدخل النفي في العربية ضمن بابين؛ الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وستقتصر دراستنا على النفي في الجملة الفعلية من حيث حمله لدلالات الزمن. يرد أسلوب النفي حاملاً لدلالات الزمن في كتاب سيبويه تحت الأبواب التالية:

أولاً: هذا باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعاً لأنك تبتدئه لشبه المخاطب ثم تستفهم بعد ذلك (ج ١ ص ١٢٧).

ثانياً: هذا باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام وحروف الأمر والنهي (ج ١ ص ١٤٥)

ثالثاً: هذا باب الحروف التي تُضمَر فيها أن (ج ٣ ص ٥).

رابعاً: هذا باب الجزاء (ج ٣ ص ٥٦).

خامساً: هذا باب ما يرتفع بين الجزمين وينجزم بينهما (ج ٣ ص ٨٥).

سادساً: هذا باب الحروف التي لا يليها بعدها إلا الفعل ولا تغير الفعل عن حاله التي كان عليها قبل أن يكون قبله شيء منها (ج ٣ ص ١١٤).

سابعاً: هذا باب نفي الفعل (ج ٣ ص ١١٧).

يندرج تحت الأبواب السابقة خمسة أحرف للنفي هي " ما ، لن ، لم ، لا ، لمّا ، . وهي غير متناولة في دلالتها الزمنية بشكل مباشر، بل إن احتواءها على عنصر الزمن "يكون، لأنها" تقع في اللغة في مقابل الإيجاب الذي يخلو كتاب سيبويه من البحث في دلالاته الزمنية ؛ ولذلك فهو يقيم باباً كاملاً لتناول هذه المقابلة بين النفي والإيجاب تحت عنوان " نفي الفعل" (١).

يقول : " إذا قال: فعل فإن نفيه لم يفعل، وإذا قال: قد فعل فإن نفيه لمّا يفعل، وإذا قال: لقد فعل فإن نفيه ما فعل. وإذا قال: هو يفعل: أي هو في حال فعل فإن نفيه ما

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ١١٧.

يفعل . وإذا قال : هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل . وإذا قال : ليفعل فنفيه لا يفعل .. إذا قال : سوف يفعل . فإن نفيه لن يفعل" (١)

يستخدم سيبويه في الباب السابق التركيب الفعلي كمدخول أساسي للنفي الذي يكون عنده بالحروف التي ذكرناها سابقاً . على الرغم من ورود نصوص أخرى في مواضع أخرى دخل النفي فيها على التركيبين الفعلي والاسمي ، وفي هذا إشارة ضمنية إلى أن الفعل هو حامل دلالة الزمن بشكل أساسي وأما أداة النفي فهي صاحبة دلالة إضافية على الفعل ؛ ومن هنا فإننا نلاحظ اختلاط الدلالات في باب النفي بين الزمنية والمعنوية ، ففي قول سيبويه " إذا قال فعل فإن نفيه لم يفعل" (٢) . نلاحظ أن الفعل الموجب كان ماضي التصريف ، في حين كان نفيه في المضارع ، وقال النحاة إن لم حرف قلب ، قلبت المضارع إلى المضي ، وهذا صحيح معنوياً ، حيث إن الحدث الذي افترض أنه مضى فعله ، إذا سأل أحدهم عنه وأريد نفي حدوثه في الماضي يجاب عنه بـ " لم يفعل" ولكن لو أعدنا النظر في هذا التركيب أما كان أولى أن يقال: فعل؟ ما فعل . كون أن الأمر كله لنفي العمل في الماضي ، ويدل على هذا أن سيبويه يقول في نفي " هو يفعل" أي هو في حال فعل فإن نفيه ما يفعل" (٣) فهذا هو جاء بصيغة المضارع مسبوقاً بـ "ما" لنفي المضارع نفسه في حال كونه موجباً . ويسحب هذا الكلام على كثير مما ورد في الباب السابق ؛ فهو يقول في "قد فعل" إن نفيه "لما يفعل" وقوله "لقد فعل" فإنه ينفيه بـ "ما فعل" . أما في الحالة الأولى فقد درج النحويون على إقامة علاقة بين "قد" و "لما" تقوم على تقارب المعنى وفي تطبيق في القرآن الكريم يقول أحمد ماهر البقري: "وتفيد" قد " مع المضارع التوقع ، وكذلك تفيد "لما" (٤)

ومما سبق نقول إن حرف النفي حمل دلالات معنوية مضافاً على الفعل العماد ، الذي حمل دلالات الزمن بنفسه .

(١) الكتاب ، ج ٣ ص ١١٧ .

(٢) المصدر السابق والصفحة ذاتها .

(٣) المصدر السابق والصفحة ذاتها .

(٤) أحمد ماهر البقري ، أساليب النفي في القرآن الكريم ، ص (١٠٤ - ١٠٥) .

وأما قول سيبويه إن نفي "لقد فعل" هو "ما فعل" فيمكن أن يدخل "ما" من قبيل أحرف النفي التي تكون للحال، وقد مرّ سابقاً أن "قد" تقرب زمن الماضي من الحال؛ ولذلك فمن المنطقي بعد ذلك أن يكون نفي يفعل هو ما يفعل، ويحدد سيبويه ذلك فيقول: "أي هو في حال فعل" ^(١) وأما إن لم يكن الفعل واقعاً فإن نفيه "لا يفعل" ويبدو في هذا الطرح إشكال إذ كيف يكون الفعل في حال فعل فيحدد نفيه بـ "ما يفعل" ثم إن لم يكن واقعاً فينفي بـ "لا يفعل"، ذلك أن الفعل إن كان يراد أنه في حال فعل أي "شروع بالفعل" فإنه لا يكون إلا واقعاً؛ ولذلك فإن هذا الكلام قد يشير إلى أن سيبويه إنما أراد أن يفرق في دلالة الفعل المعنوية بين حالين؛ فعل العادة وفعل الحدث وعليه فالفعل: هو يفعل ما يفعل (يريد به الفعل الاعتيادي الذي يقوم به الفرد باستمرار).

هو يفعل ← لا يفعل (يريد به الفعل الذي يفترض أنه يعمل بادعاء قائله وهو في الحقيقة لا ينفذ في الزمن الحال الذي هو مخصص للقيام به).

يعزز ذلك أن سيبويه فيما بعد يحدد نفي "والله ليفعلن" بـ "والله لا يفعل" ^(٢). ذلك أن الفعل "ليفعلن" ليس فعلاً اعتيادياً، ولكنه حدثي يفترض أن يقع في وقت من الاستقبال محدد، ثم لا يكون بنفيه، فضلاً عن إن نفيه يكون في زمن سابق لحدوثه كما أن فعله كذلك، في حين إن ما فعل هو نفي في الزمن كما أن الفعل يفترض أن يكون بالزمن، بمعنى أن بدايته تكون مفترضة سابقة لأمره.

وأما في نفي "سوف يفعل" فهو "لن يفعل" يشير سيبويه في موضع من الكتاب إلى علاقة تركيبية متشابهة بين دخول السين الاستقبالية ولن على الفعل المضارع؛ يقول: "إنما تدخل هذه السين على الأفعال، وإنما هي إثبات لقوله لن يفعل. فأشبهتها في أن يفصل بينها وبين الفعل" ^(٣) وإشارته في هذا الموضع هي إشارة تركيبية تتعلق بالشكل لا بالدلالات.

ويبقى السؤال: هل أدوات النفي هي مواد مفيدة زمنياً؟

(١) الكتاب، ج ٣ ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(٣) الكتاب، ج ٣ ص ١١٥.

يعد سيبويه أدوات النفي حاملاً تركيبياً لبعض الدلالات المعنوية والزمنية، وهو يقدم إشارات صريحة إلى ذلك فهو يقول في "قد" و "لما" "ولما يفعل وقد فعل إنما هما تقوم ينتظرون شيئاً" ^(١) ويشير إلى أنهما "لما ينتظر ولم يقع" ^(٢) كذلك فإنه يقيم الفعل المنفي موازياً للفعل الموجب في علاقته مع الظرف ، يقول: "... ويقول ، لم أغث أمس ، فنقول: فقد أتاك الغوث اليوم" ^(٣) وكما هو في الفعل الموجب بقسوم الظرف بتحديد أبعاد الفعل؛ يقول خليل عمايره معلقاً على قوله تعالى " لن أكلم اليوم إنسياً" ^(٤): " لن تكون مطلقة في الزمن المستقبل ، ولما أريد تحديدها زمنياً جيء بكلمة اليوم " ^(٥)

ويبدو أن علي جابر المنصوري يرى في أدوات النفي حاملاً للزمن ، فهو يعلق على جملة النفي من حيث كونها ماضوية وغير ذلك؛ يقول: " لأنه - أي المضارع - هو الذي يضم أكثر أدوات النفي" لم ، لما ، ليس ، ما ، لا ، لن " فكل هذه الأدوات تأتي لنفي صيغة المضارع الصرفي، ولاتنفي صيغة فعل منها إلا ما ... ^(٦) وهذا الكلام يشير إلى قدرة أدوات النفي على تحويل الزمن، وهذا يؤكد عند المنصوري إفادتها زمنياً؛ ولذلك فإن آخرين مثل السامرائي يخلص إلى نتيجة " إن أدوات النفي مواد مفيدة وهي من الزوائد التي تخلص الحدث إلى زمن ما وترشحه له" ^(٧) ونحويون آخرون أكدوا ذلك مثل عصام نور الدين ؛ يقول: " وإن الفعل المضارع يدل على الحال إذا نفي بـ " ما " ^(٨)

كل ما سبق يشير إلى وجود علاقة أكيدة بين أدوات النفي والزمن، ولكن يبقى المحك الحقيقي لذلك هو النص.

٢. التطبيق النصي:

^(١) الكتاب، ج ٣ ص ١١٥.

^(٢) الكتاب ، ج ٣ ص ١١٤ - ١١٧.

^(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٣

^(٤) مريم: آية ٢٦.

^(٥) خليل عمايرة ، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية ص ٨٣.

^(٦) علي جابر المنصوري ، الدلالة الزمنية ص ٦٥.

^(٧) إبراهيم السامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته ، ص ٢٧.

^(٨) عصام نور الدين ، الفعل والزمن ، ص ٧٥.

تتأول سيبويه خمسة من أدوات النفي تتأولاً زمنياً وهي "مسا، لن، لم، لا، لمّا"، وقد ورد ذكرها جميعاً في المعلقات باستثناء "لن" مع أنها من أكثر أدوات النفي دوراً في اللغة، وهذا يدل على أن ورود غيرها لا يعطل لظاهرة شاملة في الاستعمال اللغوي لها.

أما أكثر هذه الأدوات وروداً في المعلقات فكان "لا" يليها "لم" ثم "مسا" في "لمّا". وفيما يلي دراسة لاستعمالها في المعلقات .

* لمّا: (١)

وردت "لمّا" في مواضع محدودة في المعلقات ، فجاءت في بيت واحد عند امرئ القيس يقول فيه:

فقلتُ له لمّا عوى : إن شأنا
قليلُ الغنى إن كنتَ لمّا تمولُ (٢)

وفي بيتين لعمرو بن كلثوم يقول فيهما:

إلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا (٣)
أَلَمَّا تَعْمَلُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كَتَائِبَ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا (٤)

يقول امرؤ القيس: "قلت للذئب لما صاح إن شأنا وأمرنا أننا يقل غنانا إن كنت غير متمول كما كنت غير متمول" (٥) ويضيف الزوزني "لمّا بمعنى لم في البيت" (٦) كما كانت في قوله تعالى : "ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم" (٧) ويبدو من كلام الزوزني أنه يشير إلى الدلالة التركيبية لا الزمنية عندما يوحد بين لم ولمّا عاداً

(١) وردت لما عند سيبويه شرطية يقول ج ٤ ص ٢٣٤ "وأما لما فهي للأمر الذي قد وقع لوقوع غيره، وإنما تجيء بمنزلة لو" وردت في المعلقات في مواضع عدة منها:
قول امرئ القيس:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي بنا بطن خبت ذي حفاف عقتل
وقول زهير : فلما عرفت الدار قلت لربعها ألا انعم صباحاً أيها الربع واسلم
وقول عمرو: تذكرت الصبا واشتقت لما رأيت حمولها أصلاً حدينا
وقد اتبعت بالماضي في جميع استخداماتها في المعلقات ، وتشير إلى زمن ماضي منقطع يتعلق به زمن جوابه ويكون تالياً عليه. وهي عند فاضل الساقى: أداة شرط مضملة معنى الظرف (ص ٣٢٤) أقسام الكلام .

(٢) رواية البيت للأنباري ، شرح القصائد السبع الطوال، ط ٨١، وعند الزوزني، ص ٣٩.

(٣) رواية البيت للأنباري ص ٤١٣، و عند الزوزني ص ١٨٣

(٤) رواية البيت عن دالأنباري ص ٤١٣:

أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كَتَائِبَ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا. ورواية البحث للزوزني ص ١٨٣.

(٥) الزوزني ، شرح المعلقات ، ص ٣٩.

(٦) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(٧) آل عمران: آية ١٤٢.

لهما نالفيتهن دون أن يشير إلى الزمن فيهما، ولكن خصوصية الزمن لا شك مرادة عند امرئ القيس؛ ذلك أن البيت مستقيم عروضياً لو استبدل بـ"لما" لم فيكون بتغيير بسيط على الفعل المضارع بعده:

قليل الغنى إن كنت لم تتمول.

وعندها يكون النفي قاطعاً ما ضياً مطلقاً لا يشير بحال إلى مكافحة الذئب ليتمول حتى لحظة التكلم، ولما كان امرؤ القيس يريد الذئب أن يكون مثله في الإرادة والتصميم فإنه يجعله غير متمول حتى هذه اللحظة، ولكن إرادة البحث والتفتيش كانت موجودة حتى اللحظة التي رآه فيهما امرؤ القيس، ولذلك فهو يوحده معه في البيت الذي بعده؛ يقول:

كَلَامَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئاً أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثَ حَرَثِي وَحَرَّتِكَ يَهْزِلُ^(١)

ويعزز لدينا هذه الخصوصية في "لما" أنها عند سيبويه جواب لـ "قد فعل" وقد فعل عنده جواب لمن ينتظر شيئاً، ويعلق الزوبعي على ذلك فهي أنه يكون متوقعاً ثم يصبح ماضياً^(٢)؛ وعليه فامرؤ القيس في حديثه للذئب يثق به وبصلابة موقفه إذ إنه توقع منه باستمرار أن يتمول، فلما لم يكن ذلك فهو يقر بحقيقة في أن التمول لم يحدث.

يتطور هذا التركيب المحتوي "لما" عند عمرو؛ فيقول:

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعْرِفُوا مِنَّا الْيَقِينَا^(٣)

أَلَمَّا تَعْلَمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابُ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا^(٤)

يقول الزوزني: "تحوا وتباعدوا عن مساماتنا ومباراتنا يا بني بكر، ألم تعلموا من نجدتنا وبأسنا اليقين؟ بلى، قد علمتم ذلك لنا فلا تتعرضوا لنا"^(٥) وهو في هذا الشرح للبيت الأول يظهر معرفة بني بكر بأسهم، ولذلك فإن "لما" أفادت استمرار النفي حتى لحظة التكلم، وهذا النفي نفسه يختفي أمام الاستفهام الاستنكاري الذي يحمل معناه على الإيجاب.

(١) رواية البيت للأبنباري ص ٨١ وهو عند الزوزني ص ٣٩.

(٢) طالب الزوبعي، معجم الجملة القرآنية، ص ٤٠.

(٣) الهامش رقم (٣) في الصفحة السابقة.

(٤) مراجعة الهامش رقم (٥) في الصفحة السابقة.

(٥) الزوزني، شرح المعطيات، ص ١٨٣.

ويعلق الزوزني على البيت الثاني فيقول: "وما في قول أَلَمَّا صلة زائدة" (١)
وهذا الكلام سهو من الزوزني ذلك أن "لَمَّا" هنا هي النافية مسبوقة بهمزة الاستفهام
على معنى الاستنكار.
"ما"

وردت "ما" في المعلقة في نمطين رئيسيين ؛ أما النمط الأول وهو الأقل
حين جاءت متبوعة باسم، وهي ضمن هذا النمط لا تعد حاملة لدلالة الزمن التركيبي
وبالتالي فسوف يهمل درس هذا الجانب . أما النمط الثاني فكانت "ما" فيه متبوعة
بفعل، وقد ظهرت في ثلاثة أشكال أساسية هي:

١- ما + الفعل الماضي.

٢- ما + الفعل المضارع.

٣- ما + إن (زائدة) + الفعل المضارع.

أما الشكل الأول فقد غلب استخدامه في المعلقة على الأشكال الأخرى،
وورد في المواضع التالية؛ يقول امرؤ القيس:

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَغْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلٍ (٢)
ويقول عنتره العبسي:

مَا رَاعَنِي إِلَّا حُمُولَةُ أَهْلِهَا وَسَطَ الدِّيَارِ تَسْفُ حَبَّ الْخِمْمِ (٣)
ويقول زهير بن أبي سلمى :

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عَلَيْهِ رِمَاحُهُمْ دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُتَلَمِّمِ (٤)
ويقول عمرو بن كلثوم:

فَمَا وَجَدْتُ كَوَجْدِي أَمْ سَقَبٍ أَضَلَّكَهُ فَرَجَعْتُ الْحَنِينَا (٥)
ويقول :

وَمَا مَنَعَ الظَّعَانِ مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّوَادَ كَالْقَلِينَا (٦)

(١) الزوزني ، شرح المعلقة ، ص ١٨٣ .

(٢) رواية البيت للأبنباري ص ٤٧ ، وعند الزوزني ص ٢٣ .

(٣) رواية البيت للأبنباري ص ٣٠٤ ، وعند الزوزني ص ١١٠ .

(٤) رواية البيت للأبنباري ص ٢٧٩ ، وعند الزوزني ص ١١٦ .

(٥) رواية البيت للأبنباري ص ٣٨٤ ، وعند الزوزني ص ١٧٠ .

(٦) رواية البيت للأبنباري ص ٤٢٥ ، وعند الزوزني ص ١٨٧ .

ويقول الحارث اليشكري:

ما أصابوا من تغلبي فمطلول عليه إذا أصيب العفاء^(١)

ويقول:

ما جَزَعْنَا تحت العجاجة إذ ولّوا شِلَالاً وإذ تَلَطَّى الصِّلاء^(٢)

وفي الأبيات السابقة جميعها يحقق الفعل الماضي فكرة المضي بعمومها دون تحديد زمن ذلك المضي، ولكنه أشار إلى دلالة الانتهاء الزمني وحسب. ويمكن أن نرى ذلك باستعراض معنى بيت امرئ القيس الأول وهو:

وما ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مَقْتَلٍ^(٣)

يقول الزوزني: " وما دمعت عيناك وما بكيت إلا لتصيدي قلبي بسهمي دمع عينيك وتجرمي قطع لبي الذي ذلّته بعشقتك غاية التذليل"^(٤) فعملية ذرف الدمع كانت في الماضي وهو ينفي وقوعه منها إلا لتحقيق هدف واحد وهو كونها تريد أن تصيبه في قلبه.

ولو تتبعنا المواضع الأخرى لهذا الشكل من حيث دلالتها المعنوية . لحققت المعنى نفسه زمنياً .

أما الشكل الثاني " ما + الفعل المضارع" فقد ورد في المواضع التالية:

يقول طرفة بن العبد:

يلوم وما أدري علام يلومني كما لامني في الحي قُرْطُ بن معبد^(٥)

ويقول الحارث بن حلزة:

لا أرى من عهدتُ فيها فأبكي اليوم دلهاً وما يُحير البكاء^(٦)

(١) رواية البيت ند الأنباري ص ٤٨٧: ما أصابوا من تغلبي فمطلول ل ، عليه إذا تولى العفاء، ورواية البحث للزوزني ص ٢٢٧.

(٢) رواية البيت عند الأنباري ص ٤٩٩:

ما جَزَعْنَا تحت العجاجة إذ ولّوا شِلَالاً وإذ تَلَطَّى الصِّلاء. ورواية البحث للزوزني ص ٢٣١.

(٣) مراجعة الهامش (١) في الصفحة السابقة.

(٤) الزوزني ، شرح المعلقات ص ٢٠.

(٥) رواية البيت للأنباري ص ٢٠٢، وعند الزوزني ص ٨٦.

(٦) رواية البيت عند الأنباري ص ٤٣٦:

لا أرى من عهدتُ فيها فأبكي اليوم دلهاً وما يرد البكاء. ورواية البحث للزوزني ص ٢١٧.

ويقول لبيد بن ربيعة:

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صماً خوالد ما يبين كلامها^(١)

في الأبيات الثلاثة السابقة يظهر فيها الشكل محققاً لدالتين زمنيتين إحداهما : الاستمرار ، والأخرى ، إطلاق الزمن ، أما الأولى فظهرت في بيت طرفه ؛ يقول : " يلومني مالك "ابن عمه" وما أدري ما السبب الداعي إلى لومه إياي كما لامني هذا الرجل في القبيلة " (٢) فابن عمه مالك يستمر في لومه وتستمر عدم معرفته بسبب اللوم باستمرار الأخير .

أما في بيت الحارث فقد جاءت جملة النفي شبيهة بالجملة التي تكون أمثالاً من الناحية المعنوية ، يقول : " وما يحير البكاء " بمعنى أن البكاء لا يجدي أبداً ، وهذه جملة عامة يستقيم معناها في أي زمن ، وتصلح لذلك إذ إنها ليست خبرية مرتبطة بحدث أو زمن ، وعليه فالواو التي جاءت سابقة لها قطعتها تركيبياً عما قبلها بما في ذلك الزمن ، ولكنها كملت فكرة منقطعة عن التركيب .

الحال نفسه يتكرر في بيت لبيد الذي يسأل الطلول فلا يفيد سؤالها لأنها " ما بين كلامها " فعدم الإبانة هي صفة ملازمة للطلول الخوالد ، والملازم يدخل في باب المطلق من الزمان .

وفي الشكل الثالث : (ما + إن + الفعل المضارع) ينسحب ما قلناه في (ما + الفعل المضارع) عليها ؛ إذ إن الزوزني خرج " إن " هنا زائدة . على قول النحويين بزيادتها مع ما النافية ؛ يقول بعض العرب :

وما إن طينا جُبْنَ ولكن منا يانا ودولةً آخرينا^(٣)

وقد ورد تحت هذا الشكل بيت وحيد لامرئ القيس ؛ يقول فيه :

فقلت : يمين الله مالك حيلة وما إن أرى عنك الغواية تنجلي^(٤)

(١) رواية البيت عند الأنباري ص ٥٢٨ :

فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صماً خوالد ما يبين كلامها .

ورواية البحث للزوزني ص ١٣٠ .

(٢) الزوزني ، شرح المعلمات ص ٨٦ .

(٣) الشاهد من الوافر ، صاحبه فروة بن مسيك / تخريجه : معجم شواهد العربية / عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨٦ .

(٤) رواية البيت للأنباري ص ٥٢ ، وعند الزوزني ص ٢٣ .

يشرح الزوزني هذا البيت قائلاً: "ماله حيلة أي ماله عذر وحجة، وما أرى ضلال العشق وعماه منكشفاً عنك^(١) ويتضح من الموقف الشعري الذي يقيمه امرؤ القيس بزيارته لها ليلاً، وقد نصت لنوم ثيابها، فأخبرته مقسمة أنه لا عذر له بطرقه بابها، وأن ضلال العشق لم ينجل عنه، وهي إذ تخبره بذلك فهي تقيم الزمن على الحال مشتملاً لبعض جوانب الماضي وبعض تلميحات المستقبل، ولكنه ليس مطلقاً في الزمن؛ إذ إن الموقف الشعري يشكل محدداً زمنياً له يجعل الحال وصفاً مطاطاً للموقف يمتد إلى مواقف أخرى سابقة أو لاحقة. ولنسم هذا الزمن "زمن الموقف" الذي يكون مبنياً بالسوابق وبانياً للواحق.

لم :

إن النفي في "لم" هو نفي تعليلي لا يقوم بنفسه ظاهراً أو باطناً، بمعنى إنه لا يوجد إلا ضمن افتراض جملته الإيجابية المفترضة باطناً أو القائمة ظاهراً. وهي في هذا تختلف عن "ما" التي تكون أثبت في النفي قائمة بذاتها؛ ولذلك فهي من حيث دلالات المعنى فإن وجود النفي فيها قاطع إخباري.

وقد أثبت سيويه النفي في "لم" عندما قال "إذا قال فعل. فإن نفيه لم يفعل"^(٢). وقد قال النحويون في "لم" إنها تكون حرف جزم ونفي وقلب، فهي تقلب المضارع إلى الماضي، وهذا الافتراض قائم كون صيغة فعلها المرتبط بها هي المضارع، وتكون صيغة الموجب منها هي الماضي، فإذا قلت: "فمت" فنفيه "لم أقم".

وهذا الكلام صيغي صرف يقوم على تحكيم الصيغة في دلالة الزمن في الفعل أو لنقل الدلالة المثال؛ ذلك أن الفعل الماضي لا يشترط فيه أن يكون حاملاً لدلالة الماضي وحسب. كذلك يكون المضارع، ومن هنا فإن تناولنا للمعلقات وسياقات "لم" المتناولة فيها، وهي كثيرة جامعة، توحى بهذه الدلالات المختلفة وذلك بدخول القرائن المختلفة على "لم وفعلها". كما تدخل القرينة نفسها على جملة الإيجاب، وعليه فتركيب "لم و الفعل" تركيب إفرادي الدلالة يتحمل القرائن المختلفة

(١) الزوزني، شرح المعلقات ص ٢٣.

(٢) الكتاب، ج ٣ ص ١١٧.

كتحمل الفعل المفرد لها، فيصبح دالاً على الماضي المنقطع ، أو المستقبل، والحال، والاستمرار ، والإطلاق، وأزمان بين ذلك متداخلة.

تنوعت الدلالات التي صرفت " لم وفعلها" إلى الأزمان المختلفة ، فكانت

القريفة التاريخية فاعلة في مواضع مختلفة مثل قول امرئ القيس:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ بِرَاكَاً وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلْ^(١)

يقول الزوزني: " فوالى ، يريد الفرس، بين ثور ونعجة من بقر الوحش في طلق واحد ولم يعرق عرقاً مفرطاً يغسل جسده"^(٢) وهذا المعنى كما تصرفه القريفة

التاريخية هو الماضي المنقطع. ويظهر المعنى نفسه عند طرفة إذ يقول:

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قَلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفَلْ حَمُولَةَ مَعْبِدٍ^(٣)

ففي هذا البيت يتحدث طرفة عن حدث ماضٍ عندما طلب إبل أخيه ولم يتركها.

وقد تصرف القريفة التاريخية " لم وفعلها" إلى زمن يكون الحدث فيه مستمراً

في الماضي ثم انقطع؛ يقول طرفة:

إِذَا نَحْنُ قَلْنَا أَسْمَعِينَا انْبَرَتْ لَنَا عَلَى رَسْلِهَا مَطْرُوقَةٌ لَمْ تَشُدَّ^(٤)

فهي تسمعهم الغناء عندما يسألونها ممتدة في غنائها لا تشدد في نغمتها، فعدم التشدد

يستمر كصفة ملازمة للغناء كله وينقطع بانقطاعه الذي يسبق وقت التكلم بزمن غير

محدد.

ومن ذلك أيضاً قول عنتره:

سَحَاً وَتَسَكُّباً فَكَلَّ عَشِيَةً يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمْ^(٥)

(١) رواية البيت عند الأنباري ص ٩٦:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ بِرَاكَاً وَلَمْ يُنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلْ.

ورواية البحث للزوزني ص ٤٩.

(٢) الزوزني ، شرح المعاني ص ٤٩.

(٣) رواية البيت عند الأنباري ص ٢٠٤:

عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ قَلْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي نَشَدْتُ فَلَمْ أَغْفَلْ حَمُولَةَ مَعْبِدٍ

ورواية البحث للزوزني ص ٨٧.

(٤) رواية البيت عند الأنباري ص ٨٠، إِذَا نَحْنُ قَلْنَا أَسْمَعِينَا انْبَرَتْ لَنَا عَلَى رَسْلِهَا مَطْرُوقَةٌ لَمْ تَشُدَّ،

ورواية البحث للزوزني ص ٨٠.

(٥) رواية البيت للأنباري ص ٣١٣، وعند الزوزني ص ١٩٧.

يقول الزوزني: "أصابها المطر الجود صباً" وسكباً فكل عشية يجري عليها ماء السحاب ولم ينقطع عنها^(١)؛ فما يتحدث عنه الشاعر كان مستمراً ولكنه انقطع الآن، دون تحديد زمن الانقطاع، وبالتالي فهذا الانقطاع سابق للتكلم بمدة معينة. غير أن هناك مواضع حدد الانقطاع فيها بوقت التكلم؛ كقول عنتره:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي^(٢)

وقد جاء الاستمرار في الماضي في هذا البيت من خلال التركيب (الفعل الماضي + جاهلة) وتحدد الانقطاع في لحظة التكلم، من قبيل أنها ستبقى جاهلة حتى يخبرها هو، ولما كانت "مالم تعلمي" هي أقرب لأن تكون بدلاً معنوياً (اصطلاح غير نحوي) لقوله: "إن كنت جاهلة" فلا شك أن زمن البديل هو زمن المبدل منه.

وقد يحمل تركيب "لم وفعلها" معنى الاستقبال المحدد بحدوث فعل قبله فإذا حدث الأول حدث هذا الفعل بمعناه السلبي، ويظهر ذلك في قول طرفة:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبدل^(٣)

فهو يقول إنه إذا طلب منه أمر فإنه لا يكون كسولاً ولا متبدلاً ونرى أن القرينة التي عملت في الزمن هي الفاء التي أفادت الترتيب فإنه إذا كان معنياً يترتب عليه عدم الكسل والتبدل.

وقد يخرج التركيب إلى معنى الإطلاق في الزمن وقرينته هنا الجملة الاسمية، وذلك في قول طرفة:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي^(٤)

فالمعنى على الإيجاب أنه لا يحفل بالموت مطلقاً، ولكنه لم اجتمع لديه ثلاثة أشياء يحرص عليها حفل بالموت - أيضاً - مطلقاً، فأصبح حريصاً على حياته، وهذه الثلاثة الأشياء ألفها دائماً وعليه فهو دائم الحرص، وهن:

^(١) الزوزني، شرح المعلقات، ص ١٩٧.

^(٢) رواية البيت للأنباري ص ٣٤٢، وعند الزوزني ص ٢٠٦.

^(٣) رواية البيت للأنباري ص ١٨٣، وعند الزوزني ص ٧٧.

^(٤) رواية البيت عند الأنباري ص ١٩٤.

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم أحفل متى قام عودي.
رواية البحث للزوزني ص ٨٢.

فلمنهن سبقي العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزيد^(١)

وكرّي إذا نادى المضاف محتسباً كسيد الغضا نبهته المتورد^(٢)

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بيهكنة تحت الخباء المعمد^(٣)

ويبدو الإطلاق مسيطراً على دلالات الزمن في الأبيات المرسلة للحكمة ،

حيث يخرج الشاعر كلامه من سياق الزمان والمكان ليكون كلامه عاماً مطلقاً
منطبقاً على كل حال؛ يقول زهير:

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم^(٤)

ويقول:

ومن لم يذذ عن حوضه بسلاجه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم^(٥)

ويقول:

ومن يغترب بحسب عدواً صديقه ومن لم يكرم نفسه لم يكرم^(٦)

وهذه الأبيات كلها على الرغم من تحملها لدلالات الإطلاق ، إلا أن فيها
بعض التحديد بوجود أسلوب الشرط. فترتب حدوث أحد الفعلين على الآخر ولكن
الكل كان مطلقاً، حيث يوجد زمن خاص وزمن عام في الأبيات السابقة.

وإضافة للكلام السابق فإن أسلوب الشرط كان أكثر فاعلية في بيت عنتر:

أثنى عليّ بما علمت فإني سمح مخالطتي إذا لم أظلم^(٧)

(١) رواية البيت عند الأنباري ص ١٩٤:

فلمنهن سبق العاذلات بشربة كميت متى ما تعل بالماء تزيد
رواية البحث للزوزني ص ٨٣.

(٢) رواية البيت للأنباري ص ١٩٤، وعند الزوزني ص ٨٣.

(٣) رواية البيت للأنباري ص ١٩٦، وعند الزوزني ص ٨٣.

(٤) رواية البيت للأنباري ص ٢٨٦، وعند الزوزني ص ١١٩.

(٥) رواية البيت عند الأنباري ص ٢٨٥:

ومن لا يذذ عن حوضه بسلاجه يهدم ، ومن لا يظلم الناس يظلم
رواية البحث عند الزوزني ص ١٢١

(٦) رواية البيت عند الأنباري ص ٢٨٥:

ومن يغترب بحسب عدواً صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم.
ورواية البحث للزوزني ص ١٢١.

(٧) رواية البيت عند الأنباري ص ٣٣٦:

إن تغد في دون القناع فإني سمح مخالطتي إذا لم أظلم.
رواية البحث للزوزني ص ٢٠٣.

فالشاعر إذا لم يقع عليه ظلم فإنه سمح المخالطة ، فعلق أمراً على أمر سابق له ، ويعزز قوة إذا في تغيير دلالة التركيب (كاملاً) الزمنية هو دخول " الفاء " في الجواب وهي تفيد الترتيب أيضاً ، وعلى الرغم من هاتين القرينتين اللفظيتين إلا أن دلالة الإطلاق بقيت موجودة بفعل الحكاية التي يقولها الشاعر وهي جعله سمح المخالطة إذا لم يظلم صفة ملازمة ، ولكن القوة في الداليتين ليست متفاوتة وإن غلبت الثانية قليلاً.

وفي موضع آخر ، توجد "إذا" و " الفاء " ولكن دلالة الإطلاق تسيطر بشكل كبير على السياق ؛ يقول عنتره:

فإذا شربت فإنني مستهلكٌ مالي وعرضي وافر لم يكلم^(١)

وقد ضعف الشرط هنا عن التأثير في تركيب " لم وفعلها " لأنه لم يأت - كما البيت السابق - في جملته مباشرة ، وإنما جاءت " لم وفعلها " معطوفة بحرف "الواو" على الجملة السابقة، متصلة بجملة اسمية هي "عرضي وافر" وجاءت " لم وفعلها " في موضع الخبر الثاني لـ " عرضي " فاكتملت زمن الجملة الاسمية وتحركت في إطارها ، وغدت جملة الشرط هي نقطة بدء بحصولها. تبدأ مجموعة من الأحداث تتحرك في زمن مطلق.

لا :

تدخل "لا" النافية على نوعي الجمل العربية؛ الاسمية والفعلية. و يكون لها دور في صنع الدلالات بمستوياتها المختلفة، إلا أن الدلالة الزمنية لا تتحصل إلا من دخولها على الفعل الذي يكون مضارعاً غالباً ماضياً أحياناً.

يحدد الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ذلك فيقول: " لا أداة لنفي الجملة الاسمية فيكون النفي بها عاماً ، والجملة الفعلية فتكون لنفي المستقبل ولا تؤثر في الفعل شيئاً"^(٢)

وفي الكلام السابق تؤكد حقائق عديدة ، أولها: إن "لا" بدخولها على الجملة الاسمية لا تعلقها بزمن معين. وثانيها ، إن "لا" بدخولها على الفعل تنفي المستقبل ،

(١) رواية البيت للأبباري ص ٣٣٩ ، وعند الزوزني ص ٢٠٤.

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، ص ٢٣٠.

وثالثها: إن " لا " عديمة التأثير نحوياً بالفعل الذي بعدها ولكن لم يحدد محمد حماسة نوع الفعل الذي تدخل عليه " لا " وما إذا كانت " لا " هي الفاعل زمنياً في الجملة الفعلية.

وبالعود إلى كلام سيبويه يتبين أنه يحدد استخدام " لا " في النفي بوجود ثلاث قرائن؛ يقول: " وإذا قال هو يفعل ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه لا يفعل. وإذا قال ليفعلن فنفيه لا يفعل، كأنه قال: والله ليفعلن. فقلت: والله لا يفعل ^(١) فهو ينفي بها الفعل المستقبل، المضارع بلا قرينة، والقسم مع المضارع بقرينتي القسم والتوكيد، والقسم بثلاث قرائن. ولا خلاف أنها دخلت كلها على الفعل المضارع، وهذا يقود إلى السؤال: هل حملت " لا " بنفسها دلالة الزمن، أم بالفعل المصاحب لها؟

استعلمت " لا " النافية في مواضع كثيرة في المعلقات ضمن ثلاثة أشكال؛ هي:

١- لا + الفعل المضارع.

٢- لا + الفعل الماضي.

٣- لا + الاسم

أما الشكل الأول فيعد الأكثر دوراناً في المعلقات، وقد جاء حاملاً لدلالات الزمن المختلفة، فكان المستقبل والحال ومطلق الزمن؛ يقول عمرو بن كلثوم:

وإن غداً وإن اليوم رهنٌ وبعد غدٍ بما لا تعلمينا ^(٢)

ينفي عمرو عنها العلم الواقع في الحاضر ولكنه يمتد به إلى المستقبل فيستخدم ثلاث قرائن هي الفعل المضارع، واليوم، وغداً الظرفين، وقد يضاف إليها بعد غد. ولو حاولنا إلغاء النفي وأقمنا البيت على معنى الإيجاب بإخراج " لا " من النص، فسيبقى المعنى بدلالته الزمنية على حاله وإن اختلف معناه من السلب إلى الإيجاب؛ ولذلك فإن " لا " في هذا البيت دلت على معنى النفي ولكنها لم تتدخل في دلالة الزمن؛ يقول خليل عمايرة: " لا " لمطلق النفي إلا إذا ورد في الجملة ما يقيد الزمن أو يوجهه ^(٣) وهذا تفسير ما كان في سياق عمرو.

(١) الكتاب، ج ٣، ص ١١٧.

(٢) رواية البيت للباري ص ٣٨٦. وعند الزوزني ص ١٦٨.

(٣) خليل عمايرة، أسلوبا النفي والاستفهام في العربية، ص ١٠٣.

وقد جاء تركيب "لا وفعلها" في سياق الزمن المطلق ، وكان ذلك في إطار حكمي كما مر في مواضع سابقة ومنها قول الحارث بن حلزة اليشكري:

ثم فاعوا منهم بقاصمة الظهر ولا يبرد الغليل بالماء^(١)

وقوله:

لا يُقيم العزيز بالبلد السهل ولا ينفع الذليل النجاء^(٢)

وقول لبيد بن ربيعة:

صادفن منها غرة فأصبها إن المنايا لا تطيش سهامها^(٣)

وقول طرفة بن العبد:

أخي ثقة لا ينتهي عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال حاجزه قدي^(٤)

وأمثلة هذه الدلالة كثيرة في المعلقات ، وهي كلها تحمل حكماً سائراً أو صفات ملازمة، ومعانيها على التوالي " وغليل الجوف لا يسكنه شرب الماء لأنسه حرارة الحقد لحرارة العطش"^(٥)، " الأذلاء لا ينفعهم إسراعهم في الفرار"^(٦)، "إن الموت لا مخلص من هجومه"^(٧) هذا السيف لا ينصرف عن ضريبة أي لا ينبو عما ضرب به"^(٨).

وفي بعض المواضع التي دلت في معناها العام على معان مطلقة في الزمن ، تدخل عنصر الشرط ليوجه الزمن دون أن يغيره توجيهاً لا يكون أكثر قوة في دلالة الزمن ؛ يقول زهير:

^(١)رواية البيت للأبناري ص ٤٨٦، وعند الزوزني ص ٢٣٥.

^(٢)رواية البيت للأبناري ص ٤٧٢، وعند الزوزني ص ٢٢٦.

^(٣)رواية البيت عند الأبناري ص ٥٥٧.

صادفن منه غرة فأصبها إن المنايا لا تطيش سهامها.. وعند الزوزني ص ١٤٤.

^(٤)رواية البيت للأبناري ص ٢١٤، وعند الزوزني ص ٩١.

^(٥)الزوزني ، الشرح ص ٢٣٥ (بتصرف).

^(٦)المصدر السابق ص ٢٢٦ (بتصرف).

^(٧)المصدر السابق ص ١٤٤ (بتصرف).

^(٨)المصدر السابق ص ٩١ (بتصرف).

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتُمُ^(١)
وَمَنْ يُوَفِّ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُهْدِّ قَلْبُهُ إِلَى مَطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّمُ^(٢)
وَمَنْ لَمْ يَذَدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ^(٣)
ويقول ليبيد:

لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فِعَالُهُمْ إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا^(٤)

يلاحظ في أبيات زهير الثلاثة تحملها لحكم سائرة فهي مطلقة الحدوث في الزمن، ولكن لما دخلت في التركيب أداة الشرط "مَنْ" فإنها ساهمت في فرض شكل من التحديد على الجملة، فأصبح عدم الشتم مرتبطاً باتقائه، وعدم الذم بالوفاء وعدم التجمم بهداية القلب وتهدم الحوض بعدم الذود عنه.

يدور الحديث في بيت ليبيد عن صفة ملازمة في هؤلاء الناس؛ يقول الزوزني: "لا تَدْنِسْ أَعْرَاضَهُمْ بَعَارٍ وَلَا تَفْسُدْ أَفْعَالَهُمْ إِذْ لَا تَمِيلُ عَقُولُهُمْ مَعَ أَهْوَائِهِمْ"^(٥). فعدم تدنس أعراضهم وعدم فساد أفعالهم هو نتيجة لعدم ميل عقولهم مع رغباتهم، بل إنهم حكماء عقلاء يدراون بذلك الأخطاء.

ودخلت "لا" على الفعل الماضي فنفت وقوعه؛ يقول زهير:

وَكَانَ طَوَى كَشْحًا عَلَى مُسْتَكْنَةٍ فَلَا هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمْ^(٦)

ففي هذا البيت لم يكن دخول "لا" على الفعل الماضي دخولاً مباشراً، ولكننا لا يمكن أن نعهده دخولاً على الاسم الذي قبلها، لأنها دخلت لنفي الفعل وبقي على معناه من الماضي والانقطاع ذلك أن ما كان غير مبدى أصبح مبدى عندما عبّر عنه زهير، وعليه فلا لم تكن مؤثرة في الزمن.

(١) رواية الأنباري (٢٨٧): وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ يَفْرَهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يَشْتُمُ، وعند

الزوزني ١١٩.

(٢) رواية الأنباري (٢٨٢): وَمَنْ يُوَفِّ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يَفْضِي قَلْبُهُ إِلَى مَطْمَئِنِّ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّمُ، عند الزوزني

١٢٠.

(٣) رواية الأنباري (٢٨٥): وَمَنْ لَا يَذَدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ يَهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يَظْلَمُ، عند الزوزني

١٢١.

(٤) رواية الأنباري (٥٩٣): لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فِعَالُهُمْ إِذْ لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا، وعند الزوزني ص

١٦٠.

(٥) الزوزني، الشرح، ص ١٦٠.

(٦) رواية البيت للأنباري ص ٢٧٥، وعند الزوزني ص ١١٣.

وأما قول زهير:

ولا شاركت في الموت في دم نوفل ولا وهب منها ولا ابن المخزّم^(١)

فدخلت على الفعل الماضي وكان منقطع الماضي، وعلى اسم بعد ذلك لتلزمه النفسي امتداداً للنفي الواقع في الفعل. وعليه فإن "لا" بدخولها على الفعل استطاعت أن تحوله من الإيجاب إلى السلب، ولكنها لم تستطع أن تغير في زمنه شيئاً. وثبت ذلك من خلال القرائن التي دخلت على الفعل المنفي، فوجهت دلالاته، كما أنها لم تعد لتحدث تغييراً إعرابياً في الفعل بعدها على غير ما فعلته أكثر أحرف النفي كـ "لم" ولما ولن" والنحويون قالوا: "الإعراب فرع المعنى" وعليه فإن عدم التغير في الإعراب دليل على عدم التغير في المعنى. أما أنها بدخولها على الفعل تنفي المستقبل كما قال عبد اللطيف حماسه سابقاً، فهذا الكلام لم يكن مطلقاً بل خضع لقرائن حملته على ذلك، مما يلغيه ويفسد عموميته ويبقى كلام خليل عمارة قائماً إن "لا" لمطلق النفي ما لم يرد في التركيب ما يقيد الزمن أو يوجهه.

(١) رواية البيت عند الأنباري (٢٨٠): ولا شاركت في الموت في دم نوفل ولا وهب منها ولا ابن المخزّم، ورواية البحث للزوزني ص ١١٧.

ثانياً: الاستفهام:

أ - التنظير النحوي:

ورد الاستفهام عند سيبويه حاملاً لدلالات الزمن تحت الأبواب التالية:

أولاً: هذا باب أو (ج ٣ ص ١٧٥).

ثانياً: هذا باب ما ينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه على إضمار الفعل، المتروك إظهاره لأنه يصير في الإخبار والاستفهام بدلاً من احذر في الأمر (ج ١ ص ٣٣٥).

يدور كلام سيبويه في هذين البابين حول حرفي الاستفهام؛ "هل" والهمزة، ويتجاوزهما إلى "أم"، وينصب الحديث فيهما على محورين؛ الأول يتعلق بالزمن في الاستفهام، والثاني يتعلق بوقوع الاستفهام للتصديق أو التصور أو التصديق والتصور معاً.

أما التصديق فهو إيقاع الاستفهام على ما يصدق الخبر أو ينقضه، بإيجاب أو نفي. وأما التصور فهو إيقاع الاستفهام حول مادة السؤال ليكون الجواب بإضافة مادة جديدة لا يكون الحامل وهو السؤال متضمناً للمحمول وهو الجواب؛ وعليه فالتصديق يكون خبر الإيجاب والنقض والتصور محمول نص الاستفهام.

وحصل اختلاف كبير من حيث إشارة "هل" والهمزة إلى التصديق أو التصور، فقد ورد عند صاحب المغني أن الهمزة تكون لطلب التصديق أو التصور* بينما تكون "هل" مختصة بطلب التصديق.^(١) وهذا ما ذهب إليه زين الخويسكي حيث قسم الاستفهام إلى^(٢):

- ١- ما يطلب به التصديق، وهو "هل"
- ٢- ما يطلب به التصور تارة والتصديق تارة أخرى وهو الهمزة.
- ٣- ما يطلب به التصور فقط.

* لمزيد من التفصيل راجع ذلك في التطور النحوي للغة العربية/ برجستراسر/ المركز العربي للبحث والنشر / القاهرة ١٩٨١/ طبعة ثالثة مصغرة ص ١٠٨-١٠٩.

(١) ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٢٤.

(٢) زين الخويسكي، الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة ص ١٦٤. لمزيد من التفصيل راجع خليل عمارة، أسلوبا النفي والاستفهام ص ١٢، ص ٢٥.

ويعرف الخويسكي التصور بأنه ، تعيين المسند أو المسند إليه ، أو متعلق من متعلقات الفعل، ويكون عند التردد في تعيين أحد الشئيين . وأما التصديق فـالمطلوب به إدراك وقوع نسبة تامة من المسند أو المسند إليه أو عدم وقوعها^(١) وهذا التعريف هو التعريف نفسه الذي قام عليه الكلام السابق؛ ولذلك فإنه لا تتسجم النتيجة التي عنده في تقسيم أدوات الاستفهام بين التصديق والتصور والتنظير النحوي عند سيبويه الذي ضرب أمثلة للهمزة مستخدمة للتصديق تارة والتصور أخرى ؛ يقول: " تقول أعبد الله ضربته"^(٢) وهذا لا يحتمل إلا إجابتين "بلى" أو "لا" ويقول في التصور " أزيداً لقيته أم عمراً"^(٣) فالإجابة تكون واحداً من الاثنين كون اللقيا وقعت باحدهما دون الآخر. والكتاب يعج بأمثلة على ذلك. وضرب سيبويه لـ "هل" أمثلة في التصديق والتصور ، أما التصديق ففي قوله: " يقولون : هل زيد منطلق"^(٤) حيث يجاب عنه بنعم أو لا . وأما التصور ففي قوله: " وإن شئت قلت : هل تأتيني أم تحدثني، وهل عندك برأى شعير"^(٥).

هذه المواضع وغيرها تدل على استخدام هل والهمزة للتصديق والتصور كما رآها سيبويه وإن لم ينتبه بعض النحويين ممن جاءوا بعده إلى ذلك ، إلا أن آخرين أخذوا بذلك، يقول سمر ستيتية: "... وتتميز همزة الاستفهام وهل في أنهما تجيئان للتصديق والتصور".^(٦)

يبدو من الأمثلة المستخدمة في هل والهمزة سواء أكانت للتصديق أو التصور أنها لا تتحمل الزمن دائماً ، بل إن الزمن يكاد يكون أكثر ظهوراً في تلك التي تكون للتصديق دون التصور ، حيث يكون الجواب محمولاً في السؤال ويعزز ذلك أمثلة الزمن في الاستفهام التي استخدمها سيبويه ؛ يقول: " إذا قلت :هل تضرب زيدا، فلا يكون أن تدعي أن الضرب واقع. وقد تقول: أتضرب زيدا وأنت تدعي أن الضرب

(١) المصدر السابق ، ص ١٦٤.

(٢) الكتاب ج ١ ص ١٠١

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ١٠٢

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٩٩.

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٦.

(٦) سمر ستيتية . الشرط والاستفهام ص ١٠٠.

واقع^(١) وهذا الكلام يشير إلى أن سيبويه يرى في هل أنها توسع فيما يستقبل . أما الهمزة فهي تكون على أزمان مختلفة.

ويميز سيبويه بين حرفي الاستفهام فيقول: "... ومما يدلّك على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة "هل" أنك تقول للرجل: أطرباً ! وأنت تعلم أنه قد طرب ، لتوبخه وتقرره. ولا تقول هذا بعد هل"^(٢)

وهو كذلك يشير إلى تغيرات الزمن في الهمزة دون "هل" ؛ يقول: "أطرباً وأنت قنصري .. وإنما أراد ، أطررب ، أي أنت في حال طرب؟ ولم يرد أن يخبر عما مضى ولا عما يستقبل"^(٣)

يلاحظ مما سبق من كلام سيبويه أنه يوقع الزمن في الهمزة وهل عندما تستخدمان للتصديق، وأنه يستخدم التصديق مطلقاً في هل " فلا يكون أن تدعي أن الضرب واقع"^(٤) ويستخدم التصديق نسبياً في الهمزة "وأنت تدعي أن الضرب واقع"^(٥) وجاء التصديق في هذا من كلمة "تدعي" حيث لم يقطع بوقوع الضرب : وعليه فهذا التصديق مطلقاً كان أو نسبياً يندرج تحت باب الاستنكار " في العربية " أطرباً ! وأنت تعلم أنه قد طرب"^(٦).

وإذا عدنا إلى استخدام المعلقات فسنجد أن تراكيب المعلقات كلها في الهمزة وهل " تندرج تحت هذا الباب. وستعالج من خلاله دلالتها على الزمن .
ب- التطبيق النصي:

*هل:

وردت " هل " في المعلقات تحت ثلاثة أنماط؛ هي:

١- هل + الفعل الماضي

(١) الكتاب ، ج ٣ ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ، والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق، ج ١ ص ٣٣٨ .

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ١٧٦ .

(٥) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(٦) المصدر السابق والصفحة نفسها.

في قول عنتره:

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١)

وقول عمرو:

فهل حدثت في جشم بن بكر بنقص في خطوب الأولينا^(٢)

وقوله:

ففي نسألك هل أحدثت صرماً لو شك البين أم خنت الأميना^(٣)

وقول الحارث:

هل علمتم أيام ينتهب الننا س غواراً لكل حي عواء^(٤)

٢- هل + الفعل المضارع:

في قول عنتره:

هل تبليغني دارها شذنية لعنت بمحروم الشراب مصرم^(٥)

٣- هل + اسم

في قول امرئ القيس:

وإن شيفالي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول^(٦)

إن أبيات المجموعة الأولى ينطبق عليها تماماً استخدام "هل" في التصديق حيث إنها جميعها تحتاج إلى إجابة نافية أو مقررة مع عدم الادعاء بأن الحدث واقع، فعنتره يقول في البيت الأول إن الشعراء لم يتركوا باباً من أبواب الشعر دون أن يطرقوه ، وكذلك أنت يا عنتره لم تعرف دار حبيبك بعد التوهم، فهو يقيم الاستفهام للإنكار، فصار الزمن في الشطر الأول على إطلاق المضي، وفي الشطر الثاني بتحديد بمرور وقته للأطلال حتى اللحظة التي خاطبها فيها وطالبها بالكلم، فهو ماض محدد بين حادثتين، مما يجعل السؤالين احتمالان التصديق والتكذيب لو لم يفترض الشاعر الإجابة عنهما بالقرينة التاريخية.

(١) رواية البيت للأبباري ص ٢٩٤، وعند الزوزني ص ١٩١.

(٢) رواية البيت للأبباري ص ٤٠٥، وعند الزوزني ص ١٨٠.

(٣) رواية البيت للزوزني ص ١٦٧.

(٤) رواية البيت للأبباري ص ٤٧٠، وعند الزوزني ص ٢٢٥.

(٥) رواية البيت للأبباري ص ٣١٧، وعند الزوزني ص ١٩٨.

(٦) رواية البيت للأبباري ص ٢٥، وعند الزوزني ص ١١.

أما البيت الثاني فهو يقوم على استفهام استنكاري ؛ يقول الزوزني : " هل أخبرت بنقص كان من هؤلاء من أمور القرون الماضية أو بنقص في عهد سلف" (١) فهو يدعي أن الحديث ليس واقعاً لعدم وجود النقص وهو ماضٍ منقطع.

وفي بيت عمرو الثالث ، يريد الشاعر أن يكشف حبيبته، فيأمرها بالوقوف الذي يكون في الزمن الحاضر، أي زمن التكلم، فيسألها بعد ذلك إن كانت قطعت حبيبها لما كان من سرعة الفراق ، وزمن الحدثين قريب إذ إنه يسأل عما حدث قبل الفراق فيكاد يقترب الصرم من المكاشفة حتى يتحلل من ماضيه فينسحب على المستقبل لافتراض الشاعر وهو الحبيب أنها ستقطعه بفعل الإسراع في الفراق" (٢).

وفي هذا البيت اعتورت قرائن عديدة على الفعل فجعلته صفري الزمن وأكسبت السياق زمناً جديداً ، وغدا الفعل الماضي يشير إلى هدف معنوي يقوم على توطين خيار الصرم والخيانة التي يتوقعها من الحبيبة في نفسه.

وأما في النمط الثاني فقد انصرفت هل + الفعل المضارع" إلى معنى الاستقبال في قول عنتره:

هل تبْلغني دارها شذنية لعنت بمحروم الشراب مُصرّم (٣)

يقول الزوزني : " هل تبْلغني دار الحبيبة ناقة شذنية لعنت ودعي عليها بأن تحرم اللبن" (٤) فهو يتأمل وقوع ذلك في المستقبل . وقد اكتسب هذا المستقبل أيضاً معاني التمني.

وأما النمط الثالث في قول امرئ القيس :

وإن شِفائي عِبرة مُهراقة فهل عند رَسَم دارسٍ من معول (٥)

فقد دخلت هل على اسم حيث يكون التركيب الأساسي " هل معول عند رسم" فصرفت الزمن إلى الإطلاق ؛ يقول الزوزني : " هل موضع بكاء عند رسم دارس؟

(١) الزوزني ، الشرح ص ١٨٠.

(٢) المصدر السابق، ص ١٦٧ (بتصرف).

(٣) مراجعة الهامش رقم (٥) الصفحة السابقة .

(٤) الزوزني ، اشرح، ص ١٩٨

(٥) مراجعة الهامش رقم (٦) في الصفحة السابقة .

وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار^(١) وتُشبه جملة هذه جمل الأقوال المثلية التي
تسحب على الأزمان كلها دون تخصيص .

* الهمزة:

وردت همزة الاستفهام في المعلقات تحت أربعة أنماط هي:

١- الهمزة + الفعل الماضي . في قول امرئ القيس:

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتَلِي وَأَنْكَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ^(٢)

٢- الهمزة + الفعل المضارع المثبت في قولي عمرو:

إِلَيْكُمْ يَا بَنِي بَكْرِ إِلَيْكُمْ أَلَمَّا تَعَوَّفُوا مِنَّا الْيَقِينَا^(٣)

أَلَمَّا تَعَلَّمُوا مِنَّا وَمِنْكُمْ كِتَابَ يَطْعَنُ وَيَرْتَمِينَا^(٤)

٣- الهمزة + الفعل المضارع المنفي . في قول لبيد:

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارَ بَأْتَنِي وَصَالُ عَقْدِ حَبَائِلِ جَذَامِهَا^(٥)

٤- الهمزة + اسم . في قول لبيد:

أَفَتَلُكْ أُمٌ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خُذِلَتْ وَهَادِيَّةٌ الصَّوَارِ قِوَامِهَا^(٦)

تُصَنَّفُ الأبيات السابقة ضمن ما قاله سيبويه من احتمالية الوقوع وعدمه عند

استخدام الهمزة للاستفهام ؛ ففي بيت امرئ القيس وقول لبيد الأخير :

يدعي امرؤ القيس أن حبه غر به محبوبته فالغرور واقع . وكذلك لبيد الذي

رأى أن ناقته تشبه تلك الأتان - التي يتحدث عنها في أبيات سابقة - وتشبه البقرة ،

فهو يدعي أن الشبه واقع .

أما في الأبيات الأخرى لعمرو ولبيد فهي لا تدعي وقوع الحدث ، فعمرو في

بيتته يدعي أن عدم المعرفة غير واقع وكذلك عدم العلم " أَلَمَّا تَعَرَّفُوا وَأَلَمَّا تَعَلَّمُوا " ،

وكذلك لبيد فهو يدعي أن نوار تدري بصفته " وصال عقد حبائل جذامها " .

(١) الزوزني ، الشرح ص ١١ .

(٢) رواية البيت للأبياري ص ٤٥ ، وعند الزوزني ص ١٩ .

(٣) مراجعة الهامش رقم (٣) في الصفحة (٨٦)

(٤) مراجعة الهامش رقم (٥) في الصفحة (٥)

(٥) رواية البيت للأبياري ص ٥٧٣ ، وعند الزوزني ص ١٥١ .

(٦) رواية البيت للأبياري ص ٥٥٣ ، وعند الزوزني ص ١٤٣ .

والأبيات السابقة تؤكد عدم تدخل الهمزة في الزمن حيث أدى الفعل الماضي وظيفته في زمن التركيب وكذلك المضارع وكذلك المنفي بـ "لم" والتركيب الاسمي في إطلاق الزمن.

لا يجوز إغفال سياق النفي الذي ورد في بعض الأبيات مما يقيم فرقاً جديداً بين "هل" و "الهمزة" ؛ حيث يمكن للهمزة أن تلحق بسياق منفي في حين لا يمكن ذلك "هل"؛ يقول سمير ستيتية : " الهمزة تستعمل في التصديق الإيجابي المثبت والتصديق السلبي المنفي، .. بينما لا يجوز أن تقول :هل لم يحضر أخوك؟" (١)

(١) سمير ستيتية ، الشرط والاستفهام ، ص ١٠٠.

ثالثاً: اسم الفاعل:

أ- التنظير النحوي:

ورد ذكر اسم الفاعل حاملاً دلالات الزمن تحت الأبواب التالية من كتاب

سيبويه:

الباب الأول: هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية (ج ١ ص ١٣).

الباب الثاني: هذا باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعاً لأنك تبدئه لتنبه المخاطب، ثم تستفهم بعد ذلك (ج ١ ص ١٢٧).

الباب الثالث: هذا باب من اسم الفاعل (الذي) جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في فعل كان نكرة منوناً (ج ١ ص ١٦).

الباب الرابع: هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى، وما يعمل فيه (ج ١، ص ١٨١).

الباب الخامس: هذا باب ما جرى من الأسماء التي لم تؤخذ من الفعل مجرى الأسماء الي أخذت من الفعل (ج ١ ص ٣٤٣).

الباب السادس: هذا باب ما ينتصب فيه المصدر المشبه به على إضمار الفعل المترك إظهاره (ج ١ ص ٣٥٥).

الباب السابع: هذا باب مجرى النعت على المنعوت والشريك على الشريك والبديل على المبدل منه وما أشبه ذلك (ج ١ ص ٤٢١).

الباب الثامن: هذا باب ما يكون مذكراً يوصف به المؤنث (ج ٣ ص ٣٨٣).

يناقش سيبويه تحت الأبواب السابقة جملة من القضايا المتعلقة باسم الفاعل حاملاً دلالات الزمن التي تتنوع بين الماضي والحاضر والمستقبل؛ فهو يرى أن اسم الفاعل يتحمل ما يتحمله الفعل فيقول في إشارة إلى قوله تعالى: "وجاعل الليل سكناً" (١): "حين قال جاعل الليل فقد علم القارئ أنه على معنى جعل، فصار كأنه قال: وجعل الليل سكناً" (٢) ويقول في موضع آخر: "نقول: إن عبد الله ليفعل.

(١) الأنعام: الآية ٩٦ هذه القراءة - للنافع، وابن كثير، وأبو عمر، وابن عامر، مطبوعات جامعة الكويت، ط٢، ١٩٨٢، ج ٢، ص ٢٩٨، معجم القراءات القرآنية، ج. عبد العال مكرم/ أحمد مختار عمر.

(٢) الكتاب، ج ١ ص ٣٥٦.

فيوافق قولك: الفاعل. حتى كأنك قلت ، إن زيدا لفاعل فيما تريد من المعنى^(١) ونضيف تعليقا على كلام سيبويه السابق أنه لا يجعل اسم الفاعل على عمل الفعل وحسب في المعنى اللغوي، ولكنه يمتد ليحمل دلالات الزمن فيه فكان مرة على معنى المضارع وأخرى على معنى الماضي. وبمنظرة عامة، مؤجلين الشرح إلى مواضع قادمة ، نرى أنه عندما أقام المثال الأول على معنى الماضي أخلى اسم الفاعل مما يتحملة ليكون على معنى المضارع كالتنوين، في حين إنه عندما افترض في المثال الثاني قيام " فاعل" بالعمل" فإن فعله كان مضارعا متصلا بقرينة الاستقبال وهي اللام التي وقعت في خبر "إن" .

ويحمل سيبويه الأزمان الثلاث في اسم الفاعل فيقول: " أعبد الله أنت الضارب، لأنك إنما تريد معنى الذي ضربه"^(٢) ويقول: " وتقول: هذا ضارب" . كما ترى فيجيء على معنى هذا يضرب وهو يعمل في حال حديثك ، وتقول هذا ضارب فيجيء على معنى هذا سيضرب"^(٣)

ليس لنا أن ندعي من الكلام السابق أن سيبويه يضع قرائن قطعية لدلالة الزمن في اسم الفاعل، وإنما يشير إلى ذلك ، ويؤكد هذا الأمر استخدامه جملة " هذا ضارب" " لاحتمال زمنين دون جلب قرائن إضافية للتحديد ؛ في حين إنه يستخدم " أنت الضارب" لتحمل الماضي ؛ وعليه نستنتج أن التنوين عند سيبويه هو قرينة أولى لزمني الحاضر والاستقبال وليست كذلك للمضي . بل إنها لا تكون له قرينة .

واكتسب اسم الفاعل بفعل قوة الزمن فيه قوة جديدة تتمثل في العمل النحوي ، فأخذ مفعولا به بعده كالفعل. وقد كان النحويون يجعلونه عاملا مطلقا إذا كان معرفا، وإن لم يكن عمل في حال دل على حال أو استقبال، ويندرج التنوين تحت الحالة الأخيرة ؛ ولذلك فقد قرنه سيبويه في مواضع عدة بظروف حاملة لدلالات زمنية موازية؛ يقول: " وذلك قولك: هذا ضارب زيدا غدا. فمعناه وعمله مثل هذا يضرب

(١) الكتاب ، ج ١ ص ١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٣٠ .

(٣) المصدر السابق الجزء والصفحة نفسها .

زيداً غداً" (١) ويضيف بعد ذلك " فإذا حدثت عن فعل في حين وقوعه غير منقطع كان كذلك " (٢) ويضرب مثلاً " ونقول : هذا ضاربٌ عبد الله الساعة " (٣)

يشترط سبويه التنوين للدلالة على الزمن ، على الرغم من أن اسم الفاعل استطاع أن يخلق - مجرداً من التنوين - بنية أساسية لطرح الفعل ولكنه عجز بمفرده عن تحمل دلالات الزمن في الفعل الذي حدد دلالاته بتصرفه مع القرائن الذاتية والمحيطية ، ولذلك احتاج اسم الفاعل إلى قرائن مشابهة ذاتية ومحيطية؛ أما الذاتية فتمثلت في البنية الصرفية لاسم الفاعل التي تحملت معاني الحدث في الفعل . وأما المحيطية فتمثلت في القرائن المحددة كالتنوين مما ساهم في إدخال اسم الفاعل تركيبياً في السياق النحوي، ولذلك فقد علق ابن يعيش قائلاً: " وقد يحذف التنوين من اسم الفاعل تخفيفاً وإذا زال التنوين عاقبته الإضافة والمعنى معنى ثبات التنوين " (٤) ويضرب المبرد لذلك أمثلة من القرآن الكريم ؛ قال تعالى : " هدياً بالغ الكعبة " (٥) و " كل نفس ذائقة الموت " (٦) ويعللون لذلك بأن التنوين لو لم يكن مقصوداً لما كان للذكر أن يوصف بمضاف. (٧)

ووردت بعض شواهد اللغة التي جاءت باسم الفاعل منوناً دون أن يدل على معنى في حال أو استقبال كقوله تعالى : " وكلبهم باسط ذراعيه " (٨) فاختلّفوا فيها بين معمل على الرغم من دلالة المضى، وغير معمل لاسم الفاعل، فكان الرأي الثاني هو الأعم المتبع، قال ابن يعيش معلقاً على الآية السابقة: " بهذا التقرير يندفع قول الكسائي وهشام : إن اسم الفاعل الذي بمعنى الماضي يعمل " (٩) " فابن يعيش هنا يقدم

(١) الكتاب ج ١ ص ١٦٤.

(٢) المصدر السابق. الجزء والصفحة

(٣) المصدر السابق. الجزء والصفحة

(٤) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج ٦ ، ص ٦٨.

(٥) المائدة آية ٩٥.

(٦) آل عمران ١٨٥ - الأنبياء ٣٥ - العنكبوت ٥٧.

(٧) المبرد، المقتضب ، ج ٤ ص ١٤٩.

(٨) الكهف: آية ١٨.

(٩) ابن هشام المغني، ص ٦٥٣.

دلالة الزمن على القرينة الشكلية - إن أمكن لهما أن تتعارضا - في فرض القوة على السياق النحوي.

إن التنوين في اسم الفاعل هو الشرط الأول لتحمل دلالات الزمن، والعمل النحوي عند سيبويه، وقد تبين ذلك لديه من خلال إقامة "أل" التعريف مقامه في مواضع الاقتران باسم الفاعل ؛ يقول " تحت باب " هذا باب صار الفاعل فيه بمنزلة الذي فعل في المعنى، وما يعمل فيه" (١) : " وذلك قولك : هذا الضارب زيداً. فصار في معنى ، هذا الذي ضرب زيداً. وعمل عمله، لأن الألف واللام منعاً للإضافة وصارتا بمنزلة التنوين" (٢) كذلك فإنه يعمل اسم الفاعل مع حذف التنوين استخفافاً ؛ يقول: " وما يكون مضافاً إلى المعرفة ويكون نعتاً للنكرة الأسماء التي أخذت من الفعل فأريد بها معنى التنوين" من ذلك " مررت برجل ضاربك. فهو نعت على أنه سيضربه. كأنك قلت: مررت برجل ضارب زيداً، ولكن حذف التنوين استخفافاً" (٣) ويضيف في موضع آخر تعليقاً على قوله تعالى: " وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا" (٤)؛ يقول: " لأنه حين قال جاعل الليل ، فقد علم القارئ أنه على معنى جعل، فصار كأنه قال: وجعل الليل سكناً وحمل الثاني على المعنى" (٥) فقد قوي اسم الفاعل بدلالته على الفعل ولذلك فإنه في الوقت الذي اقترن فيه بمضاف إليه عمل بعد العطف بالواو في "الشمس" فجعلها منصوبة على معنى اسم الفاعل. وكذلك حمل سيبويه اسم الفاعل منوناً دلالات محددة من الفعل يقول معلقاً على قول الفرزدق:

على خلفه لا أشتم الدهر مسلماً ولا خارجاً من في زور كلام (٦)

(١) الكتاب ج ١ ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٨١ - ١٨٢.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٤٢٥.

(٤) الأنعام ٩٦

(٥) الكتاب ج ١ ص ٣٥٦.

(٦) الشاهد للفرزدق ، معجم الشواهد - البيت ص ١٦٥ - تخريجه ص ٦٤٣.

يقول: "فإنما أراد: ولا يخرج فيما استقبل" (١) وهذا يجعل عمل اسم الفاعل متصفاً بالقوة.

لخص ابن عقيل شروط العمل في اسم الفاعل بجعله دالاً على زمن ؛ فإذا كان محلى بال دل على الماضي والحال والاستقبال ، وإذا كان مجرداً وجب أن يكون مستقبلاً أو حالاً أو مسبوقاً بنفي أو استفهام أو نداء أو وقع نعتاً أو حالاً أو خبراً. (٢)

كلام ابن عقيل تلخيص لوجهة نظر النحويين في عمل اسم الفاعل، وهو ما يجب أن يدرس من خلال النص لمناقشته . فضلاً عن تلمس الأسباب التي جعلت النحويين يربطون بين العمل ودلالات الزمن .
ثانياً: التطبيق النصي:

كثر ورود اسم الفاعل في المعلقة دالاً على أزمان مختلفة تتراوح بين الدلالة على الحال والاستقبال والماضي والاستمرار الزمني والإطلاق. ووردت أمثلة في غير موضع تتحمل الدلالة المعنوية لاسم الفاعل مجردة من الزمن اللغوي، مما يعد من قبيل " الخلو الزمني " أو " الزمن الصفري " أي الزمن الذي يعبر عن وجود محتوى في زمن كوني، ولكنه ليس لغوياً بمعنى أنه لا يتعلق بالقارئ الحاملة لأزمان سياقية كالزمن في الأعلام من المشتقات أو الجمل الاسمية ، وأمثلة هذا في المعلقة متعددة ؛ يقول عنتر:

هَلَّا سَأَلْتَ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي (٣)

ويقول لبيد:

قَدْ بَتَّ سَامِرُهَا وَغَايَةُ تَاجِرٍ وَافِيْتُ إِذْ رُفِعَتْ وَعَزَّ مَدَامُهَا (٤)

فكلمة " مَالِك " في البيت الأول تدل على شخص بعينه فهي لا تحمل أيّاً من دلالات الزمن، وكذلك فهي لم تكن عاملة في السياق النحوي مع كونها جاءت منونة وذلك

(١) الكتاب ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) ابن عقيل ، شرح ابن عقيل ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٣) مراجعة الهامش رقم (٣) في الصفحة (٩٢)

(٤) رواية البيت للألباري ص ٥٧٤ . وهو عند الزوزني ص ١٥٢ .

أنها لم تقع خبراً ولا حالاً ولا نعتاً ولم تدل على حال أو استقبال ، فهي صفرية الزمن. وكذلك كلمة تاجر التي تتعلق بصفة مهنية ، لا علاقة زمنية تأثيرية في سياقها.

ودل اسم الفاعل على زمن الحال في مواضع مختلفة من سياقاته في المعلقات، يقول امرؤ القيس:

كأني غداة البين يومَ تحمّلوا لدى سمراتٍ الحي ناقفٌ حنظل^(١)
ويقول زهير:

وكأئن ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادته أو نقصه في التكلم^(٢)

ويقول لبّيد:

غلب تشدّر بالذحول كأنها جنّ البدي رواسياً أقدامها^(٣)
وجزورٍ أيسارٍ دعوتٍ لحتفها بمغالقٍ متشابهٍ أجسامها^(٤)
فالضيفُ والجارُ الجنبُ كأنما هبطا تبالَةً مخصباً أهضامها^(٥)
تأوي إلى الأطنابِ كل رذيلة مثل البليةِ قالصٍ أهدامها^(٦)

ففي بيت امرئ القيس الأول يقول إنه كان عند سمرات الحي يوم رحيلهم ناقف حنظل يريد أنه كان في حال وقوف يوم رحيلهم^(٧) وهي تكون " ناقفٌ حنظل " وناقفٌ حنظلاً في الأعمال وعدمه. والأصل أن تكون على التثوين لأنها خبر كان، وبتجردها منه أصبحت دون قرينة ظرفية دالة على الحال، لأن التثوين دون قرينة ظرفية أقرب للدلالة على الاستقبال.

(١) رواية البيت للأبّاري ص ٢٣، وعند الزوزني ص ٩.

(٢) رواية البيت للزوزني ص ١٢٢، وهو غير وارد عند الأبّاري.

(٣) رواية البيت للأبّاري ص ٥٨٦، وعند الزوزني ص ١٥٦.

(٤) رواية البيت عند الأبّاري ص ٥٨٨.

وجزورٍ أيسارٍ دعوتٍ لحتفها بمغالقٍ متشابهةٍ أعلامها. ورواية البحث للزوزني ص ١٥٧

(٥) رواية البيت عند الأبّاري ص ٥٨٩ فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا تبالَةً مخصباً أهضامها.

ورواية البحث للزوزني ص ١٥٨.

(٦) رواية البيت للأبّاري ص ٥٨٩. وعند الزوزني ص ١٥٨.

(٧) الزوزني، الشرح ص ٩ - ١٠.

وفي بيت زهير يقول الزوزلي: "وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه ، وإنما تظهر زيادته على غيره ونقصانه عن غيره عند تكلمه"^(١) وعلى الرغم من أن هذا البيت يحمل حكمة سارية مطلقة الزمن ، إلا أنها تقيدت بعامل الخطاب في الكلام الذي وجهه إلى شخص ما حين رؤيته لإنسان ما صمته معجب، ثم إذا نطق زاد الإعجاب أو قل، وهذا حال بالنسبة للرؤية من قبل المخاطب، ثم إذا تم البيت كله تبينت الحكمة التي أرسلت من خلال موقف.

وتظهر الحالية في أبيات لبيد في كونها تحمل صفات ملازمة لموصوفها في حال وقوع الحدث، فهم ثابتون كالرواسي، وسهام الميسر متشابهة ، ووادي تباللة مخصب في الربيع، والفقيرة مثل البلية عندما تكون ممتعة من الرزق.

وحمل اسم الفاعل دلالة الحال المستمر في مواضع قليلة منها قول امرئ القيس:

أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتَلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلُ^(٢)

"والقتل: التذليل" يريد أن حبها تلازمه صفة الإذلال عند الشاعر فلا يملك أن لا يفعل شيئاً مما تأمر ، فينسحب هذا الحال على أزمان لاحقه فيغدو مستمراً بوجود الحب؛ وهو بذلك لا يعين زمناً يقطع الاستمرار . في حين يختار الحارث الشكري أن يقطع الاستمرار في بيئته:

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرْقَشُ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَذَاكَ بَقَاءُ^(٣)

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُبَلِّغُ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَذَاكَ انْتِهَاءُ^(٤)

ففي البيتين يمتد الكذب والتشكيك من قبل الناطق بالشاعر عند الملك من الحال حتى المستقبل الذي كون في البيت الأول منتهياً بإرادة الملك عندما يكشف الأكاذيب، وفي الثاني بإرادة الناطق الذي ينهي فعله؛ ولذلك فإن الامتداد في البيت الأول أقصر بالقرينة التاريخية.

(١) الزوزلي ، اشرح ص ١٢٢.

(٢) مراجعة الهامش رقم (٣) الصفحة (١٠٤).

(٣) رواية البيت للأبباري ص ٤٥٣، وعند الزوزلي ص ٢٢١.

(٤) رواية البيت عند الأبباري ص ٤٩١.

أيها الشائئ المبلغ عَنَا عِنْدَ عَمْرٍو وَهَلْ لَذَاكَ انْتِهَاءُ

ورواية البحث للزوزلي ص ٢٢٨.

وقد يطغى معنى الاستمرار الزمني على الأزمان الأخرى، حيث يصبح هو الزمن الهدف من خلال القرائن كقول عنتره:

هَلَّا سَأَلْتُ الْخَيْلَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً بِمَا لَمْ تَعْلَمِي^(١)

وقد يكون الاستمرار واقعاً في الماضي، ولكنه انقطع في الحاضر؛ يقول عمرو:
تَرْكْنَا الْخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ مَقْلَدَةً أَعْنَتْهَا صُفُونَا^(٢)

يريد أنه ترك الخيل قائمة بحربها عليه (يفخر بقدرتهم على الملوك). فالترك كان ماضياً ولكن العكوف كان مستمراً في الماضي، وهذه إشارة إلى تضمن زمن في زمن آخر أكثر امتداداً منه مع أنه منقطع عن الحاضر دون تحديد زمن الانقطاع. ويقول طرفه:

سُتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ^(٣)

ففي هذا البيت يتحدث الشاعر عن صفة الجهل في الماضي واستمرارها فيه، ثم امتدادها للحاضر وعدم انقطاعها، وذلك لأنها ستقطع بفعل استقبال هو "ستبدي" الذي لم يبدأ بعد، وعليه فالجهل ما زال قائماً؛ ويقول عنتره:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمَحَاوِرُ اشْتَكَى وَلَكَانَ لَوْ عِلِمَ الْكَلَامُ مَكْلَمِي^(٤)

ففي هذا البيت يتوازى التركيبين: "لو كان يدري - كان مكلمي" حيث دل الفعل "يدري" على حدث مستمر هو المعرفة التي ارتبطت بالماضي في "كان" ولو كان هذا الفرس دارياً بالمحاوره لكان مكلماً إياي، فصار اسم الفاعل حاملاً لدلالات "يدري" الزمنية، ثم جاءت "كان" لتحمل ذلك الزمن محتوية في زمنها هي.

ودل اسم الفاعل على الاستقبال؛ يقول امرؤ القيس:

وَيَوْمَ دَخَلْتُ الْخَدْرَ خَدْرٌ عُنِيزَةٌ فَقَالَتْ لَكَ الْوِيَلَاتُ إِنَّكَ مَرْجُلِي^(٥)

وهذا البيت هو وصف لحدث ماضٍ منتهٍ، ولكن امرؤ القيس يضمّنه ثلاثة أزمان، أولها الزمن الكلي وهو الماضي ويظهر بالقرينة "ويوم دخلت الخدر". وثانيها:

(١) مراجعة الهامش رقم (٤) الصفحة (٩٤).

(٢) رواية البيت للأنباري ص ٣٨٩، عند الزوزني ١٧٢.

(٣) رواية البيت للأنباري ص ٢٣٠، وعند الزوزني ٩٧.

(٤) رواية البيت للأنباري (٣٦١): لو كان يدري ما المحاوره اشتكى أو كان لو علم الكلام مكلمي، ورواية البحث للزوزني ص ٢١٣.

(٥) رواية البيت للأنباري ص ٣٦، وعند الزوزني ص ١٤.

الزمن الحاضر والقريفة استحضر كلام عنيزة بنصه" فقالت: لسك الولايات إنك مرجلي. وثالثها: الزمن المستقبل الذي يتضمنه كلام عنيزة ، فهي تدعو عليه بالولايات لأنه سيوقعها إن بقي في خدرها ، ولذلك فإنها تكمل لكي تقنعه بالنزول، وكله على الاستقبال بالنسبة للحدث:

تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل^(١)

وحمل اسم الفاعل في بعض مواضعه دلالات على الإطلاق الزمني، بمعنى أنه تجرد من الزمن المقيد، لينطلق إلى زمن يكون ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وهو ليس من قبيل الخلو الزمني، فالخلو الزمني لا يحمل زمناً لغوياً على الإطلاق حيث يعبر عن حدث ينبغي له أن يكون في زمن لغوي ، ولكن هذا الزمن اللغوي واسع ممتد يتناول إلى الأزمان كلها؛ ولذلك فهي ترتبط بصفات ملازمة ، ولكنها ليست مرتبطة بأحداث بعينها، بل هي صفات مطلقة لا تتغير ولذلك فقد جاءت في جملة اسمية كقول الحارث:

ملك مقسط وأفضل من يمشي ومن دون ما لديه الثناء^(٢).

فجميع الصفات بما فيها القسط عند هذا الملك جاءت مطلقة فلم يوجد فعل واحد ليربط الصفات بزمن مقيد، ولذلك فقد امتدت هذه الصفات في الأزمان كلها، ولم يكن ممكناً بما أنها جمل اسمية أن تعد من قبيل الخلو الزمني، لأن اسم الفاعل أخذ معاني الفعل بأن جاء منوناً خبراً ، غير دال على علمية أو مهنية.

نقول مما سبق إن صيغة اسم الفاعل تدل على صفة ملازمة ثابتة ، أو صفة ملازمة نسبياً؛ أما الصفة الثابتة فهي تدخل ضمن زمن كوني، فلا تكون عاملة في السياق ، ولكنها قد تتون وقد تحل في أي موضع تركيب، وهي الأقرب لتعبير النحاة عن الثبوت في صيغة اسم الفاعل " أكثر ثبوتاً في الموصوف إذا ما قورن بالفعل " ^(٣). وإطلاق تعبير " صفة ملازمة نسبياً " خير من " صفة متقلبة " لأن تحويل

(١) رواية البيت للأبياري ص ٣٧، وعند الزوزني ص ١٥.

(٢) رواية البيت عند الأبياري.

ملك مقسط وأكمل من يمشي ومن دون ما لديه الثناء. ورواية البحث للزوزني ص ٢٢٤.

(٣) عبد الله ادابيل، الوصف المشتق في القرآن الكريم ص ١٧٥.

الدلالة من الفعل إلى اسم الفاعل هو تثبيت للصفة في الموصوف. وهو ما لا يحققه الفعل. ولكن هذا التثبيت يحتمل الدوام والنسبية في الدوام.

وربط النحويون العمل في اسم الفاعل إذا دل على حال أو استقبال، ثم إنهم وقفوا حائرين أمام بعض الشواهد كقوله تعالى: "وكلهم باسط ذراعيه بالوصيد"^(١) فقالوا إنه وصف في حكاية ماضية، وتعبيرهم هذا لا يخرج كثيراً عن تعبير الاستمرار في الزمن الذي قدمته المعلقات في أسماء فاعلين عاملة؛ ولذلك اتسعت شروط العمل لتصبح: "إذا دل على حال أو استمرار أو استقبال"، وليس هذا بعيداً عن الفكر النحوي القديم حين أطلق الفراء اسم "الفعل الدائم" على صيغة اسم الفاعل إذا كان عاملاً إشارة إلى الزمن المستمر^(٢).

^(١) الكهف: آية ١٨

^(٢) الفراء، معاني القرآن، ج ١ ص ١٦٥،

رابعاً: أسلوب الشرط: أولاً:

أ- التنظير النحوي:

يرد الشرط بدلالاته على الزمن في كتاب سيبويه تحت الأبواب التالية:

أولاً: هذا باب من الابتداء يضمن فيه ما يبني على الابتداء (ج ٢ ص ١٢٩)

ثانياً: هذا باب "إذن" (ج ٣ ص ١٢).

ثالثاً هذا باب الفاء (ج ٣ ص ٢٨)

رابعاً: هذا باب الجزاء (ج ٣ ص ٥٦)

خامساً: هذا باب الأسماء التي يجازى بها وتكون بمنزلة الذي (ج ٣ ص ٦٩)

سادساً: هذا باب من الجزاء ينجزم فيه الفعل (ج ٣ ص ٩٣)

سابعاً: هذا باب الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي لأن فيها معنى الأمر

والنهي (ج ٣ ص ١٠٠).

يقوم الشرط على مبدأ الزمن من خلال علاقات التعليق؛ يقول سيبويه: "و

ذلك قولك : لولا عبد الله كان كذا وكذا. أما لكان كذا وكذا فحديث معلق بحديث

لولا"^(١) ويعرف المبرد الشرط "وقوع الشيء لوقوع غيره"^(٢)

والتعليق يقوم على علاقة ترتب، فحدث أحد المتعلقات كفيل بحدوث الآخر،

ولذلك فإن ابن يعيش يراه مما لا يقوم إلا بالمستقبل ؛ يقول: "والشرط إنما يكون

بالمستقبل لأن معنى تعليق الشيء على شرط إنما هو وقوف دخوله في الوجود على

دخول غيره في الوجود"^(٣) وهذا تفسير لكثير من الأمثلة التي يضربها سيبويه في

كتابه ؛ يقول: "تقول: حسبته شتني فأثب عليه، إذا لم يكن الوثوب واقعاً، ومعناه :

أن لو شتني لو ثبت عليه ، وإن كان الوثوب قد وقع، فليس إلا الرفع ، لأن هذا

بمنزلة قوله: ألسنت قد فعلت فأفعل"^(٤).

وكلام سيبويه هنا يحمل إشارتين ، الأولى: هي تفسير ابن يعيش في استقبال

الشرط. والثانية : العلامة الإعرابية التي تميز الشرط أو ما يدخل في علاقات

(١) الكتاب ، ج ٢ ص ١٢٩.

(٢) المبرد ، المقتضب ج ٢ ص ٤٦.

(٣) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج ٨ ص ١٥٥.

(٤) الكتاب ج ٣ ص ٣٦.

الشرط لاختلاف الزمن فيه، فيرى الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف أن "جزم فعلي جملتي الشرط والجواب علامة لغوية منطوقة على الاستجابة لهذا التأثير الشرطي، وعلى تماسك الجملتين وترباطهما من أجل أداء هذا المعنى المركب الذي يتوقف بعضه على البعض الآخر"^(١) وربط محمد حماسة العلامة الإعرابية في الشرط بالجزم دون غيره هو إشارة إلى النمط الأساسي في جملة الشرط والذي سيدرس لاحقاً.

لما قام الشرط على علاقات الترتيب والتعليق فقد وجب ارتباطه بالفعل لما يحمله من قدرات على التغير والتجدد؛ ولذلك أصبح الفعل هو العماد الذي تقوم عليه جملة الشرط؛ يقول سيبويه: "واعلم أن حروف الجزاء تجزم الأفعال وينجزم الجواب بما قبله"^(٢) ويعلل ابن يعيش ذلك قائلاً: "لأنك تعلق وجود غيرها على وجودها والأسماء ثابتة موجودة، ولا يصح تعليق وجود شيء على وجود؛ ولذلك لا يلي حرف الشرط إلا الفعل"^(٣) ويتوسع المبرد فيضيف "الفاء لأن معنى الفعل فيها"^(٤) ويظهر من ذلك أن الشرط يقوم على الفعل وإن خلا فيحتاج إلى حرف يفيد الترتيب والتعليق وغالباً يكون الفاء.

يقسم سيبويه أدوات الشرط ضمن أقسام الكلم إلى ثلاثة أقسام: "فما يجازى به من الأسماء غير الظروف : مَنْ وما وأيهم، وما يجازى به من الظروف أي حين ومتى وأين وأنى وحيثما، ومن غيرهما: إن وإذ ما"^(٥) *

ويوافق سيبويه في ذلك المبرد إلا أنه يجعل "إن وإذ ما" تحت الحروف فيخصص على غير ما فعله سيبويه، كما وأنه يضيف على الأسماء "مهما"، كما يختزل من الظروف "أي حين"^(٦) ويتضح كذلك أن المبرد يقيم "أي" من قبيل الأسماء مطلقاً، في حين إن سيبويه يجردها من أي قسم ولكنه يدخلها في الكلم تبعاً

* لمزيد من التفصيل انظر الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس إبراهيم الشنسيان تقديم: محمود فهمي حجازي، ط ١، ١٩٨١، مطابع الدجوي - عابدين ص ٥٣-٥٨ "الجملة الشرطية عند سيبويه".

(١) محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية، ص ١٧٠.

(٢) الكتاب ج ٣ ص ٦٢.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٩ ص ٩.

(٤) المبرد، المقتضب، ج ٢ ص ٤٩.

(٥) الكتاب ج ٣ ص ٥٦.

(٦) المبرد، المقتضب ص ٤٦.

للاحقها فنكون اسماً في "أيهم" اتباعاً للضمير، وتكون ظرفاً في "أي حين" اتباعاً للظرف .

تتجرد عنده "إذ" و "حيث" من الظرفية لتدلا على الجزاء إذا أضيفتا إلى "ما" ويصبحان معها بمنزلة الحرف الواحد،^(١) أي كلمة جديدة لغرض جديد، والغريب أنه عندما يجعلهما في أقسام الكلم تكون "حيثما" ظرفاً و "إذما" غير ذلك ، ونحويون كثيرون على مثل ذلك* .

و "إن" هي أم حروف الجزاء عند سيبويه ؛ يقول : "وزعم الخليل أن "إن" هي أم حروف الجزاء، فسألته: لم قلت ذلك؟ فقال : من قبل أنني أرى حروف الجزاء قد يتصرفن فيكن استفهاماً ، ومنها ما يفارقه ما فلا يكون فيه الجزاء. وهذه على حال واحدة أبداً لا تفارق المجازاة"^(٢) .

تختلف أنماط جملة الجزاء عند سيبويه، وفيما يلي تبويب لأبرز هذه الأنماط:
أولاً: فعل مضارع مجزوم (فعل الشرط) + فعل مضارع مجزوم (جواب الشرط)
إن تأتني آتِك.^(٣)

ثانياً: فعل مضارع مجزوم + فعل مضارع مرفوع مرتبط بالفاء. إن تأتني فأكرمك.^(٤)

ثالثاً: فعل مضارع مجزوم + فعل مضارع مرفوع غير مرتبط بالفاء في الشعر.
إنك إن يُصرع أخوك تصرع^(٥) .

(١) الكتاب ج ٣ ص ٥٦-٥٧ .

* لمزيد من التفصيل في "إنما" حول الجزم فيها والشرطية راجع "اسلوب إذ في ضوء الدراسات القرآنية واللوحيية، د. عبد العال سالم مكرم، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت، الرسالة الخامسة عشرة، ١٩٨٣، ص ٨٣-٨٤، ٨٥-٨٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٣ .

* يقول د. عبدالسلام المسدي والدكتور محمد الهادي الطرابلسي إن نسبة الإئتلاف بين طرفي الشرط والجواب أعلى من نسبة الاختلاف . راجع ذلك في الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، عبد السلام المسدي. محمد الهادي الطرابلسي ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، تونس ، ١٩٨٥، ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٩ .

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٧. السيرافي .

* لمزيد من الشرح راجع شرح أبيات سيبويه، ابن السيرافي، ص ١٢١، ج ٢ .

رابعاً: فعل مضارع مجزوم + جملة اسمية مقترنة بالفاء إن تأتي فأنا صاحبك. (١)
خامساً: فعل مضارع مجزوم + جملة اسمية غير مقترنة بالفاء. إن تأتي أنا
صاحبك (٢)

سادساً: فعل ماض + فع مضارع مجزوم. إن أتيتني أنك. (٣)
سابعاً: فعل ماض + فعل مضارع مرفوع مرتبط بالفاء. " مَنْ عاد فينتقم الله منه " (٤)
ثامناً: فعل ماض + فعل أمر مرتبط بالفاء: إذ ما أتيت على الرسول فقل له (٥)
تاسعاً: فعل ماض + فعل مضارع متصل بلام اليمين ونون التوكيد الثقيلة إن أتيتني
لأكرمك (٦)

ووردت أنماط أخرى عند سيبويه تقدم في بعضها أحد أركان الإسناد شكلياً
دون أن يتغير موقعه تركيبياً، وكذلك فقد حملت بعض الأنماط إشارات لسيبويه
مؤيدة أو مغلبة أو مضعفة تابعة للأصول النحوية؛ فقد حكم على النمط التاسع
بالجواز لأنه في معنى " لئن أتيتني لأكرمك " (٧) على الرغم من عدم استحسان
الخليل ذلك ، ولكن مدافعة سيبويه واستخدام كلمة جائز هو تأدب في الرد على
معلمه بالموافقة راضياً على ما لم يقبله. كما أنه لا يستحسن ما جاء في النمط الثالث
من وقوع الجزم في المضارع بعد " إن " وعدم وقوعه في الجواب ويخرج الشاهد
الشعري:

يا أقرع بن حابس يا أقرع إنك إن يصرع أخوك تصرع (٨)

(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٨.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٨.

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٩ وهي من سورة المائدة آية (٩٥).

(٥) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٧.

(٦) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٦.

(٧) المصدر السابق ج ٣ ص ٦٦.

(٨) شاهد وجدته هذا الشعر في الكتاب منسوباً إلى جرير بن عبد الله البجلي والشعر لغيره من بجيلة (ص ١٢١/٢) هذا الكلام من شرح أبيات سيبويه/ أبو محمد يوسف بن أبي سعيد السيرافي ، حققه: د. محمد علي سلطان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الحجاز بدمشق ١٩٧٦. وروى محققه روايات أخرى فيه ص ١٢٦/١٧.

يقول : " أي إنك تصرع إن تصرع أخوك " (١) فقطعها عن الشرط.

يعزز سيبويه في أسلوب الشرط فكرة الزمن الاقتراني الذي يقوم على علاقة بين حدثين أو وجودين . ولذلك فهو يضعف أداة المجازاة عن القيام بزمان استقلالي تقيمه هذه الأداة بنفسها، و يظهر ذلك من خلال ما يلي:

أولاً: عدم ربط أداة الجزاء بزمان معين ، وعليه فقد استبعد "إذا" من المجازاة إذا تجيء وقتاً معلوماً (٢)، وأدخل " إذ " و " حيث " في المجازاة عندما ترتبطان بـ " ما " (٣)

ثانياً: إبطال الشرط في حال دخول كان وإن " ولم يسغ لك أن تدع كان وأشباهه معلقة لا تعملها في شيء ، فلما أعملتهن ذهب الجزاء ولم يكن من مواضعه " (٤).

ثانياً: التطبيق النصي:

ورد في تراكيب المعلقات خمسة من أدوات الشرط هي: إن، ومتى ، ولو ، ومهما، ومن. وقد وردت هذه الأدوات ضمن أنماط مختلفة هي:

أولاً: أداة الشرط + فعل مضارع مجزوم (فعل الشرط) + فعل مضارع مجزوم (جواب الشرط).

ثانياً: أداة الشرط + فعل مضارع مجزوم + فعل أمر مقترن بالفاء.

ثالثاً: أداة الشرط + فعل مضارع مجزوم + فعل مضارع منفي بحرف نفي.

رابعاً: أداة الشرط + فعل مضارع مجزوم + جملة اسمية مصدرة بإن مقترنة بالفاء.

خامساً: أداة الشرط + فعل مضارع منفي بحرف نفي + فعل مضارع مجزوم.

سادساً: أداة الشرط + فعل ماض + فعل مضارع مجزوم.

سابعاً: أداة الشرط + فعل ماض + فعل مضارع مرفوع.

ثامناً: أداة الشرط + فعل ماض + فعل ماض.

(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٧.

(٢) الكتاب ج ٣ ص ٦٠.

(٣) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٦ - ٥٧.

(٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٧١ - ٧٢.

تاسعاً: أداة الشرط + فعل ماضي + فعل أمر مقترن بالفاء.

وعلى الرغم من كثرة الأنماط التي تدور فيها أدوات الشرط في الجملة العربية في المعلقات وخارجها، فإنه يلزم أن الوظيفة التي تؤدي هذه الأدوات تتم من خلال أمرين؛ أولهما: تعليق حدوث أحد الفعلين على حدوث الآخر، وثانيهما: إضفاء معنى خاص تفرضه كل أداة بشكل مختلف على السياق، فإذا كانت "إن" تدخل عنصر الاحتمال الاستقبالي فإن "متى" تضيف عنصراً زمنياً جديداً مستقلاً عن دلالة التعليق. و "لو" تقيم التمني إلى جانب الاستقبال المستحيل، و "من" (١) تقدم الفاعل الذي يصنع التعليق تركيبياً إضافة لصنعه معنوياً، و "مهما" التي تقيم معنى الاحتمال المطلق في الزمان والمكان.

* إن:

يقول سيبويه في "إن": "وتقول: إن فعل فعلت. فيكون في موضع إن يفعل أفعل" (٢) ويذكر ابن يعيش أن "... حق "إن" الجزائية أن يليها المستقبل من الأفعال لأنك تشترط فيما يأتي أن يقع شيء لوقوع غيره، فإن وليها فعل ماضٍ أحوالت معناه إلى الاستقبال، وذلك قولك: إن قمت قمت، والمراد: إن تقم أقم" (٣) وهو ما يؤكد الزمخشري في المفصل بقوله: "... إن تجعل الفعل للاستقبال وإن كان ماضياً" (٤). والمنتبع لاستخدام "إن" في المعلقات يلاحظ أنها من القرائن التي تدخل على الفعل مباشرة دون فصل؛ يقول سيبويه: "إن من الحروف التي يبنى عليها الفعل" (٥) وعليه فهي تعد داخلاً فعلياً تدل على أن الفعل بعدها منوي الفعل قريب من الوقوع. وهي في المعلقات ضمن أربعة أشكال هي:

(١) في جمل الزجاجي ص ٩٤ يعلق على "من يقيم أقم" حدث من في الفعل الشرط، وهي مع ذلك واقعة على من يعقل وقولي؛ ولا تتعرض ببنائها للزمان يحترز من الفعل" ولذلك فهو يقول "واسماء الشرط وإن دلت على معنى في غيرها فلها معان في أنفسها".

(٢) الكتاب، ج ١ ص ١٦.

(٣) ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٨ ص ١٥٦.

(٤) الزمخشري، المفصل في صنعه الإعراب، ص ٤٣٩. قدم له د. علي بو ملحم / دار ومكتبة الهلال، بيروت

— لبنان، ط ١، ١٩٩٣.

* يقول أبو. محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري "اعتبار الفعل الماضي بدخول أمس عليه مطرد ما لم يدخل عليه حرف شرط، فإن دخل عليه حرف شرط نقل معناه إلى الاستقبال (ص ٧٨) المكتبة المصرية/ صيدا، بيروت، تحقيق: بركات يوسف هبود، ط ١، ١٩٩٧.

(٥) الكتاب، ج ١ ص ٢٦٣.

أولاً: أن تسبق الفعل الماضي ،

ثانياً: أن تسبق الفعل المضارع ،

ثالثاً: أن تسبق تركيباً صيغياً وهو:

إن + فعل ماض (كان) + قد + فعل ماض .

رابعاً: أن تسبق تركيباً صيغياً وهو:

إن + فعل مضارع (يكون) + قد + فعل ماض .

وهي في هذه الاستخدامات الأربعة استطاعت أن تدخل مضيفاتها حاملة

لدلالة الاستقبال ولكن بمحمولات إضافية يضيفها السياق إليها. فهي في الاستخدام

الأول " إن + فعل " حملت دلالة الاستقبال في كل استخداماتها؛ يقول طرفة بن العبد:

وإن شئت سامي واسبط الكور رأسها وعامت بضبعيها نجاءاً الخفيدة (١)

فمشيئة الشاعر هنا لم تقع بعد، ولكنها في المستقبل الذي لا بد من وقوعه، حيث إن

الشاعر قادر على تحقيق مشيئته، وكذلك إذا جاء الفعل بعدها مضارعاً مسبقاً

بـ " لم " عندها فهو يصرف للمضي والدليل قول طرفة بن العبد:

وإن شئت لم تُرقل وإن شئت أُرقلت مخافة ملوي من القدّ مخصد (٢)

حيث جعل واو العطف تجمع بين الفعلين الماضي والمضارع المسبوق بـ " لم " على

نية أنهما يدلان على الاشتراك في الزمن ، ولكنها ذوا اتجاهين معنويًا. وقد رود عن

سيبويه إشارة إلى كون " لم " تصرف المضارع إلى الماضي؛ يقول: " لم اضرب نفسي

لضربت " (٣)

وكذلك فقد اتبعت إن بفعل ماض متبوع باسم في قول عنتره العبسي:

هلاً سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي. (٤)

فهو يريد أن يحقق جهلها بمعرفة شكيمته قبل أن تسأل ، وأثناء حديثه، وسيستمر

ذلك الجهل في المستقبل حتى اللحظة التي ستسأل فيها عنه وتعرف حاله من

(١) الأبياري ص ١٧٩ / الزوزني ٧٦

(٢) المصدر السابق ص ١٨٠. الزوزني ٧٦.

(٣) المصدر السابق ٣٤٢.

(٤) المصدر السابق ٣٤٢

الفرسان، وفي هذا التركيب يتحقق معنى الاستمرار من جراء استخدام اسم الفاعل بعد الفعل "كان"

أما في قول طرفة بن العبد

كريم يُروِّي نفسه في حياته ستعلم إن متنا غداً أينما الصدي^(١)

فقد انصرفت "إن متنا" إلى الاستقبال والدليل تفاعلها مع الظرف "غداً" وهو مدخول سياقي، حيث أصبحت "إن متنا" تنصرف إلى الاستقبال مثل "ستعلم" مما يدعو إلى التساؤل إن كانتا متساويتين في المقدار الزمني الذي تدلان عليه.

تشير جملة الشاعر إلى أن هناك حدثين "حدثاً يتعلق بالموت وآخر يتعلق بالعلم" وكلا الفعلين لم يأت بعد، إلا أن الأول وهو المتعلق بالموت سيأتي قبل الآخر المتعلق بالعلم، في الوقت نفسه الذي يقضي فيه الشاعر بموته بينما سيبقى الآخر حياً فيعلم شيئاً ترتب على موت الأول. وعليه فإنه يقال على المستوى التركيبي السطحي إن حدث الموت أقرب من حدث العلم بالنسبة لحاضر المتكلم، ولكن على المستوى المعنوي العميق فإن حدث العلم أقرب الحدوث بالنسبة للتركيب الصيغي المقترن بأن؛ حيث إن الموت حدث مؤجل غير محدد قربه أو بعده، بل إنه أقرب للبعد بالنسبة للشاعر الذي يرجو تأخره، ولكن حدث العلم قريب إذ إنه مدخول سياقي على السياق كله. ذلك أنه لن يحدث في المستقبل الكلي للجملة. ولكن المستقبل فيه يبدأ منذ موت الشاعر. وعليه يمكن أن نستنتج أن "إن" أكثر تصرفاً في الاستقبال من السين - إذا اجتمعنا في تركيب - في الاستقبال.

وقد دخلت "إن" أيضاً على الفعل الماضي المسبوق "بـ" لا "النافية التي تملك القدرة على تصريح المضارع إلى الاستقبال فلعبت معها الدور نفسه الذي كان لها مع (السين)؛ يقول طرفة بن العبد:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي^(٢)

ونستطيع ملاحظة الرؤيا الزمنية بطرح الشاعر عناصر السياق، واحداً مسبوقاً بواحد؛ فإذا أخذنا تستطيع فهو فعل مضارع يحمل واحدة من دالتين؛ إما الحال، وإما

(١) الأنباري ص ١٩٨، الزوزني ٨٤

(٢) الأنباري ص ١٩٣، الزوزني ٨٢

الاستقبال ، وعندما سبقت بـ "لا النافية" خلصت للاستقبال، ثم عندما سبقت لا تستطيع كلها بـ "كنت" دلت على أن عموم الاستطاعة كان مستقلاً بالنسبة لزمن ماضٍ وانقطع الآن كله، ثم عندما جاءت "إن" شكلت مدخولاً سياقياً استطاع أن يصرف التركيب كله إلى الاستقبال، فأخذت من "لا" مستقبلاً محدداً بالنسبة لشيء آخر، وأخذت من الفعل المضارع العمادة الصفرية التي حملت الحدث مقروناً بطواعية التحميل الزمني إليه فظهر التركيب عكسياً.

العمادة + المدخول الفعلي + عمادة التركيب الصبغي + المدخول السياقي (بؤرة الغرض الزمني).

وأما تركيب "إن" الآخر في المعلقة فهو الذي يتعلق بدخولها على المضارع، وعند سيبويه أنها أيضاً للاستقبال؛ يقول: إن فعل فعلت فيكون في معنى إن يفعل أفعل^(١). يقول ابن يعيش تحت جوازم الفعل المضارع إن "أن" نقلت الفعل إلى الاستقبال والشرط^(٢). وهنا يطرح السؤال : هل "إن" المتبوعة بالفعل المضارع تحمل الدلالة الزمنية نفسها التي تحملها "إن" المتبوعة بالفعل الماضي؟ لا يرد في كتاب سيبويه ما يوحي بإجابة لهذا السؤال . وإنما جل ما ذكره النحويون بعد ذلك كان يركز على اختلاف أفعال الشرط والجزاء، وانقسامها من حيث الحالة الإعرابية إلى أحوال مختلفة لا يذكرون وجود علاقة بينها وبين التغير في الدلالة الزمنية ، ولكن النص اللغوي في المعلقة يطرح من هذا التركيب أشكالاً تحمل معاني تتنوع بتنوع هذه الأشكال.

يقول طرفة بن العبد:

وإن أدع للجلى أكن من حماتها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد^(٣)

ويقول :

وإن يقذفوا بالقذع عرضك أسقم بكأس حياض الموت قبل التهديد^(٤)

(١) سيبويه ، الكتاب ج ١ ص ١٦ .

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل، ج ٧، ص ٤١ .

(٣) رواية الأنباري : وإن أدع في الجلى أكن من حماتها وإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد . ، ص ٢٠٥ ، أما رواية البحث فللوزلي ص ٨٧ .

ويقول:

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تلتمني في الحوائث تصطد^(٣)

ويقول :

وإن يلتق الحي جميع تلقني إلى ذروة البيت الشريف المصمد^(٤)

وفي الأبيات السابقة جميعها يلاحظ أن تأكيدها ينحط درجة عن التأكيد الحاصل في تركيب "إن + فعل"؛ ذلك أنها هنا تحتل الوقوع وعدمه وعليه فهي لا ترتبط بأفعال جبرية كالموت، ولا بأفعال تتعلق باختيارات الشاعر الشخصية (المشئية) ، بل هي أفعال بشرية يعتمد حدوثها على أشخاص خارجين عن إرادة الشاعر؛ يقول زهير:

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من القول نسلم^(٥)

يريد وقد قلتما إن أدركنا الصلح واسعاً، أي إن اتفق لنا إتمام الصلح بين القبيلتين ببذل المال وإسداء المعروف من الخير ، سلمنا من تفاني العشائر. والشاعر يشير بذلك إلى أن الممدوحين عندما أرادوا أن يحققوا الصلح لم يكونوا متأكدين من نجاحه. وهنا يطرح السؤال : أين هي النقطة المفصلية التي استطاعت أن تحدث الفرق الدلالي للتركيب الصيغي المصدر بـ "إن" عند إدخالها على الفعل الماضي والفعل المضارع؟

وللإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نحدد أولاً أننا أمام داخل فعلي هو "إن" يفيد الاستقبال كما أشار النحويون، وأمام عمادين هما الفعل الماضي والفعل المضارع ، أما الفعل الماضي فإنه عند اتصاله بـ "إن" استطاعت أن تصرفه للاستقبال ؛ بحيث غدا قرينة صفرية لا تملك تحديد الدلالة الزمنية بنفسها، وإنما جل قوتها تأتي من كون بنيتها تحمل صيغة الماضي.. وأما الفعل المضارع فهو فعل يحمل في إحدى دلالاته الإشارة إلى الاستقبال التي تغدو بدخول "إن" ثانوية في

^(٣) رواية الألباري ، وإن يقدوا بالقدح عرضك أسقمهم

بشرب حياص الموت قبل التتجد، ص ٢٠٦،

أما رواية البحث للزوزلي ص ٨٨.

^(٤) رواية الألباري ، وإن تبغني في حالت القوم تلقني

وإن تلتمني في الحوائث تصطد، ص

١٨٦، ورواية البحث للزوزلي ص ٧٩.

^(٥) رواية الألباري ، وإن يلتق الحي جميع تلقني

إلى ذروة البيت الكريم المصمد/ ص ١٨٧ وعلا

الزوزلي ص ٧٩.

^(٦) الزوزلي ، ص ٢٧٠.

التركيب ، بمعنى أن الفعل المضارع في ذاته يحمل دلالة الاستقبال دون قرائن لفظية خارجية إذا تطلب السياق ذلك، أما في تركيبه مع "إن" فيمكن القول إنه كان لحمل دلالة الحاضر واستطاعت "إن" أن تصرفه إلى المستقبل ؛ يقول زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَيا يَنْلَنهُ وإن يَرْقُ أَسْبَابَ السَّماءِ يَسْلَمُ^(١)

فكلا الفعلين "ينلنه" و"يرق" مضارعان لم يحصلوا بعد، ولكنهما قد يقعان في المستقبل إذا هيبت أسباب المنيا" ولكن الفعل "إن يرق" كان من حيث المستقبل هو الأقرب فامتد الفعل "ينلنه" ليحاصره ، فالمعنى:

فَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَيا ، وإن يَرْقُ أَسْبَابَ السَّماءِ، يَنْلَنهُ.

وعليه فإن الفعل المضارع استطاع أن يشير إلى دلالة استقباله بعيدة المدى في حين إن الفعل المضارع "يرق" بدخول "إن" عليه انصرف إلى استقبال محدد. ويبقى التركيبان "إن + فعل" قد + فعل" و "إن + يفعل + قد + فعل" وقد ورد

في المعلقات في موضعين فقط لامرئ القيس ؛ يقول:

أَفَاطَمُ مَهَلًا بَعْضَ هَذَا التَّدَلُّ وإن كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ صَرْمِي فَأَجْمَلِي^(٢)

وقوله:

وإن تَكُ قَدْ سَاعَتِكَ مِنِّي خَلِيقَةٌ فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكَ تَنْسَلُ^(٣)

يمكن تجزئة التركيب الأول إلى قسمين أو تركيبين؛ أما التركيب الأول فهو "إن + فعل" وأما التركيب الثاني فهو "قد + فعل" ، ففي التركيب الأول هو يشير إلى مستقبل كان بالنسبة للماضي. وأما التركيب الثاني فهو يشير إلى تقريب حدوث الفعل من الحال. وعليه يكون المعنى كله منصبا في كونه - الشاعر - يعتقد أنها أزمعت صرمة بالنسبة لما اتخذته منه من ردة فعل؛ ولذلك فهو يتأمل أن تحمل في هذا التركيب. وأما فيما يتعلق بالبيت الآخر والتركيب الذي هو فيه ، فإننا نلاحظ أنه يستخدم الفعل المضارع مسبقاً بـ "إن" ثم "قد فعل" وهو غير متأكد في استخدامه

(١) رواية البيت للأبازي : ومن يبع أطراف الرماح ينلنه ولو رام أن يرقى السماء بسلم. الزوزني

١٢٠

(٢) الأبازي ص ٤٢ ، الزوزني ص ١٨

(٣) الأبازي ص ٤٦ ، الزوزني ص ١٩

في أنه قد أساء إليها ولكنه يفعل ذلك ليبرئ ذمته أمامها ، ولو لم يكن الأمر كذلك لما جعل تأكدها من سوء خلقه أن يكون تركه نهائياً ، لأنه ولا شك لن يكون مرتاحاً لذلك.

ولا شك في أننا نتبهننا في هذين التركيبين الأخيرين إلى عملية بناء التراكيب التي خلقت معاني متداخلة ؛ مما يعني أن الدلالة الزمنية ليست قصراً في بناء أو تركيب صيغي بل إنها قد تتسع لتداخلات صيغية تركيبية شتى، تستطيع أن تحيط أشكالاً من السياقات تكون أشبه بالقرائن المتساقطة.

* متى:

جاءت "متى" في المعلقة ضمن النمط:

متى + فعل مضارع مجزوم + فعل مضارع مجزوم.

وورد منها بيت واحد ضم النمط:

متى + فعل ماض (فعل الشرط) + فعل مضارع منفي ب"لم" (جواب الشرط).

وكان النمط الأول أكثر وروداً في المعلقة ، يقول زهير:

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذا أضريتموها فتضرم^(١)

ويقول طرفة:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد^(٢)

ويقول

وقربت بالقربى وجدك إننى متى يك أمر للنكثة أشهد^(٣)

وقول زهير:

جرى متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا ، وإلا يبد بالظلم يظلم^(٤)

وقول عمرو:

متى ننقل إلى قوم رحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا^(٥)

(١) رواية البيت للأنباري ص ٢٦٧، وعند الزوزني ١١١.

(٢) رواية البيت للأنباري ص ١٨٦، عند الزوزني ٧٨.

(٣) رواية البيت عند الأنباري ص ٢٠٥؛ وقربت بالقربى وحذك إنه البحث للزوزني ص ٨٧.

(٤) رواية البيت للأنباري ص ٢٧٩، وعند الزوزني ١١٥.

(٥) رواية البيت للأنباري ص ٣٩١، وعند الزوزني ١٧٣.

يظهر في الأبيات السابقة أن الشعراء لا يشيرون إلى حدث بعينه يتعلق بخصوصية مقيدة بزمن ولكنهم يشيرون إلى حقائق عامة لا يشترط فيها الحدوث، فقد تكون غير حاصلة مطلقاً، ولكنها في المستقبل قد تحدث، فالحرب في بيت زهير عندما تبعث تكون ذميمة مكروهة وهي حقيقة مطلقة تشير إلى كراهية الحرب، واستطاعت "متى" تأدية ثلاثة دلالات زمنية ؛ أولاً : إلغاؤها للزمن قبلها فالبعث يكون بعد انقطاع . ثانياً: أنها جعلت البعث على الاستقبال المطلق، فهو يقع مستقبلاً بالنسبة لما قبله، ولكن هذا الاستقبال يمتد في الزمن حتى يدخل في احتمال عدم الوقوع . ثالثاً: أنها علقت وقوع البعث الذميمة للحرب ببعثها للوجود.

وبالنظر في الأبيات التالية لبيت زهير السابق يلاحظ أنها تشير إلى دلالات متشابهة تلعب فيها "متى" الدور نفسه مع الانتباه إلى الدور النحوي الذي لعبته عندما تمكنت من جزم المضارع في كل مواضعه التي عملت فيها.

وضمن النمط نفسه وردت أبيات تحمل دلالات زمنية مختلفة قليلاً عن سابقتها : منها قول امرئ القيس :

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيه تسفل^(١)

وقول طرفة :

فمالي أراني وابن عمي مالكا متى أدن منه ينأ عني ويبعد^(٢)

يقول امرؤ القيس في البيت الأول " أنه كامل الحسنى يريد الفرس رائع الصورة وتكاد العيون تقصر عن كنه حسنه، ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلقه اشتهدت النظر إلى أسافله^(٣) . فالعين سبق لها أن نظرت إلى أعلاه ثم تكرر منها ذلك ، وكما أن تعلق بهذا الأمر نظرها إلى أسفله . فهذا حدث مرتبط بموقف عملت فيه متى على الربط بين فعلين، لم تلغ الزمن الذي قبلها بل سايرته فأصبح التقصير دون ذلك الحصان يتمثل في ما جاء في جملة الشرط.

(١) رواية البيت عند الألباري ص ٩٨ : ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه متى ما ترق العين فيه تسفل .

ورواية البحث للزوزني ص ٥٠ .

(٢) رواية البيت للألباري ص ٢٠٢ ، وعند الزوزني ص ٨٦ .

(٣) الزوزني ، شرح المعلقات ص ٥٠ .

أما بيت طرفة فمحاولة الدنو كانت ماضية واقعة. والبعد كان يترتب عليه. ولما أراد أن يحقق تكراراً في المحاولة مسبقاً بنية الاقتراب ، فقد حملت " متى " دلالة المضي على القرينة التاريخية والتعليق على القرينة الشرطية، دون إغفال العمل النحوي في البيتين.

وورد بيت وحيد ضمن النمط الثاني الذي ظهرت فيه " متى " في المعلقات وهو قول طرفة:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وَجَدَكَ لم أحفل متى قام عودي^(١)

فهو لا يحفل متى يأتي يومه الذي يموت فيه . ولذلك فقد صرفت " متى الفعل الماضي بعدها إلى دلالة الاستقبال بقرينة السياق ، فالشاعر لم يمت بعد، وكذلك فقد ربطت قيام ساعة الموت بعدم الاهتمام بها، ولكن بعد أن يموت الإنسان هل يقع منه اهتمام أو غيره؟ بالطبع لا ، ومن هنا جاءت أهمية استخدام الفعل الماضي فهي على تحقيق وقوع الموت، وعلى إقامة السبق الشكلي لفعل المضي على الفعل المضارع المسبوق بـ " لم ".

ويمكن تخريج البيت على الظرفية في " متى " فيكون " لم أحفل " جواباً لـ " لولا فيكون " لولا " ثلاث لم أحفل " .
* من:

على الرغم من تعدد الأنماط التي تجيء فيها " من " فسي المعلقات، إلا أن مهمتها لا تتجاوز التعليق من حيث دلالة الزمن ، فهي تجعل الفعل الأول شرطاً في حدوث الفعل الثاني . بإضافة صاحب الحدث إلى هذا الفعل. وهي ترد عند امرئ القيس في قوله:

كلنا إذا مانال شيناً أفاته وَمَنْ يحترثُ حرثي وحرثك يهزل^(٢)

وقول زهير :

سئمت تكاليف الحياة وَمَنْ يعيش ثمانين حولاً لا أبالك يسام^(٣)

(١)مراجعة الهامش رقم ٤ ص ٩٣ .

(٢)رواية البيت للأندلسي ص ٨١ وعند الزوزني ص ٣٩ .

(٣)رواية البيت عند الأندلسي ص ٢٨٧ :

سئمت تكاليف الحياة وَمَنْ يعيش ثمانين عاماً لا أبالك يسام

ورواية البحث للزوزني ص ١١٨ .

وقوله :

وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ يَكُنْ حَمْدُهُ ذِمًّا عَلَيْهِ وَيَنْدَمُ^(١)

ففي هذه الأبيات وأخرى لم نذكرها تقوم من بتعليق وقوع أحد الفعلين على الآخر، فالذي يحترث حرث الشاعر يهزل، والذي يعيش ثمانين حولاً يسأم، والذي يجعل المعروف في غير أهله يذم، وكل هذه المعاني هي معان عامة مطلقة وإن تقيدت فإن الزمن فيها غير محدد.

وقد صرفت "مَنْ" الفعل الماضي إلى معنى المضارع بمساعدة القرائن كقول

زهير:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابُ الْمَنَابِا يَنْلَنَّهُ وَإِنْ يَرْقُ أَسْبَابُ السَّمَاءِ بِسَلَمٍ^(٢)

فالإنسان بهيبته من الموت يحاول الفرار منه بارتقاء السماء ولكن ذلك لا يجديهِ إذ إنه لا بد ميت، والتعليق في "مَنْ" هنا أضعف منه في الأبيات السابقة، لأن نيل الموت للإنسان لا يترتب عل الهيبة بل هو واقع بها وبدونها، وعليه فإن "مَنْ" هنا تحمل إشاراتها إلى الشخص بشكل أقوى من دلالاتها على التعليق، الذي لا يقوى إلا شكلياً بإعمال "مَنْ" في الفعل بجزم الجواب.

يمكن أن يقال الكلام نفسه في قول زهير:

وَمِنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكَّبتَ كُلِّ لَهْذَمٍ^(٣)

يقول الزوزني: "من أبي الصلح ذللته الحرب ولينته"^(٤) بمعنى أن الذي يعصي الرماح يطيع السيوف، فلا تعليق مباشراً بين الفعلين، مما يمكن أن يسمى بالتعليق التركيبي.

وورد في استعمالات "مَنْ" بيت لزهير هو :

سَأَلْنَا فَأَعْطَيْتُمْ وَعَدْنَا فَعَدْتُمْ وَمَنْ أَكْثَرَ التَّسَالِ يَوْمًا سِيحْرَمٍ^(٥)

(١) المزونجب (١٣١) .

(٢) روي هذا البيت عند الأنباري بطريق مختلفة تماماً:

وَمِنْ يَبِغِ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ يَنْلَنَّهُ وَلَوْ رَامَ أَنْ يَرْقِيَ السَّمَاءَ بِسَلَمٍ، وعند الزوزني ١٢٠ .

(٣) رواية البحث للأنباري ص ٢٨٠ ، وعند الزوزني ١٢٠ .

(٤) الزوزني ؛ شرح المعلقات ص ١٢١ .

(٥) غير مروي عند الأنباري ، وهو عند الزوزني ص ١٢٣ .

وفي هذا البيت يربط زهير بين الفعل الماضي "أكثر" والفعل المضارع "سيحرم" بواسطة "من" التي تشير إلى مكثّر التسأل الذي سيحرم يوماً ما ، و لا شك أن استخدام الفعل الماضي أحدث ثباتاً في الصفة وهي إكثار السؤال التي ترتب عليها الحرمان الذي يكون تالياً للفعل غير منقطع عنه ، فالتسأل مستمر حتى الحرمان. وهذا البيت مروي عند الزوزني دون الأنباري ، ولعل في هذا إشارة إلى الشك في نسبته لزهير ، وهو ما نؤيده لوقوع خطأ نحوي - قد يعدّه البعض ضرورة - وهو وقوع فعل الجواب مجزوماً شكلياً مع أنه مسبوق بالسين، وهي من روافع الفعل، وهو مما يستبعد نسبته إلى زهير وهو من هو فصاحة و تقديماً بين الشعراء ، وتمحيصاً وتنقيحاً في شعره. ولكن هذا البيت يبقى قابلاً للاستشهاد فيه في درسنا إذ يندرج تحت واحد من الأنماط التي ذكرها سيبويه ^(١) وإن كان يفتقر إلى الرابط الفاء فأصل النمط أن يكون : أداة الشرط + فعل ماضٍ + فعل مضارع مرفوع مرتبط بالفاء .

* لو:

لو عند سيبويه حرف شرط للتمني إذا لم يكن الأمر واقعاً في المعنى و في التركيب " فلما كان سيقع لوقوع غيره " ^(٢) وعوداً على ما سبق، فغيره لا يقع البتة، فهي على معنى الاستحالة ، شبيهة بالاستخدام الانجليزي:

If I were you. I would be as rich as you.

ولذلك فإن استخداماتها في المعلقات لا تخرج عن هذا الإطار من حيث المعنى؛ فطرفة يقول:

فلو كان مولاي أمراً هو غيره لفرّج كربى أو لأتظرنى غدي ^(٣)

ويقول:

فلو كنتُ وغلا في الرجال لضرني عداوة ذي الأصحاب والمتوحد ^(٤)

^(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٩.

^(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢٤٠.

^(٣) رواية البيت للأنباري ص ٢٠٧، وعند الزوزني ص ٨٨.

^(٤) رواية البيت عند الأنباري ص ٢٢٦؛ ولو كنت وغلا في الرجال لضرني عداوة ذي الأصحاب والمتوحد ورواية البحث للزوزني ص ٩٤.

ويقول:

فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بن خالد ولو شاء ربي كنتُ عمرو بن مرثد^(١)

ففي البيت الأول يقول: "فلو كان ابن عمي غير مالك لفرج كربى ولأمهلى زماناً"^(٢). ولكن الحقيقة أن مالك هو ابن عمه فبالتالي لن يفرج كربه ولن يمهلك. أما في البيت الثاني فيقول: "لو كنت ضعيفاً من الرجال نصرتني معادة ذي الأتباع والمنفرد الذي لا اتباع له ... ولكنني قوي منيع"^(٣) فهو ليس وغلاً. وكذلك في البيت الثالث، لو شاء الله بلغني منزلتهما وقدرهما^(٤) ... يقول معقياً:

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني بنونُ كرامٍ سادةً لمسود^(٥)

وفي هذا المعنى المقترن بـ "لو" ينزل التمني عن معنى الاستحالة لاقتران المشيئة بالله، وكما يبدو فالشاعر في هذا البيت يتأمل على الحقيقة . ويظهر استعمال الفعل الناقص في جملة "لو" وهو ما يكسبها المعنى السابق من الاستحالة موازية للكلمة "were" في التعبير الإنجليزي ، ولكن بمزيد من الانتباه إلى التغير الذي طرأ على معنى بيت طرفة.

فلو شاء ربي كنتُ قيسَ بن خالد ولو شاء ربي كنتُ عمرو بن مرثد

يلاحظ ألو دخلت على الفعل التام ، وكان الفعل الناقص في الجواب، فغدت المشيئة غير مستحيلة ولكن التحول من كينونة الشاعر إلى المذكورين هي المستحيلة، ثم عملت القرينة السياقية والكونية وهي قدرة الله على صرف المعنى إلى الإمكان، في حين إن البيتين السابقين لهذا كانا مستحيلين لدخول "لو" على الفعل الناقص دون التام مما سحب الاستحالة إلى التركيب كله، إذ إن قاعدة الشرط تقول: تعليق الشيء على شرط إنما هو وقوف دخوله في الوجود على دخول غيره في الوجود "و فعل الشرط يكون في الفعل الذي تدخل عليه الأداة.

(١) رواية البيت للأبباري ص ٢٠٩، وعند الزوزني ص ٨٩.

(٢) الزوزني ، شرح المعلقات ص ٨٨

(٣) المصدر السابق ص ٩٤-٩٥.

(٤) المصدر السابق ص ٨٩.

(٥) رواية البيت للأبباري ص ٢١٠:

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وعادني بنونُ كرامٍ سادةً لمسود. ورواية البحث للزوزني ٩٠.

وقد ارتبطت "لو" بالفعل المضارع كما ذكر سيبويه، وكما ورد في نصوص اللغة الأخرى ، ولكن لا يوجد استخدام واحد في المعلقة يحمل ذلك النمط.

***مهما:**

يقول سيبويه: "وسألت الخليل عن مهما فقال: هي ما أدخلت معها ما لغوا... ولكنهم استقبحوا أن يكرروا لفظاً واحداً فيقولوا: ما ما ، فأبدلوا الهاء من الألف التي في الأولى. وقد يجوز أن يكون مه كإذ ضم إليها "ما" ^(١)؛ ولذلك فهو يضعها ضمن ما يجازى به من الأسماء غير الظروف تحت "ما" ^(٢) .

وقد وردت في المعلقة في موضعين؛ يقول زهير :

فَلَا تُكْتَمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفْسِكُمْ لِيُخْفِيَ وَمَهْمَا يُكْتَمَ اللَّهُ يَعْلَمُ ^(٣)

ويقول :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم ^(٤)

عملت "مهما" الجزم في فعلي الشرط والجواب اللذين دخلت عليهما ، وجعلت فعل الشرط سابقاً في الحدث لجوابه، فعلقت الثاني على الأول، إلا أنها أفادت استمراراً في فعل الشرط دون تحديد ، بل إنها جيء بها لفتح باب الاستمرار في الفعل إلى أن يأتي الجواب الذي يقطع الفعل الأول معنوياً ويقطع دلالات "مهما" معنوياً وتركيبياً.

^(١) الكتاب ج ٣ ص ٦٠ .

^(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٥٦ .

^(٣) رواية البيت عند الأتباري ص (٢٦٦) فلا تكتمن الله في ما صدركم ليخفي مهما يكتم الله يعلم، ورواية البحث للزوزني ص ١١٠ .

^(٤) رواية البيت للأتباري ص ٢٨٩ ، عند الزوزني ١٢٢ .

الخلاصة

لقد خلص البحث إلى نتيجة مقتضاها أن كتاب سيبويه احتوى إشارات إلى الدلالة الزمنية مباشرة أو غير مباشرة، وقد تم بحث أكثر هذه الدلالات . إلا أن هذه الخلاصة تقدم فهرسة للدلالات التي بحثها بشكل مباشر وكانت في الفعل والظرف واسم الفاعل والشرط والنفي والاستفهام.

وكان أكثر حديثه في الفعل الذي تناوله من حيث؛ أولاً: حد الفعل يجمع بين الحدث والزمن . ثانياً: بناء الفعل يقوم على الزمن . ثالثاً: الفعل بصيغته الصرفية يتعلق بمعان زمنية ليست مميزة ولكنها خاصة ولذلك فهو يتصل بظروف مميزة . رابعاً: دلالة الفعل تتحدد بالقراءن؛ أ- الماضي المجرد يدل على الماضي المنقطع ب- الماضي على معنى المضارع بعد "إن" الشرطة ج- الماضي يدل على إطلاق الزمن د- "قد والماضي" لما لم يقع. هـ - أفعال المقاربة بتصرفها تدل على القريب من الحاضر و - المضارع يدل على الحال ز- المضارع يدل على الاستقبال في "إذن" و "كي" و "السين". ح - المضارع المرفوع بعد "إذن" يدل على الحال .

ثم يبحث سيبويه في دلالات الظرف من حيث؛ أولاً: الظرف يدل على الأزمان المختلفة . ثانياً: النصب في الظرف دليل على الزمنية. ثالثاً: أداء "مفعَل" معنى الزمن . رابعاً: وقوع صفة الحين في الدلالة على الزمن . خامساً: وقوع عدد الحين في الدلالة على الزمن. سادساً: "قيل" و "بعد" للأول و الآخر. سابعاً: "مذ" لابتداء غاية الزمان. ثامناً: "إذا" تدل على المستقبل. تاسعاً: "إذ" لما مضى من الدهر . عاشر: "إذ" تدل على الحال.

ويبحث سيبويه في اسم الفاعل الدلالات التالية؛ أولاً: اسم الفاعل المعروف — "أل" على معنى الفعل الماضي. ثانياً: اسم الفاعل يدل على الاستمرار . ثالثاً: اسم الفاعل يدل على الحال. رابعاً: اسم الفاعل يدل على الاستقبال مع الظرف.

وفي الشرط يشير إلى أن علاقاته هي علاقات تعليق وترتيب. وفي أسلوب النفي يشير إلى أن الفعل فيه يحمل دلالات فعله الموجب. وأما في الاستفهام فيشير إلى الدلالات التالية، أولاً: دلالة الهمزة على المضى. ثانياً دلالتها على الاستقبال .

ثالثاً: دلالتها على الحال. رابعاً: دلالة "هل" على الاستقبال . ولهما يلي فهرسة
لأبواب سيبويه التي تضمنت الإشارات السابقة:
دلالات الفعل:

- بناء الفعل على الزمان ج ١ ص ١٢
- الفعل يجمع بين الحدث والزمن ج ١ ص ٣٥
- تحدد زمن الفعل بالقرائن ج ٣ ص ١٦ / ج ١ ص ٣٥.
- دلالة الماضي على معنى المضارع ج ١ ص ١٦.
- دلالة الماضي على إطلاق الزمن ج ١ ص ٤٥ / ج ١ ص ٤٦ ج ٣ ص ٧٣.
- دلالة أفعال المقاربة على الزمن الماضي القريب من الحاضر. ج ٣ ص ١٥٧-١٦١.

- دلالة المضارع على الحال ج ٣ ص ١١٧.
- دلالة المضارع على الاستقبال ج ٣ ص ١١٧.
- دلالة المضارع على الحال والاستقبال ج ١ ص ٢١٦.
- "السين" تصرف الفعل المضارع إلى الاستقبال ج ١ ص ٣٥.
- دلالة "أن" على الاستقبال
- "إذن" و "كي" للاستقبال ج ٣ ص ١٦ / ج ٣ ص ٥.
- إذن "للحال إذا رفعت ج ٣ ص ١٦
- الماضي في الفعل المقترن بظرفه : وكذلك ج ١ ص ٢٥.
- افعال الماضي بعد "إن" يعلم عمل " ج ١ ص ١٦.
- " قد فعل" لمن ينتظر ولم يقع ج ٣ ص ١١٤ - ١١٧.

دلالات الظرف:

- الظرف دالاً على الأزمان كلها ج ٣ ص ٤٨٠
- النصف في الظرف دليل على الزمن ج ١ ص ٤٨ / ٦٥ / ٢١٦.
- وقوع صفة الحين في الدلالة على الزمن ج ١ ص ٢٢٧.
- وقوع عدد الحين في الدلالة على الزمن ج ١ ص ٢١٧.

- أداء وزن " مفعّل " معنى الزمن ج ٤ ص ٨٨.
- "مذ" لابتداء غاية الزمان ج ٤ ص ٢٢٦.
- إذا أردت الزمن في الاسم نصبته ج ١ ص ٤١٨.
- "قبل" و"بعد" للأول والآخر ج ٤ ص ٣٣.
- "إذا" للمستقبل والمجازاة ج ٤ ص ٢٣٢ / ج ١١٩٣.
- "إذ" لما مضى من الدهر ج ٤ ص ٢٢٩.
- "إذ" تدل على الحال ج ١ ص ٩٠.

دلالات اسم الفاعل

- دلالاته على الاستمرار ج ١ ص ١٦٤
- اسم الفاعل المعروف بـ "أل" على معنى الفعل الماضي ج ١ ص ١٣٠
- دلالة اسم الفاعل المنون على الحال والاستقبال ج ١ ص ١٣٠.
- دلالة اسم الفاعل المنون على الاستقبال مع الظرف ج ١ ص ١٦٤
- دلالة اسم الفاعل على الاستمرار ج ١ ص ١٦٤.

دلالات الشرط :

- الشرط علاقة تعليق وترتب ج ٢ ص ١٢٩ / ج ٣ ص ٣٦ / ج ٤ ص ٢٢٤

دلالات النفي

- دلالات الفعل المنفي الزمنية تقابل دلالات غير المنفي ج ٣ ص ١١٧.

دلالات الاستفهام

- دلالة همزة الاستفهام على وقوع الحدث ج ٣ ص ١٧٦.
- دلالة "هل" على الاستقبال ج ١ ص ٣٣٨ ج ٣ ص ١٧٦.

Semantics of time in Sybawayhi's book Al – Mu'allaqat as pattern

The dissertation deals with the semantic point of view of time in Sibawayhi's Al- Kitab applied to Al-Mu'allaqat of the pre-Islamic period. It consists of an introduction and three chapters.

The first chapter studies the semantic point of view of time in the Arabic verb. All aspects of past have been discussed in detail with concentration on forms referring to present perfect and past perfect. Present tense has been discussed through forms and construction i.e. morphological and syntactic realizations of present tense.

The second chapter discusses forms of adverbs and their effect on time. It was necessary to discuss this effect through morphological and syntactic representations.

The third chapter studies the semantic point of view of time through some Arabic constructions and styles. Conditionals for instance, have been discussed according to its grammatical and textual aspects. The same method has been applied to negation, interrogatives, and the so called ism al fa'el i.e. actor.

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
• "إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون" الذاريات ٢٣.	٥٥
• "كل نفس ذائقة الموت" آل عمران ١٨٥، الأنبياء ٣٥، العنكبوت ٥٧.	١٠٧
• "لن أكلم اليوم إنسيا" مريم ٢٦.	٨٤
• "هدياً بالغ الكعبة" المائدة ٩٥	١٠٧
• "هذا يوم لا ينطقون" المرسلات ٣٥	٥٣
• "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم" المائدة ١١٩	٥٣
• "وجاعل الليل سكناً" الأنعام ٩٦	١٠٨-١٠٥
• "وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد" الكهف ١٨	١١٢
• "ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم" آل عمران ١٤٢.	٨٥
• "يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم" آل عمران ١٥٤.	٨٠-٧٩

فهرس الشعر

* فصل الهمزة المضمومة:

الصفحة	القاتل	الكلمة الأخيرة في البيت	الكلمة الأولى في البيت
٩٥	الحارث بن حلزة	النجاء	لا
٧٦،٧٥	الحارث بن حلزة	أشراء	إذ
١٨	الحارث بن حلزة	الإمساء	آنست
٧٦،٧٤	الحارث بن حلزة	الحساء	إذ
٧٤	الحارث بن حلزة	العوصاء	إذ
٥٧	الحارث بن حلزة	ضوضاء	أجمعوا
٧٤	الحارث بن حلزة	رعاء	كتكاليف
٨٧	الحارث بن حلزة	العفاء	ما
١١٠	الحارث بن حلزة	بقاء	أيها
٨٨،٢٤	الحارث بن حلزة	البكاء	لا
٨٨،٧٧،٧٦،٧٥	الحارث بن حلزة	الصلاء	ما
٧٣	الحارث بن حلزة	الدماء	وأقدناه
٩٥،٧٧	الحارث بن حلزة	الماء	ثم
١١١	الحارث بن حلزة	الثاء	ملك
١١٠	الحارث بن حلزة	انتهاء	أيها
١٠١	الحارث بن حلزة	عواء	هل
٧٦،٧٥	الحارث بن حلزة	لواء	آية
٧٨	الحارث بن حلزة	عمياء	أنلهى
• فصل الهمزة المكسورة			
٥٥	مجهول القاتل	إتلائها	من
• فصل الحاء المكسورة			

عسى	الجوانح	قسام بن رواحة	٣١
• فصل الدال المكسورة			
فمنهن	تزبد	طرفة بن العبد	٩٢،٥٨
على	معبد	طرفة بن العبد	٩١
يلوم	معبد	طرفة بن العبد	٨٨
فإن	معبد	طرفة بن العبد	٤٤
فلو	مرثد	طرفة بن العبد	١٢٩،١٢٨
فلو	المتوحد	طرفة بن العبد	١٢٨
إذا	تشدد	طرفة بن العبد	٩١،٦٣،٦٢
وأعلم	تردد	طرفة بن العبد	٥٨
وإن	التهدد	طرفة بن العبد	١٢٢
وإن	الخفيدد	طرفة بن العبد	١٢٠
وكري	المتورد	طرفة بن العبد	٩٢
كريم	الصدى	طرفة بن العبد	١٢٠،٤٤٤،٢٧،٢٤
وإن	محصدى	طرفة بن العبد	١٢٠
فإن	تصطد	طرفة بن العبد	١٢٢
فمالي	يبعد	طرفة بن العبد	١٢٥،٥٨
على	ترعد	طرفة بن العبد	٥٨
ويأتيك	موعد	طرفة بن العبد	٢٨
فلو	غدي	طرفة بن العبد	١٢٨
ولست	أرفد	طرفة بن العبد	١٢٤،٥٨
أخي	قدي	طرفة بن العبد	٩٥
إذا	أتبلد	طرفة بن العبد	٩٢،٦٣،٦٢
وإن	مصمد	طرفة بن العبد	١٢٢
وتقصير	المعمد	طرفة بن العبد	٩٢

١٢٢	طرفة بن العبد	أجهد	وإن
١٢٤،٥٨	طرفة بن العبد	أشهد	وقربت
١٢٩	طرفة بن العبد	لمسود	فأصبحت
٢٨،٢٧	طرفة بن العبد	تزود	ستبدي
١٢٦،٩٢،٥٩	طرفة بن العبد	عودي	ولولا
١٢١	طرفة بن العبد	يدي	فإن
• فصل العين المضمومة			
١١٧	جرير بن عبدالله البجلي	تصرع	يا
• فصل اللام المكسورة			
٨٨،٨٧	امرو القيس	مقتل	وما
٤٣،٤٠	امرو القيس	بأمثل	ألا
١١١،٥٥	امرو القيس	مرجلي	ويوم
٥٤	امرو القيس	جلجل	ألا
٨٩	امرو القيس	تنجلي	فقال
٨	امرو القيس	مرحل	خرجت
٨	امرو القيس	المخلخل	هصرت
١١١،٧٩،٤٢،١٦	امرو القيس	فانزل	نقول
١٢٦،٨٦	امرو القيس	يهزل	كلانا
٩٠	امرو القيس	فيغسل	فعادى
١٢٣	امرو القيس	تنسل	وإن
٥٦	امرو القيس	عنصل	كان
١٧	امرو القيس	المتفضل	فجئت
١٠٩،٥٤	امرو القيس	حنظل	كاني
١١٠،١٠٣	امرو القيس	يفعل	أغرك
١٢٥،٥٨،٢٠	امرو القيس	تسفل	ورحنا

فقلت	بكاكل	امرو القيس	٩
فقلت	المغلل	امرو القيس	٤٢
أفاطم	فأجملي	امرو القيس	١٢٣
ويوم	المتحمل	امرو القيس	٥٤
قفا	فحول	امرو القيس	٤٢
إذا	يحول	امرو القيس	٨٠
وإن	معول	امرو القيس	١٠٣، ١٠١
فقلت	تمول	امرو القيس	٨٥
وواد	المعيل	امرو القيس	٩

• فصل الميم المكسورة

سئمت	يسأم	زهير بن أبي سلمى	١٢٦
على	كلام	الفرزدق	١٠٨
ومن	يشتم	زهير بن أبي سلمى	٩٦
وقال	ملجم	زهير بن أبي سلمى	٢٩، ٢٧
ومن	يتجمجم	زهير بن أبي سلمى	٩٦
ما	الخمخم	عنتر بن شداد	٨٧، ٧١
الشاتمي	دمي	عنتر بن شداد	٦٨، ٦٧، ٦٢
وكان	يتقدم	زهير بن أبي سلمى	٩٦
إذا	مقدم	عنتر بن شداد	٧٣، ٧١
ومن	يندم	زهير بن أبي سلمى	١٢٦
ومن	لهزم	زهير بن أبي سلمى	١٢٧
سألنا	سيحرم	زهير بن أبي سلمى	١٢٧، ٣٠، ١٢٨
وإذا	نكرمي	عنتر بن شداد	٦٦
ومن	يكرم	زهير بن أبي سلمى	٩٣
سحاً	يتصرم	عنتر بن شداد	٩١، ٥٧

هل	مصرم	عنتره بن شداد	١٠٢،١٠١
متى	فتصرم	زهير بن أبي سلمى	١٢٤،٦٤،٥٨
ولا	المخزم	زهير بن أبي سلمى	٩٦
ألا	مقسم	زهير بن أبي سلمى	٤٣
ومن	بمنسم	زهير بن أبي سلمى	٩٢
وتعد	ضمضم	زهير بن أبي سلمى	٦٧
وأعلم	عم	زهير بن أبي سلمى	٥٤
فشد	قشعم	زهير بن أبي سلمى	٢٩
إذ	المطعم	عنتره بن شداد	٧٢،٧١
ولقد	الفم	زهير بن أبي سلمى	٧٢،٧١
لعمرك	المثلّم	زهير بن أبي سلمى	٨٧
يا	واسلمي	عنتره بن شداد	٤٣
ومن	يسلم	زهير بن أبي سلمى	١٢٧،١٢٣
وقد	نسلم	زهير بن أبي سلمى	١٢٢
وكانما	مصلم	عنتره بن شداد	٥٦
أثني	أظلم	عنتره بن شداد	٩٣،٦٦،٦٢
ومن	يظلم	زهير بن أبي سلمى	٩٦،٩٣
جرىء	يظلم	زهير بن أبي سلمى	١٢٤،٥٨
هلا	تعلمي	عنتره بن شداد	١٢٠،١١١،١٠٩،٩١،٧١
ومهما	تعلم	زهير بن أبي سلمى	١٣٠
فلا	يعلم	زهير بن أبي سلمى	١٣٠
وكائن	التكلم	زهير بن أبي سلمى	١٠٩
إذ	مكلم	عنتره بن شداد	٧٢،٧١
لو	مكلي	عنتره بن شداد	١١١
فإذا	يكلم	عنتره بن شداد	٩٣،٦٦

تبصر	جرثم	عنثرة بن شداد	٤١
وقفت	توهم	زهير بن أبي سلمى	١٠١،٤١
• فصل النون المفتوحة			
إذا	زبونا	عمرو بن كلثوم	٦٣
تركنا	صفونا	عمرو بن كلثوم	١١١
يقتن	نمنعونا	عمرو بن كلثوم	٦٨،٦٥،٦٢
ألا	وجدتمونا	عمرو بن كلثوم	٤٣
ومأكمة	جنونا	عمرو بن كلثوم	١٩
على	تهونا	عمرو بن كلثوم	٣٢
وكنا	أبيننا	عمرو بن كلثوم	٦٥،١٣
وأما	مثليبيننا	عمرو بن كلثوم	٥٥
فأما	ثبيننا	عمرو بن كلثوم	٥٥
عشوزنة	الجبينا	عمرو بن كلثوم	٦٣
إذا	الشاربيننا	عمرو بن كلثوم	٦٨
تريك	الكاشحيننا	عمرو بن كلثوم	١٨
متى	طحينا	عمرو بن كلثوم	١٢٤،٥٩
إذا	ساجديننا	عمرو بن كلثوم	٦٥،٦٤
قفي	تخبرينا	عمرو بن كلثوم	٤٢،٣٠
كان	جريننا	عمرو بن كلثوم	٦٤
وما	آخرينا	فروة بن مسيك	٨٩
وكأس	وقاصرينا	عمرو بن كلثوم	٣٠
وإننا	مقدرينا	عمرو بن كلثوم	٣٠
متى	القرينا	عمرو بن كلثوم	٥٩
إليك	اليقيننا	عمرو بن كلثوم	١٠٣،٨٦،٨٥
إذا	فيننا	عمرو بن كلثوم	٣٣

٣٣	عمر بن كلثوم	تلينا	فان
٨٧	عمر بن كلثوم	كالقينا	وما
١٠١	عمر بن كلثوم	الأولينا	فهل
١٤	عمر بن كلثوم	يلينا	فصالوا
١٠١،٤٢	عمر بن كلثوم	الأمينا	قفي
١٠٣،٨٦،٨٥	عمر بن كلثوم	يرتمينا	ألما
٩٥	عمر بن كلثوم	تعلمينا	وإن
٦٤	عمر بن كلثوم	بنينا	ورثناهن
٨٧	عمر بن كلثوم	الحنينا	فما

• فصل الهاء المفتوحة

٦٤	لبيد بن ربيعة	أيتامها	ويكللون
٧٨،٧٥	لبيد بن ربيعة	لجامها	ولقد
١٠٩	لبيد بن ربيعة	أقدامها	غلب
٧٥	لبيد بن ربيعة	مدامها	قد
١٠٩	لبيد بن ربيعة	أهدامها	تأوي
١٠٣	لبيد بن ربيعة	جذامها	أولم
٤٢	لبيد بن ربيعة	صرامها	فاقطع
١٠٩	لبيد بن ربيعة	أجسامها	وجزور
١٠٩	لبيد بن ربيعة	أهضامها	فالضيف
٧٦،٧٥	لبيد بن ربيعة	إكامها	فبتلك
٩٦،٧٣	لبيد بن ربيعة	أحلامها	لا
٤٢	لبيد بن ربيعة	علامها	فاقنع
٨٨	لبيد بن ربيعة	كلامها	فوقفت
٧٥	لبيد بن ربيعة	حمامها	ترمي
٩٥	لبيد بن ربيعة	سهامها	صادفن

- ٤٠- معجم الجملة القرآنية ، الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم طالب الزوبعي، مطبعة التعليم العالي. بغداد ، ١٩٨٨.
- ٤١- معجم شواهد العربية، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر. ط١ ١٩٧٢.
- ٤٢- معجم شواهد النحو الشعرية، حنا حداد، دار العلوم للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ط١، ١٩٨٤.
- ٤٣- معجم القراءات القرآنية ، عبد العال مكرم وأحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٢.
- ٤٤- مغني اللبيب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام ، تحقيق : هارون المبارك، محمد علي حمد الله ، مراجعة : سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ١٩٩٨.
- ٤٥- المفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تقديم ، علي بو ملجم ، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.
- ٤٦- المتقضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه ، عالم الكتب ، بيروت، د.ت.
- ٤٧- ملحة الإعراب ، أبو محمد القاسم بن محمد الحريري، تحقيق: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١ ١٩٧٧.
- ٤٨- منهج سيبويه في التقويم النحوي، محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١ ١٩٨٩.
- ٤٩- نظام الجملة في شعر المعلقات ، محمود أحمد نخلة، دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية ، ١٩٩١.
- ٥٠- النواسخ الفعلية والحرفية ، أحمد ياقوت ، دار المعارف، ١٩٨٤.
- ٥١- همسع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٨٧.
- ٥٢- الوصف المشتق في القرآن الكريم، عبد الله بن حمد الدايل، مكتبة التوبة، الرياض ، السعودية ، ط١، ١٩٩٦.

٤٢	أبيد بن ربيعة	قوامها	واحب
١٠٣	أبيد بن ربيعة	قوامها	أفتاك

المراجع

* القرآن الكريم

- ١- اتجاهات التحليل الزمني في الدراسات اللغوية، محمد عبد الرحمن الريحاني دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٨م.
- ٢- أساليب النفي في القرآن . أحمد ماهر البقري، مطبعة دار نشر الثقافة، الاسكندرية، ١٩٦٨.
- ٣- أسرار العربية، عبد الرحمن بن عبد الله الأنباري، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ١٩٩٧م.
- ٤- أسلوب "إذ" في ضوء الدراسات القرآنية والنحوية. د. عبدالعال مكرم ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت، الرسالة الخامسة عشرة - ١٩٨٣.
- ٥- أسلوبا النفي والاستفهام في العربية . خليل عمايرة، جامعة اليرموك، د.ت.
- ٦- الأصول في النحو ، محمد بن سهل بن السراج البغدادي، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، د.ت.
- ٧- أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٩٧٧.
- ٨- الألسنة العربية ، ديمون طحان، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ١، ١٩٧٢.
- ٩- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين . كمال الدين بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، صيدا _ بيروت، ١٩٣٠.
- ١٠- بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، ط ١، ١٩٩٦-١١ التطور النحوي للغة العربية ، برجستراسر، المركز العربي للبحث والنشر القاهرة. ط ٢ ١٩٨١.
- ١٢- الجملة الشرطية عند النحاة العرب، أبو أوس إبراهيم الشمسان، مطابع الدجوي، عابدين ، ط ١، ١٩٨١.
- ١٣- الجملة الفعلية منفية واستفهامية ومؤكدة ، زين الخويسكي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية. د.ت.

- ١٤- دراسات في الفعل، عبد الهادي الفضلي، دار القلم، بيروت ، لبنان ط١، ١٩٨٢.
- ١٥- الدلالة الزمنية في الجملة العربية ، علي جابر المنصوري ، مطبعة الجامعة بغداد، ط١ ، ١٩٨٤.
- ١٦- الزمن في القرآن الكريم، بكري عبد الكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة ط١، ١٩٩٧.
- ١٧- الزمن واللغة ، مالك المطليبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦
- ١٨- سر صناعة الإعراب ، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٣.
- ١٩- شرح أبيات سيبويه، أبو محمد يوسف أبي سعيد السيراني ، تحقيق محمد علي سلطاني مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة الحجاز، دمشق، ١٩٧٦م.
- ٢٠- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد بن جمال بن مالك ، تحقيق : محمد محيي عبد الحميد، دار القلم، بيروت لبنان، د.ت.
- ٢١- شرح جمل الزجاجة ، ابن عصفور الإشبيلي، تحقيق ، صاحب أبو جناح وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية ، د.ت.
- ٢٢- شرح غيون كتاب سيبويه، هارون بن موسى المجريطي القرطبي ، تحقيق عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه، مطبعة حسان، القاهرة ، ١٩٨٤.
- ٢٣- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر، ط٢.
- ٢٤- شرح كتاب سيبويه ، أبو سعيد السيرافي ، تحقيق: رمضان عبد التواب و محمود فهمي حجازي ومحمد هاشم عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦.
- ٢٥- شرح المعنقات السبع، أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، دار الجبل ، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٩.
- ٢٦- شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت، د.ت.

- ٢٧- الشرط في القرآن . على نهج اللسانيات الوصفية، عبد السلام المسدي
ومحمد عبد الهادي الطرابلسي، الدار العربية للكتاب ، ليبيا، تونس ، ١٩٨٥.
- ٢٨- الشرط والاستفهام في الأساليب العربية ، سمير ستيتية . دار القلم
للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية ، دبي ، ط١، ١٩٩٥م.
- ٢٩- شواهد الشعر في كتاب سيبويه، خالد عبد الكريم جمعة، مكتبة دار
العروبة ، الكويت ، ط١، ١٩٨٠.
- ٣٠- الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٣،
١٩٨٣.
- ٣١- الفعل في القرآن الكريم تعديته ولزومه، أبو أوس إبراهيم الشمسان،
ذات السلاسل للطباعة والنشر، الكويت، ط١، ١٩٨٦.
- ٣٢- الفعل والزمن ، عصام نور الدين ، المؤسسة الجامعية للدراسات
والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٤.
- ٣٣- في النحو العربي: نقد وتوجيه ، محمد مهدي المخزومي، منشورات
المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٦٤.
- ٣٤- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه، تحقيق: عبدالسلام محمد
هارون ، دار الجيل ، بيروت، ط١.
- ٣٥- لسان العرب: ابن منظور ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.
- ٣٦- اللغة العربية معناها ومبناها. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب
ط٢ ، ١٩٧٩.
- ٣٧- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ، تحقيق : عبد السلام محمد
هارون ، دار المعارف بمصر، ط٣.
- ٣٨- المسائل العسكرية ، أبو علي الفارسي، تحقيق ، اسماعيل عميرة،
مراجعة أنهاد الوسي ، منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٨١
- ٣٩- معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. عالم الكتب ، بيروت،
ط٢، ١٩٨٠.

- ٤٠- معجم الجملة القرآنية ، الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم طالب الزوبعي، مطبعة التعليم العالي. بغداد ، ١٩٨٨.
- ٤١- معجم شواهد العربية، عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر. ط١ ١٩٧٢.
- ٤٢- معجم شواهد النحو الشعرية، حنا حداد، دار العلوم للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ط١، ١٩٨٤.
- ٤٣- معجم القراءات القرآنية ، عبد العال مكرم وأحمد مختار عمر، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٩٨٢.
- ٤٤- مغني السبب عن كتب الأعراب، جمال الدين بن هشام ، تحقيق : هارون المبارك، محمد علي حمد الله ، مراجعة : سعيد الأفغاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ١٩٩٨.
- ٤٥- المفصل في صناعة الإعراب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تقديم ، علي بو ملجم ، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣.
- ٤٦- المتقضب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد ، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه ، عالم الكتب ، بيروت، د.ت.
- ٤٧- ملحة الإعراب ، أبو محمد القاسم بن محمد الحريري، تحقيق: بركات يوسف هبود، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١ ١٩٧٧.
- ٤٨- منهج سيبويه في التقويم النحوي، محمد كاظم البكاء، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط١ ١٩٨٩.
- ٤٩- نظام الجملة فسي شعر المعلقات ، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية ، ١٩٩١.
- ٥٠- النواسخ الفعلية والحرفية ، أحمد ياقوت ، دار المعارف، ١٩٨٤.
- ٥١- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة ، ط٢، ١٩٨٧.
- ٥٢- الوصف المشتق في القرآن الكريم، عبد الله بن حمد الدايل، مكتبة التوبة، الرياض ، السعودية ، ط١، ١٩٩٦.

١	المقدمة
٥	الفصل الأول: دلالة الأفعال على الزمن
٥	أولاً: الفعل الماضي:
٥	تمهيد
١٢	زمن الفعل الماضي صرفياً.
١٣	دلالة "فعل" على الماضي المطلق.
١٥	دلالة "فعل" على الماضي القريب.
١٥	أ- قد فعل.
١٩	ب- أفعال المقاربة.
٢٢	ثانياً: الفعل المضارع
٢٣	زمن الفعل المضارع صرفياً.
	أ- دلالاته على الحال ب- دلالاته على الاستقبال
٢٥	قرائن تحمل الفعل المضارع إلى الاستقبال
٢٥	أ- السين وسوف.
٣١	ب- أن
٣٤	ج- إذن - كي
٣٦	ثالثاً: فعل الأمر
٣٦	زمن فعل الأمر صرفياً.
٤٠	دلالة "افعل" على الزمن المطلق.
٤٢	دلالة "افعل" على الحاضر المستمر في المستقبل.
٤٣	دلالة "افعل" على المستقبل القريب.
٤٤	دلالة "افعل" على المستقبل البعيد.
٤٥	الفصل الثاني: دلالة الظرف على الزمن.
٤٦	أولاً: البنية الصرفية
٥١	ثانياً: الدلالة الزمنية في الظرف.

٥٦	ثالثاً: تطبيق في ظروف واردة في المعلمات :
٥٦	أ- الظروف المؤكدة:
٥٦	• عشية
٥٧	• متى
٥٩	ب- الظروف الناسخة:
٦٠	• إذا.
٦٩	• إذ.
٧٩	• الواو على معنى "إذ"
٨١	الفصل الثالث: صيغ وأساليب دالة على الزمن:
٨١	أولاً: أسلوب النفي
٩٨	أ- التنظير النحوي .
	ب- التطبيق النصي.
	ثانياً: أسلوب الاستفهام
	أ- التنظير النحوي.
	ب- التطبيق النصي.
١٠٥	ثالثاً: اسم الفاعل.
	أ- التنظير النحوي.
	ب- التطبيق النصي.
١١٤	رابعاً: أسلوب الشرط.
	أ- التنظير النحوي.
	ب- التطبيق النصي.
١٣١	الخلاصة
١٣٤	الملخص باللغة الإنجليزية
١٣٥	الفهارس
	فهرس الآيات القرآنية.
	فهرس الشعر.
	فهرس المصادر والمراجع.
	فهرس موضوعات.